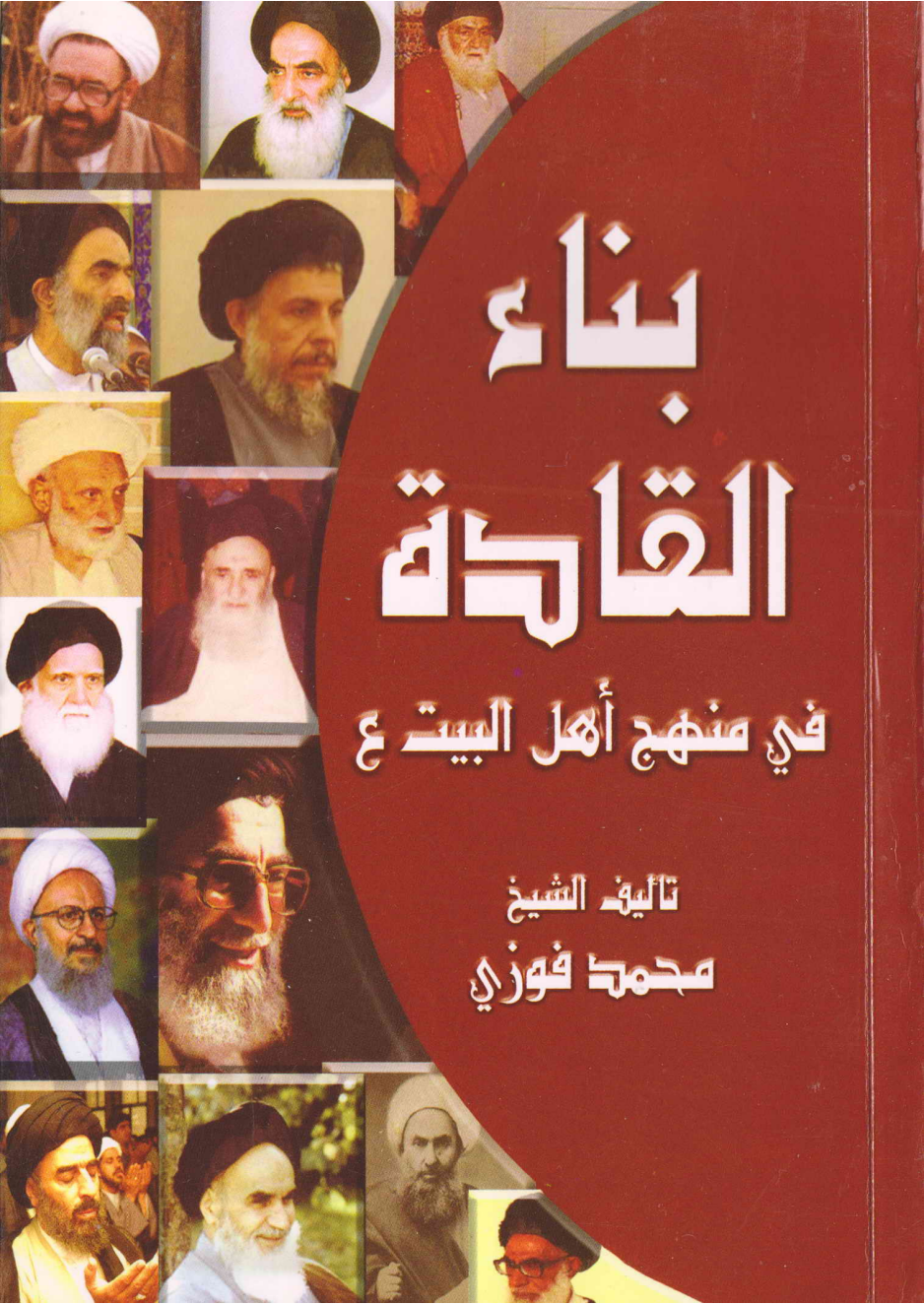

بناء القاعدة

في منهج أهل البيت ع

تأليف الشيخ

محمد فوزي

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

صدق الله العلي العظيم

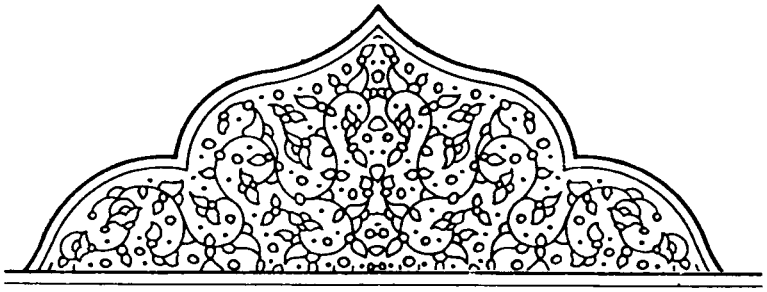

الإهـداء

إلى صاحب الفضل الكبير . .

إلىٰ مـن زرع في روحي حـب الـدين

وشـجعـني في طـريق العلم . . .

إلى سيدي الوالد الكريم . .

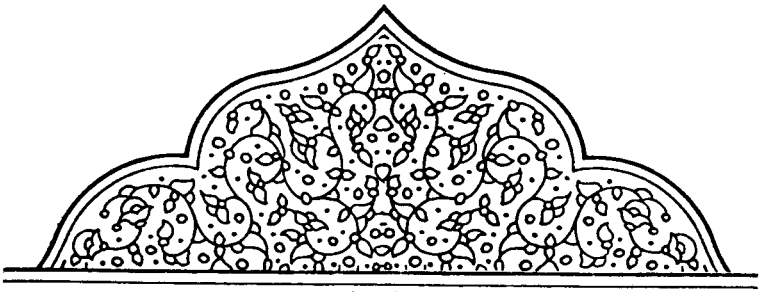

محتويات الكتاب

مقدمة الناشر ٧

المقدمة ٩

الفصل الاول : * الحاجة الى القادة ١١

الفصل الثاني : * اهل البيت وبناء القادة ٢٣

الفصل الثالث : * المواصفات العامة للتربية الرسالية ٨٧

□ البناء الروحي للقادة ١٠١

□ البناء السياسي للقادة ١٢١

□ البناء الفكري للقادة ١٤٩

□ البناء الاخلاقي للقادة ١٦٥

الفصل الرابع : * صور من التربية الرسالية ١٩٥

□ للتقدم لا بد من النقد ١٩٧

□ العمل المعيشي وقرار الرسالة ٢٠٢

□ لا . . للاستئكال بالقيادة الشرعية ٢٠٦

□ عيب الاشخاص والحفاظ على الدور ٢١١

الفصل الخامس : * دراسة في الوصايا والرسائل ٢١٧

□ وصية امير المؤمنين (ع) للكميل ٢٢٠

□ وصية الامام الباقر لسعد الخير ٢٢٦

□ وصية الامام الهادي لأيوب بن نوح ٢٣١

الخاتمة ٢٣٥

المصادر ٢٣٧

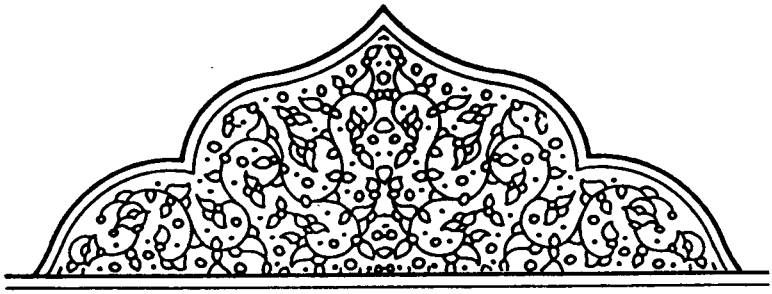

مقدّمة الناشر

أهل البيت (عليهم السلام) منتهى الكمال البشري ، وذروة السلوك القويم ، وغاية الجهاد المتواصل ضد الظلم والطغيان ، وبالتالي هم مثال القيادة الحقة للمجتمع الإسلامي ، إذن هم القدوة التي يجب ان تحتذى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة للقائد والمَقُود ، للراعي والرعية ، للانسان مجرداً من الالقاب والانساب ومراسيم التفخيم والتعظيم .

ولان كوّنوا (عليهم السلام) كل إمام في زمانه أنصاراً وأصحاباً وموالين كانوا على مستويات عليا في الاخلاق ـ والجهاد ـ والفداء ، والتضحية في سبيل الدين والعقيدة والمبدأ ، أي على مستويات عليا في سلوكهم الرسالي ، فلأن الائمة (عليهم السلام) هم اصحاب المنهج الرسالي الحق .

ونحن اليوم ولاننا نعاني من هجمة استعمارية شرسة على اسلامنا ، واخلاقنا ، ومبادئنا ، ومقدساتنا ، فالاجدر بنا قواداً ومقودين أن نلتزم نهج ومنهج الائمة (عليهم السلام) في تربيتهم الرسالية من أجل تقويم مجتمع الخرف عن سواء السبيل وتشدق بأفكار حضارات واهمة ، وتزين بالصدف الفارغ بدلاً من اللؤلؤ والمرجان .

هذا الكتاب (محاولة للكشف عن منهج التربية الرسالية لدى أهل البيت عليهم السلام) كان مطبوعاً تحت عنوان الطليعة الرسالية في منهج أهل البيت

(عليهم السلام) ، وقد اضاف عليه المؤلف بعض المواضيع واجرى عليه تصحيحاً وتنقيحاً ، تقدم به من المكتبة الاسلامية ، آملين أن نجد منهج التربية الاسلامية لاهل البيت (عليهم السلام) يتواصل تطبيقاً ومن الله نستمد العون والتطبيق إنه نعم المولى ونعم النصير .

٢٦/رجب/١٤٠٧

٢٦ /آذار /١٩٨٧

مكتبة العرفان

الكويت

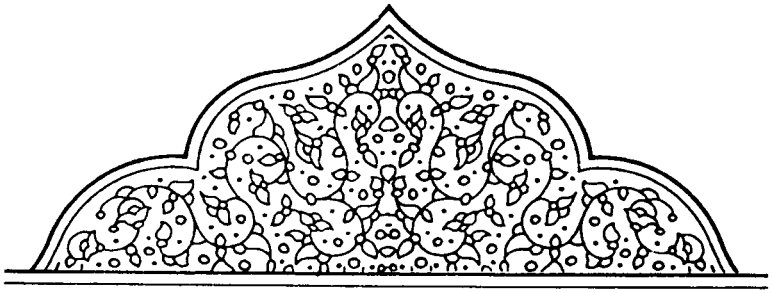

المُقدّمة

هذا الكتاب . . محاولة للكشف عن منهج التربية الرسالية لدىٰ أهل البيت (ع) .

إن هذا التاريخ الثر المليء بالعبر والتجارب التي خلفها المعصومون (عليهم السلام) ومن سار على دربهم من الصالحين ، أجدر المواضيع بالدراسة والبحث ، خصوصاً أن الحركة الاسلامية اليوم تعتمد العنصر البشري كأهم الاسلحة في صراعها مع الاستعمار .

ولكيلا نضطر إلى استيراد التجارب كقطع غيار السيارات ، لا بد أن نتعرف علىٰ تجاربنا الذاتية الأصيلة عبر دراسة حياة أهل البيت وحواريهم . . وهذا ما أسعىٰ له في هذا الكتاب .

هل وفقت في ذلك ؟!

اترك لك الحكم عزيزي القاريء . ولكن حسبي أنني حاولت محاولة جادة ، وحسبي أن أرجو أن يكون هذا بداية الطريق لبحوث وكتابات تبين هذا الجانب المجهول وتنفع الأمة في صراعها القائم .

والله ولي التوفيق

محمد فوزي ـ القطيف
١٠ / ٦ / ١٤٠٦ هـ

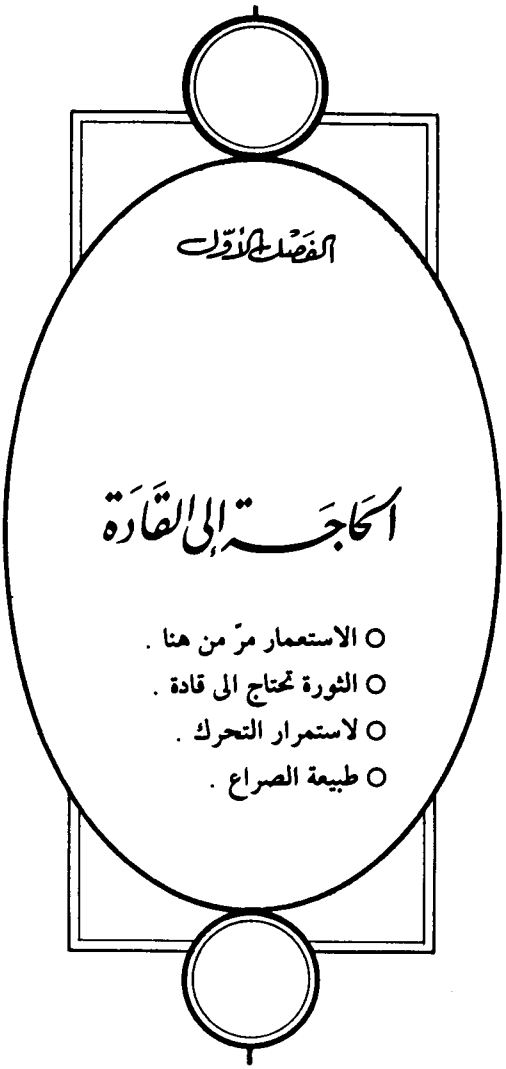

الفصل الأول

الحاجة إلى القادة

- الاستعمار مرّ من هنا .
- الثورة تحتاج الى قادة .
- لاستمرار التحرك .
- طبيعة الصراع .

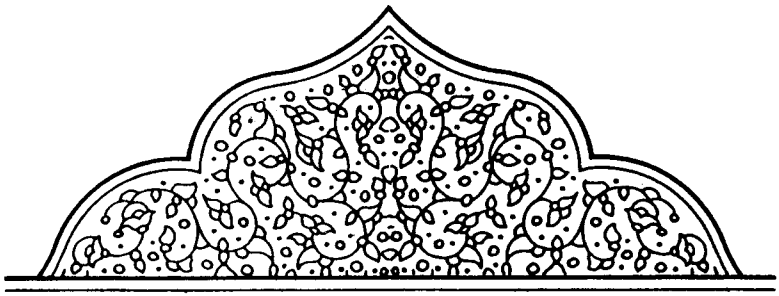

نعم . . هل هناك حاجة إلى الكوادر ؟! خصوصاً في هذا الوقت الذي تعلو فيه أصوات أجنبية احياناً ، ومسلمة حيناً ، معلنة معارضتها لطلائع العمل وكوادره ، شخصيات كانت أو تنظيمات .

بل وبشكل أخص في فترات الخوف ، وحين تشتد هجمة الارهاب والعنف في المجتمع ، وتطال الاعتقالات الكثير من المواطنين حتى أولئك الذين لم ينهوا المرحلة الابتدائية ؟!

وحين يتنمر البعض في دفاعه عن نفسه ومصالحه ، متصوراً أنها ترتبط بالحفاظ على الوضع الموجود . . يعلن هذا السؤال عن نفسه في صور متعددة ، تنتهي الى العاملين والى الطلائع منهم بالذات :

ماذا جنينا من هؤلاء ؟!

وما الذي عاد على المجتمع غير التوتر ، والسجن ، والفوضى !!

ولماذا يقوم هؤلاء بأعمال نتحمل نحن نتيجتها ؟!

وأساساً ما هو نفعهم ؟ وما الحاجة إليهم ؟!

سوف أجيب ـ عزيزي القارىء ـ على هذه الأسئلة ، وغيرها التي تصب أخيراً في قناتها ، عبر الحديث عن ضرورة التوجه لبناء الكوادر وتنميتهم والسعي لزيادتهم في المجتمع ، سواء كان هذا السعي مسؤولية الحركة الاسلامية ، أو سائر ابناء المجتمع . ثم ابين في فصل آخر حرص الاسلام

ممثلاً بالمعصومين عليهم السلام على تربية واعداد الطلائع المؤمنة ، وسعي كل إمام منهم في هذا الأمر .

١ / الاستعمار . . مرّ من هنا :

تخلصت بلادنا الاسلامية من السيطرة الاستعمارية المباشرة أو هكذا بدا لها ، وبدأت تحتفل . . بفرح طفولي باعياد الاستقلال !! أو بذكرى الجلاء ، وتتخذ من هذه الأيام أعياداً وطنية .

ولم يكن الاستعمار غبياً الى درجة أن يترك هذا الكنز ويرحل حباً في السلام أو التزاماً بقرارات هيئة الأمم !!

لقد خرج من الباب ليعود من النافذة الأوسع ، وضمن ظروف أفضل ، فاذا كان في السابق يضطر لتخصيص ميزانية ضخمة للانفاق على القواعد العسكرية والجيوش المرابطة ، والتجهيزات القتالية ، ها هم ابناؤه وتلاميذه يكفونه المهمة ، ويحققون ما اراد دون تكاليف باهظة كالسابق .

إنه يعتمد على اولئك الأفراد الذين وان كانوا من نفس البلاد إلا أنهم تربوا في مدارسه ، وتشربوا مناهجه ، وطريقة تفكيره ، وحينها سلم لهم المناصب والمواقع ولم يخسر شيئاً .

وحتى اليوم لا يزال العدو يدخل بيننا عبر هذه النماذج من الطلاب الذين يذهبون لدراسة العلم ، وتحقيق تقدم الأمة واستقلالها ، ولكنهم يرجعون مربوطين الى الفكر الاستعماري برباط وثيق لا ينفكون عنه .

ان غالب الجامعات الاجنبية التي يذهب اليها ابناء مجتمعنا لا تدرس العلم فقط ، وانما تعطي للطالب منهجاً في الحياة ، وطريقة للتفكير بل تصنع له انتماء خاصاً ، وهكذا يرجع البعض ليكون اكبر همه أن يقوم بتقليد الغرب وربط المجتمع ـ قدر امكانه ـ بالفكر والنهج الاستعماري .

فليس غريباً أن نجد بعد هذا أن أبرز القيادات المعروفة في بلادنا الاسلامية انما تم تصنيعها في الخارج ، وضمن قوالب أجنبية ، وحينها لن يكون عسيراً علينا فهم سبب تخلف الأمة ، وانحطاطها حتى اليوم .

هؤلاء الذين تخرجوا من الجامعات الامريكية والذين يحتلون اليوم مواقع اساسية في الادارة والحكم في بلادنا الاسلامية .

وهكذا لو شئنا لاستعرضنا الكثير من الأسماء التي ربيت ، واعدت لتسلم هذا الدور .

والعدو انما يقوم بهذا الدور لأنه يعرف أهمية التركيز على تربية الكفاءات والكوادر ، حيث أنها سترث الوضع الموجود ، وستقوم بخدمته بشكل أفضل ، وإذا كان العدو يعرف (من أين تؤكل الكتف) ويعد عدته للاستفادة من الفرص عبر هذا السلاح القاطع ، فان على المؤمنين أن يكونوا اكثر حزماً ووعياً للاستفادة من هذا السلاح ، ذلك أنه بالامكان تربية الشباب العامل ضمن برنامج اسلامي يخرج الفرد منهم من حالة الحماس والاندفاع العام للعمل في سبيل الله إلى حالة التركيز الشديد والقدرة على التخطيط ، وفهم مختلف جوانب الصراع اضافة إلى تهذيب الشخصية . . إن ذلك لهو أقوى اسلحة الصراع .

٢ / والثورة تحتاج إلى قادة :

تتحرك الجماهير توافة إلى الحرية ، معلنة تمردها على الباطل ، وتتسارع حركتها حتى تسبق التوقعات ، وتتجاوز التنبؤات ، غير أنها لا تصل إلى النصر إلا مع وجود قيادة رسالية مخلصة ، فكم من المجتمعات تحركت وقدمت الشهداء والضحايا قربانا لحريتها واستقلالها ، غير أنها (قنعت من الغنيمة بالاياب) كما يقال ، فلم تستطع تحقيق أهدافها ، هذا رغم ضخامة التحرك .

ولا تقتصر حاجة الثورة والجماهير إلىٰ القيادة على القمة والرأس وانما تمتد إلىٰ صعيد الوسائط والجسور بين القيادة والجمهور وهذا دور الطلائع والكوادر .

من هنا رأينا كم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكيماً عندما بيّن للأمة القيادة الشرعية التي ينبغي أن تسير وراءها .

ووضع الثورة وضع استثنائي ، فينبغي تفويت الفرصة علىٰ الاعداء فيه ، إذ من السهل ـ إذا لم يلتفت المؤمنون ـ سرقة الثورة ، واختطاف جهود العاملين فقد قيل أن الهزيمة تولد يتيمة والانتصار له ألف أب . . إذ يتشبث كل واحد بذيول النصر ، متصورا أنه صانعه ، حتىٰ اولئك الذين كانوا يتمنون في يوم من الأيام ، مجرد أمنية ، أن ينتصر المسلمون وأن تنجح الثورة حتىٰ اولئك المتمنون يجعلون أنفسهم أبطال نصر ، ويتسابقون في بيان أدوارهم واعمالهم القليل من الحقيقة والكثير من الاصطناع . وإلىٰ ذلك يشير القرآن حين يتحدث عن هذه الفئة التي تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتكسب موقعاً من رصيد الآخرين ، بينما لم تشارك أيام الضراء بعمل ، ولم تبذل شيئاً .

ان العدو يمتلك احتياطيا من القيادات المعلبة الجاهزة للتصدير ساعة يرىٰ الفرصة مناسبة ، ولقد كان لامتنا الاسلامية في اكثر من موقع تجربة مرة مع هذه القيادات . . بعضها نجح في اداء الدور وبعضها فشل بفضل وعي الثائرين .

في ايران حين بدأت الثورة تشتد ، ويقوى ساعدها وبدأت توجه الضربات إلى الهيكل الشاهنشاهي المتآكل ، في نفس الوقت حاول الاستعمار أن يسرق ثورة المؤمنين عبر ابراز تيارات عميلة على السطح مثل شاهبور بختيار وغيره ، ولكنه لم ينجح بفضل الله . ثم بوعي القيادات المؤمنة ، غير أنه في بلد مثل الجزائر نجح فاذا بنا نجد أن تلك الثورة الاسلامية التي أعطىٰ فيها الشعب اكثر من مليون شهيد ، إذا بها تسقط في مستنقع القيادات

العلمانية والاشتراكية ، فتضيع تلك الجهود . . وهذا ما يحاول الاستعمار اليوم تطبيقه في بقية بلادنا الاسلامية حيث أنه في نفس الوقت الذي يقوم بتشويه صورة العلماء الرساليين والقيادات الصالحة عبر اتهامها بالارهاب والتطرف ، يحاول تلميع صورة الشخصيات المرتبطة به ، ففي كل يوم لهم جولة ، وأخبار ، وابراز في وسائل الاعلام .

وهنا نحتاج إلىٰ اعداد اكبر عدد ممكن من الكوادر ، والعناصر القيادية القادرة على قيادة المجتمع ساعة يتحرك .

٣/ لاستمرار التحرك :

يخطيء من يظن النصر صدفة تخطيء طريقها فتصل إلينا بقدر ما يخطيء أولئك الذين يتصورون الثورة نزهة قصيرة تجري فيها كل الرياح بما نشتهي .

تغيير المجتمع ، والثورة على الواقع الفاسد الموجود ، عملية معاناة طويلة وشاقة ، وعملية مبالغة في بذل الجهد ، وقد ينقضي جيل كامل دون أن تكتحل أعينهم برؤية رايات النصر .

والطاغوت الجاثم في بلادنا يهلك الحرث والنسل ، لن يجلس جلسة المتفرج وهو يرىٰ العاملين قد شدوا حزام الجد والتحرك . انه سوف يتحرك ويبطش ، ولن يتوانىٰ عن فعل ما يراه ضروريا لابقاء سيطرته وحكمه . . ألم يقل فرعون للسحرة الذين آمنوا بنبي الله موسى (عليه السلام) مهدداً ومتوعداً ﴿ **قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون * لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين** ﴾ [1] .

---

(١) الشعراء / ٤٩ .

واعتماد العاملين والحركة الاسلامية على شخص واحد أو عدد محدود من الاشخاص يجعل فرصة استمرار العمل والتحرك فرصة محدودة ، إذ من السهل أن يقوم العدو باستئصال هذا الشخص من بين المجتمع عبر الاعتقال أو الاغتيال بينما تقتضي استمرارية الحركة وجود عدد اكبر من الكوادر والقيادات كلما غاب منهم واحد قام الآخر مكانه . ان انتشار الاسلام في الجزيرة العربية وما حولها في فترة قياسية بدءاً ببعثة الرسول وحتى سيطرة المسلمين على بلاد الروم وفارس ، وانتشاره فيما بعد إلى مختلف أرجاء المعمورة انما كان بسبب تربية رسول الله (ص) للمسلمين ، حيث تحول اكثرهم إلى قادة بالقوة ، ومتى ما وجدوا فرصة لتحويلها إلى فعل قاموا بذلك تلك التربية التي تصنع من اسامة بن زيد ذي الثمانية عشر ربيعاً قائداً عسكرياً لاكبر جيش بعثه الرسول ولمحاربة احدى الدول العظمى آنئذ .

إن مجتمعاً توجد فيه هذه القوة ، قوة الانسان المؤمن الحامل قضية لا يمكن أن يقهر .

وإن بقاء حركة التشيع في التاريخ رغم هذه المجازر والمذابح التي تعرض لها قادتها وكوادرها ، انما كان يرجع لهذا السبب ، فبالرغم من أن الأئمة (ع) لم يقض أحدهم حتف أنفه ، بل كانوا بين مقتول ومسموم ، ورغم أن اصحابهم ووكلاءهم لوحقوا وشردوا ، وكانت همة الوالي أن يتقرب إلى الخليفة بسفك دمائهم . . إلا أنهم بقوا ولم تتوقف الحركة الرسالية في التاريخ ولم تهدأ إلا لتبدأ عاصفة جديدة .

ولو لم تمتلك الحركة الرسالية هذا العدد الكبير من الكوادر الذين حافظوا على الرسالة وجسدوا في حياتهم قيمها وتعاليمها ، لأصبح من السهل على أعداء الاسلام أن يغلقوا ملفه ويختموه بالشمع الأحمر ، غير أن الله بفضله هيأ هؤلاء ليكونوا حفظة ورعاة .

واليوم حيث تواجه الحركة الاسلامية طغيان الحاكمين والامويين الجدد

لابد ان تتسلح بسلاح الكوادر ، كيلا تسقط الراية .

إن استمرار الحركة الاسلامية يقتضي وجود نهج مستمر ، يصنع الكوادر ويتجسد فيهم ، بحيث لا تستطيع الأحداث العصيبة ، والصراعات العنيفة تغيير هذا النهج ، أو اغتياله . . وإن الخطأ الذي وقعت فيه بعض الفئات الاسلامية أنها غفلت عن هذا المعنى ، فاكتفت بذلك العدد المحدود من القيادات لديها ، حتى إذا تصاعد الصراع مع النظام الجائر وجدت هذا العدد القليل من القيادات قد انتهىٰ بين قتيل وسجين ومشرد واحياناً مستسلم !! وكان أن امكن انهاء نهجها الثوري الذي بدأت به أو تغييره أو (تهذيبه) !

إن أفضل ما يصنعه الاسلام في نفوس اتباعه ومعتنقيه أن يكشف الحجب عن طاقاتهم الكامنة ، ويزيل الغبار عن قدراتهم المخبوءة ، فاذا بهذا المرء الذي كان يحسب نفسه (كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها) يبصر واقع حياته كخليفة الله في أرضه أمر بعمارتها ، واصلاح فسادها ، ويرفعه حتىٰ يرىٰ العالم الاكبر الذي انطوىٰ فيه فاذا بذلك الأعرابي الذي كان همه لا يعدو عقال بعيره ، إذا به يصبح همه جميع البشر . .

وان علىٰ العاملين أن يستفيدوا من هذه القوة العظيمة في واقع العمل الرسالي ، وفي اعداد الطلائع المؤمنة .

٤ / طبيعة الصراع :

الصراع مع العدو صراع حضاري ، لا يكفي فيه أن يتم تهديم الاسس التي يعتمد عليها ، بل لابد من ايجاد البديل الافضل قبل واثناء عملية الهدم . ولا يجاد البديل لابد من توفير صفات اضافية في العاملين علىٰ الاقل علىٰ مستوىٰ الطليعة . لابد من سد النقص الكمي الموجود لدىٰ العاملين بزيادة كيفية في الصفات والقدرات لدىٰ هؤلاء القلة ، وفي غير هذه الحالة تكون المواجهة بين فئتين ، فئة كبيرة تمتلك الوسائل المادية وفئة أخرىٰ مجردة عن صفات الانتصار والنتيجة معروفة في معركة غير متكافئة كهذه .

وقد يكون هذا منسجماً مع ما نفهمه من عدد من آيات القرآن الحكيم التي تتعرض لصراع المسلمين القلة مع اعدائهم الكافرين الكثرة ، وضرورة توفير صفات استثنائية في معسكر القلة المسلمة لكي تتغلب على كثرة الكفار ، مثل الآية الكريمة التي تشترط أن يكون المؤمن نوعياً بمقدار عشرة رجال من الكفار ، سواء في شجاعته ، أو قدراته الأخرى لتحقيق الانتصار على الكافرين .

﴿ ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[1] .

ولعل التاكيد على كلمة « صابرون » واشتراطها في العشرين يبين لنا النوعية المطلوبة .

وهكذا الحال في استعراض القرآن لا حدى تجارب بني اسرائيل بقيادة طالوت في صراعهم مع جالوت ذي الكثرة والجند ، حيث يقول ربنا سبحانه :

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم باذن الله . . ﴾[2].

اننا نلاحظ أن انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة لم يتم إلا باذن الله وبعد توفير عدد من الصفات في المؤمنين كشف عنها الامتحان الذي قام بها

---

(١) الانفال / ٦٥ .

(٢) البقرة / ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

طالوت لجنوده في شرب الماء . . حيث ابرزت عدداً من الصفات في معسكر القلة « . . إلا قليلا منهم » ، من هذه الصفات طاعة القيادة وانتماء الكامل إليها حيث اطاعت القلة أمر طالوت بعدم الشرب من النهر ، ومنها الصبر على العطش ومقاومة اهواء النفس ، ومنها التوكل على الله والثقة بنصره . . عبر هذه الصفات انتصر مجتمع بني اسرائيل بقيادة طالوت على جالوت وجنوده ، وعبر هذه الصفات تنتصر كل الفئات على أعدائها .

إن العاملين في سبيل الله مهما كثروا إلا أنهم أقل عدد وعدة من العدو لذا فالحاجة تشتد إلى أن يكون كل عنصر من العاملين حاملاً لصفات اضافية ، ومميزات تجعله يتفوق بمفرده على عدد كبير من الاعداء . ويلزم ذلك أن يوجد منهج لتربية العاملين لكي يتحولوا إلى طلائع وقادة .

ووجود هذه العناصر المتفوقة على العدو حضارياً يجعل الحركة الاسلامية قادرة على ازالته وانهاء وجوده بشكل طبيعي .

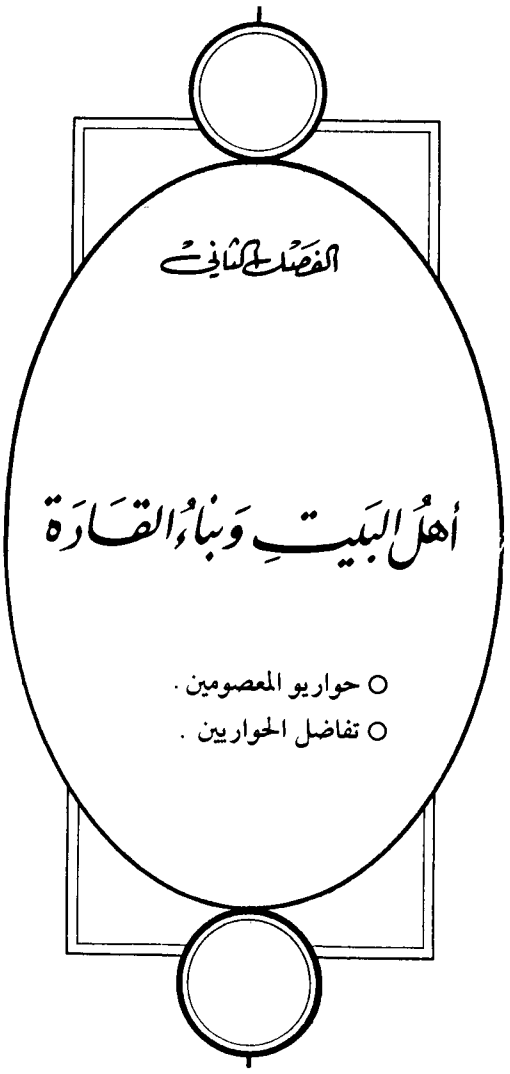

الفصل الثاني

أهل البيت وبناء القارة

- حواريو المعصومين .
- تفاضل الحواريين .

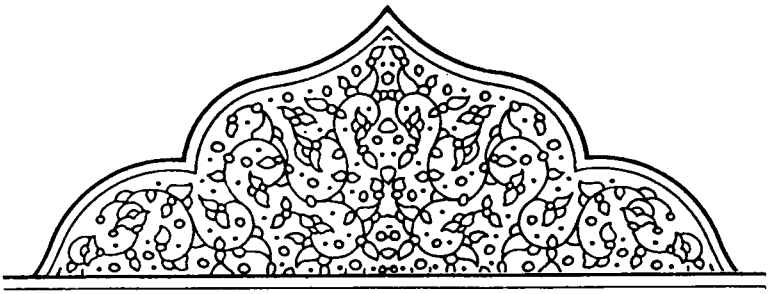

هناك عدة نظريات بالنسبة إلىٰ الثورة والعنصر الفاعل فيها . بعضها يعتمد السلاح ، وأنه لا يمكن تغيير الوضع الفاسد إلا بالرصاصة ، وأي عمل خارج اطار البندقية لغو. معللين أن العنف لا يرفعه إلا العنف ، ولذلك فمن العبث اضاعة الوقت في برامج غير اساسية .

البعض الآخر يعتمد علىٰ تغير وتبدل وسائل الانتاج ، وما تفرزه من صراع عنيف بين الطبقات يؤدي اخيراً إلىٰ سيطرة القوىٰ الكادحة ، وازالتها للقوى البرجوازية من ساحة السيطرة .

وهناك نظريات أخرى . .

وللاسلام رؤيته الواضحة ـ وبصيرته النافذة في هذا الموضوع إذ أنه يتوجه إلى الانسان ، فيصيغه صياغة جديدة ، ويصنعه وفق اسسه الخاصة ثم يصنع به الثورة . إن هذا الانسان كنز غير مكتشف حتىٰ لنفسه ، ووظيفة الاسلام أن يكشف عن هذا الكنز ، ويزيل الغبار العالق به .

ولهذا كرمه الله وجعله خليفة في الأرض ، وأنعم عليه بنعم اختصه بها دون سائر مخلوقاته : نعمة العقل ليميز بين الخير والشر ، ونعمة الارادة ليتخذ موقفه حسبما يمليه علمه عليه ، ونعمة الوحي لتعيد إليه توازنه وتثير دفائن عقله[1] .

---

(١) البعث الاسلامي للعلامة المدرسي .

ولو لم يكن للاسلام معجزة سوىٰ تربيته لهذه المجموعات الرائعة لكفى بها معجزة . . فقد وجدنا أهل البيت (عليهم السلام) يركزون علىٰ هذا الجانب ويرعونه حق الرعاية . وسوف نتعرض إلىٰ هذا الجانب في الصفحات القادمة .

من الأمور الضرورية التي يتنبه إليها العاملون مسألة بناء مجموعات خاصة يولونها عناية واهتماماً اكثر مما يفعلون بسائر أصحابهم ويخصونهم بنوع معين من التوجيهات والوصايا ، إضافة إلىٰ تربيتهم تربية استثنائية .

وهذا الأمر كما قدمنا في صفحات سابقة ضروري سواء لاستمرار التحرك أو لقيادة الثورة ، أو للنجاح والانتصار في الصراع مع العدو ، غير أنه ليس أمر جديداً ومبتكراً كما يتصور البعض حين نتكلم عن تربية الكوادر ، واذا كانت التسمية حديثة واستخدمناها هنا للتوضيح ، فان المعنىٰ موجود منذ القدم ، ذلك إن القرآن الكريم يتحدث عن نبي الله عيسى (عليه السلام) قبل الآف السنين ، ويبين وجود هذه المجموعة التي يسميها الحواريين فيقول :

﴿ واذا أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾[1] .

والمعصومون ـ عليهم السلام ـ وهم اصحاب رسالة تغييرية شاملة لاشك أنهم ـ وهم اعلم الناس ـ يرون هذا الامر وفعلاً فقد قاموا بتربية عدد من الناس وجدنا دورهم متميزاً ، بفعل التربية الاستثنائية التي تلقوها من المعصومين (عليهم السلام) ، ورغم أن اصحابهم (عليهم السلام) كانوا كثيرين إلا أننا نجد أنه في حياة كل واحد منهم كان هناك مجموعة خاصة ، أشاروا إليها بالاحترام والتقدير .

---

(١) المائدة / ١١١ .

حواريو المعصومين (عليهم السلام) :

النص الذي سوف ننقله يبين لنا عرضاً مجملاً لهذه المجموعات في حياة كل معصوم ، ويمكن للمتابع أن يدرس حياة هؤلاء العناصر ومواقفهم لكي يتبين أثر هذه التربية . ولا يعني ايرادنا للحديث الشريف أن الأئمة لم يكن لديهم غير هؤلاء المذكورين في الحديث من العناصر ، فبالاستفادة من احاديث أخرى سنوردها يتضح لنا وجود عدد من الكوادر الذين قاموا بأدوار مهمة ، وخصهم الأئمة (عليهم السلام) بمزيد من الاهتمام تبعاً للدور المطلوب منهم .

أما النص الذي يتحدث عن حواريي الأئمة فعن الامام موسى بن جعفر(عليهما السلام) قال :

﴿ إذا كان يوم القيامة نادى مناد اين حواريّ محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان والمقداد وابو ذر ثم ينادي مناد اين حواريّ علي بن ابي طالب وصي محمد بن عبدالله رسول الله ؟ ! فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن ابي بكر وميثم بن يحيى التمار مولىٰ بني اسد واويس القرني ، ثم ينادي المنادي اين حواريّ الحسن بن علي بن فاطمة بنت محمد بن عبدالله رسول الله ؟ فيقوم سفيان بن ابي ليلى الهمداني وحذيفة بن اسيد الغفاري ثم ينادي المنادي اين حواريّ الحسين بن علي ؟ فيقوم كل من استشهد معه ولم يتخلف عنه ثم ينادي المنادي اين حواريّ علي بن الحسين فيقوم جبير بن مطعم ويحيى بن ام الطويل وابو خالد الكابلي وسعيد بن المسيب ثم ينادي المنادي اين حواريّ محمد بن علي وحواريّ جعفر بن محمد ؟ فيقوم عبدالله بن شريك العامري وزرارة بن اعين وبريد بن معاوية العجلي ومحمد بن مسلم وابو بصير ليث بن البختري المرادي وعبدالله بن ابي يعفور وعامر بن عبدالله بن جداعة وحجر بن زائدة وحمران بن اعين ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الائمة يوم القيامة فهؤلاء

المتحورة اول السابقين واول المقربين واول المتحورين من التابعين ﴾[1] .

وليس وضحاً ما إذا كان الامام الكاظم (عليه السلام) وهو قائل الحديث قد سكت عن بقية الحواريين بدءاً من حواريه (عليهم السلام) وانتهاء بحواريي بقية الأئمة مكتفياً بالحديث عن حواريي آبائه واجداده عليهم السلام . . هل كان ذلك لأجل التقية وما تفترضه من اخفاء اسمائهم حفاظاً علىٰ حياتهم من جهة وعلىٰ سرية العمل من جهة أخرىٰ ، او لسبب آخر ، وعموماً سنتعرض للموضوع في موقعه في حواريي الامام الكاظم (عليه السلام) .

وباستعراض سريع نجد أن الأئمة (عليهم السلام) قد تحدثوا عن حواريهم وكوادرهم موجهين اصحابهم الآخرين إلىٰ الأخذ عن هؤلاء والرجوع اليهم خصوصاً في حالة عدم قدرتهم عن الرجوع إلىٰ الأئمة مباشرة . . مع ملاحظة أن دائرة هؤلاء قد تتسع فتشمل اسماءً لم ترد في الحديث المتقدم الذكر ، الذي ذكر حواريي الأئمة ليس علىٰ سبيل الحصر كما نعتقد وانما باعتبار هؤلاء الافضل بين الحواريين .

---

(١) رجال الكشي ج ١ / ٤١ .

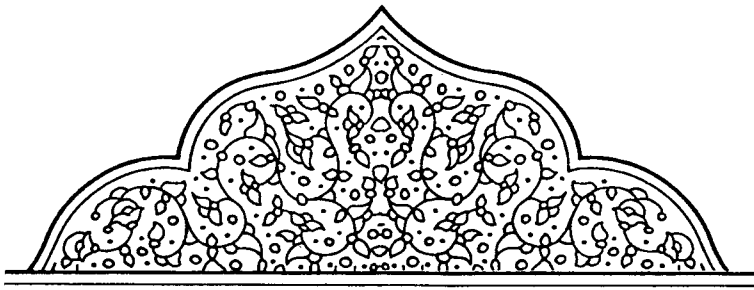

١ / حواريو الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) :

ـ عن ابي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الله أمرني بحب اربعة . . قالوا ومن هم يارسول الله ؟ قال : علي بن ابي طالب والمقداد بن الاسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي »[1] .

ـ في حديث آخر يتحدث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عن بعض صحابته موصيا أمير المؤمنين بهم فعن علي (عليه السلام) انه سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلاً :

« يا رسول الله انك قلت إن الجنة تشتاق إلىٰ ثلاثة فمن هؤلاء الثلاثة ؟ قال : انت منهم وانت اولهم ، وسلمان الفارسي فانه قليل الكبر وهو لك ناصح فاتخذه لنفسك ، وعمار بن ياسر شهد معك مشاهد غير واحدة ليس منها إلا وهو فيها كثير خيره ، ضوي نوره عظيم اجره » .

ورغم أن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي رأوه يزيدون على (١٤٠) ألف كما تدل بعض الروايات ، إلا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) اختص بعدد من الاولياء الاوفياء ، ركز عليهم واورثهم علمه ،

---

(١) رجال الكشي ١ / ٤٦ .

وأدبهم بأدبه واولهم أمير المؤنين (عليه السلام) فعن رسول الله (صلى اللهعليه وآله وسلم) أثر قوله : « أنا اديب الله وعلي أديبي » [1] .

وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير أمير المؤمنين في وصيته التربوية الرائعةلكميل بن زياد قائلا في مطلعها : (يا كميل إن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله أدبه الله عز وجل وهو أدّبني وأنا أؤدب المؤمنين واورث الأدب إلمكرمين) [2] .

وسوف نتعرض إلى ذكر موجز عن حياة بعض حواريي المعصومين (عليهم السلام) لنشاهد اثر التربية الرسالية التي تلقوها في حياتهم الحافلة .

سلمان المحمدي :

اختلفوا في مقدار عمره ولكنهم اتفقوا على صفاته ، واولها وأهمها البحث عن الحقيقة .

قلة من الناس من يملكون هذه الصفة ، فيطوون القفار ، ويركبون الصعاب لأجل فكرة حقة ، ونهج سليم ، بينما الاكثرية تعتقد ـ عادة ـ بصواب افكارها ، ولا تكلف نفسها حتىٰ عناء مراجعتها وتقييمها .

وهذا لعمري سبب رئيسي لتخلف الكثير ، وبقائهم في اسفل السلم . والمنهج الالهي يريد تعليمنا هذه الحقيقة باستمرار كما في قصة النبي ابراهيم (عليه السلام) الارشادية حين رأى الكواكب الآفلة ، وكان يعلم الناس منهج البحث عن الحقيقة .

وقصة حياة سلمان (رضوان الله عليه) تعبير رائع عن هذا المفهوم . . ففي بداية حياته أجبره أبوه على التكيف مع المجوسية ، ولكن قلبه العاطش للحقيقة لم يرتض هذا الطريق ، حتى ذهب إلى دير النصارى وبقي فيه زمناً ، ولم يكن نصيبه هنا أفضل من سابقه فاتجه قاصداً تهامة وفي الطريق استرق

---

(١) رجال الكشي ج ٢ .
(٢) تحف العقول .

وبيع على أنه عبد ليهودي، ثم إلى امرأة حتى وصل أخيراً إلى الحق ، ووجد ضالته لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

اختص سلمان برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعلي (عليه السلام) ولذا استطاع فهم الاسلام وبرز بين جميع المسلمين بل فاقهم ، فعن عائشة قالت : كان لسلمان مجلس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكمل مشوار تربيته علي (عليه السلام) الذي يقيمه عندما يسأله أحد أصحابه عن سلمان . . ما تقول فيه ؟!

فقال (عليه السلام) :

« ما اقول في رجل خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا خصه الله تعالىٰ من العلوم بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها وسرها وعلانيتها » .

ويحدد الامام الصادق (عليه السلام) سبب رفعة سلمان ووصوله إلى هذه الدرجات من الكمال حتى قال فيه الرسول انه منهم أهل البيت ، معللاً ذلك بذوبانه في قيادته وتقديمها على نفسه وهواه ، وكونه مع الفقراء والمستضعفين ، وسعيه الدائم للمعرفة واهلها .

فعن منصور بزرج قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ما اكثر ما اسمع منك يا سيدي ذكر سلمان الفارسي . . فقال : « لا تقل سلمان الفارسي ولكن قل سلمان المحمدي . . أتدري ما كثرة ذكري له ؟ قلت : لا . فقال : لثلاث خصال :

أحداها : ايثاره هوىٰ أمير المؤمنين على هوى نفسه .

والثانية : حبه للفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد .

والثالثة : حب العلم والعلماء . . ان سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً وما كان من المشركين » .

وبعدة وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحين ضل اكثر الناس الطريق السليم وجروا مع الواقع الفاسد وقف سلمان بما عهد عنه من بصيرة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عندما تولى ولاية المدائن من قبل الخليفة الثاني لم يتم ذلك إلا بعد أن أخذ رأي أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأمر ، وكان يسير على نهج علي (عليه السلام) ، حاكماً زاهداً ، يكسب ـ وهو حاكم ـ من كديده عبر عمل الخوص .

وعندما جاء إلى المدائن لم يكن يملك إلا زوادته وعصاه فلما استقبله الناس ما عرفوه حتى دخل المدائن فمهدوا له قصر الامارة فقال استأجروا لي حانوتاً في السوق احكم بين الناس فاستمر على هذه الحال حتى فاض نهر دجلة وخربت بسببه اكثر المنازل . . فلما قربت المياه من الحانوت وضع سلمان جلد كبش كان فراشه على ظهره وأخذ زاودته وعصاه ورقى فوق الجبل وقال : هكذا ينجو المخفون .

واستمر في حياته المليئة بالبركة والعطاء ، وهو في كل لحظاتها قدوة واسوة للرساليين ، فسلام عليه يوم كان باحثاً عن الحق ، وسلام عليه يوم انتمى للرسالة وتربى بتعاليمها ، وسلام عليه يوم ذهب إلى لقاء ربه الكريم .

المقداد بن الاسود الكندي : ت سنة ٣٣ هـ

أحد الاركان الأربعة . . الوحيد الذي لم يدخله شك في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) و (لم يتغير منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فارق الدنيا ـ طرفة عين . . لم يزل قائماً قابضا على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين (عليه السلام) ينتظر متى يأمره فيمضي) كما يقول الامام الصادق (عليه السلام) .

شارك في مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه بشأن الحرب قال له المقداد : يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » ، ولكن والذي بعثك بالحق إنا نقول لك إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

غير ان الموقف المشهود الذي وقفه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشجاعته في تأييد علي (عليه السلام) ، مع نفر قليل إذ تخلى الكثير عن موقفهم المبدئي إما رغبة أو رهبة أو تحت وطأة المفاجأة إلا ثلاثة : المقداد بن الأسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي .

وبين هؤلاء كان المقداد هو الاكثر ثباتاً فعن الصادق (عليه السلام) : « ما بقي أحد إلا وقد جال حولة إلا المقداد بن الأسود فان قلبه كان مثل زبر الحديد » ، وكان ينتظر الاذن من أمير المؤمنين (عليه السلام) كما تقدم في الحديث الأول .

وبعد أن مرت السنوات وعادت المسألة من جديد في (الشورى) ، كان له موقف عنيف تجاه ما يجري ، فقد اقبل والناس مجتمعون فقال ايها الناس اسمعوا ما اقول : انكم إن بايعتم علياً سمعنا واطعنا وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ، فقام عبدالله بن ربيعة بن المغيرة المخزمي وقال : ايها الناس انكم إن بايعتم عثمان سمعنا واطعنا وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا . وقال له المقداد : يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون ؟ وبعد أن تم الأمر لقي المقداد عبد الرحمن بن عوف ، فقال له : ان كنت انما اردت بما صنعت الدنيا فاكثر الله مالك . فقال عبد الرحمن : اسمع رحمك الله اسمع . . فجذب المقداد يده وقال : لا اسمع والله .

وكان دائم التوبيخ لعبد الرحمن بن عوف على موقفه تجاه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد لقيه ودار هذا الحوار :

ـ المقداد : والله يا عبد الرحمن ما رأيت مثلما اتى إلى اهل هذا البيت بعد نبيهم .

ـ عبد الرحمن : وما انت وذاك يامقداد ؟ !

ـ المقداد : والله اني لأحبهم لحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم ويعتريني وجد لا أبثه بثة لتشرف قريش علىٰ الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله من ايديهم .

ـ عبد الرحمن : ويحك لقد اجهدت نفسي لكم .

ـ المقداد : والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون والله لو أن لي على قريش اعواناً لقاتلتهم قتالي اياهم يوم بدر وأحد .

ـ عبدالرحمن : ثكلتك امك يا مقداد لا يسمعن هذا الكلام منك الناس اما اني والله خائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة .

ـ المقداد : إن من دعا إلى الحق واهله وولاة الامر لا يكون صاحب فتنة ولكن من اقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة[1] .

وصدق الرسول الكريم حين وصف المقداد بأنه لا يقاس بغيره ، وانه نسيج وحده فقال : « انما منزلة المقدار بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء »[2] .

عمار بن ياسر العنسي : ت سنة ٣٧ هـ

« صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة » . . كلمة قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشجعاً اولئك المعذبين على يد قريش وبقيت تحطم صخور النسيان بازميل الخلود .

---

(١) اعيان الشيعة / السيد محسن الامين ١٠/١٣٤ .
(٢) بحار الانوار / العلامة المجلسي ٢٢ / ٤٣٩ .

اسلم عمار وآمن برسالة رسول الله ، وتفاعل معها بكل خلاياه ، ورغم الأذى والتعذيب الذي بلغ به إلى درجة أنه لم يكن يدري ما يقول أو يعي ما يتكلم ، إلا أنه إستطاع أن يستوعب توجيهات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصل في درجات القرب من نهجه وخطه إلى أن يقول فيه الرسول : « عمار جلدة ما بين عيني وانفي » ، « إن عماراً مليء ايماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه » ، ويخاطبه قائلاً : « انك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية » .

أيضا كان كاخوته في الرسالة من المكافحين عن حق علي (عليه السلام) فبعد أن بويع عثمان قام عمار بن ياسر ونادى : يا معشر المسلمين انا قد كنا وما نستطيع الكلام قلة وذلة فاعزنا الله بدينه واكرمنا برسوله فاحمد الله رب العالمين يا معشر قريش إلى متىٰ تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم تحولونه ها هنا مرة وها هنا مرة ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير اهله . . فقام له هشام بن الوليد بن المغيرة بمنطق العلو الجاهلي ، والاستكبار القرشي فقال له : يابن سمية لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك ما انت وما رأت قريش لانفسها انك لست في شيء من امرها وامارتها فتنح عنها .

ولقد كان حساساً للمظالم التي كان يراها من ولاة عثمان وكان يتحدث عنها ، مما سبب أن يعتدي عليه اعوان السلطة ويؤذوه .

ختم حياته الشريفة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين ، وكان في المعركة لا يأخذ في ناحية إلا رأيت اصحاب محمد يتبعونه كانه علم لهم ، وهو يقول لهاشم بن عتبة : يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في اطراف الاسنة اليوم القى الأحبة محمداً وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل .

ووقف علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤبنه بعد شهادته وهو يناهز التسعين :

(إن امـرأ من المسلمين لم يعـظم عليه قتـل عمار بن يـاسر ويدخـل عليه المصيبة لغير رشيـد رحم الله عماراً يـوم اسلم ورحم الله عماراً يـوم قتل ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً ، لقد رأيت عماراً وما يـذكر من أصحـاب رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) اربعـة إلا كـان رابعـاً ولا خمسـة إلا كـان خامساً) .

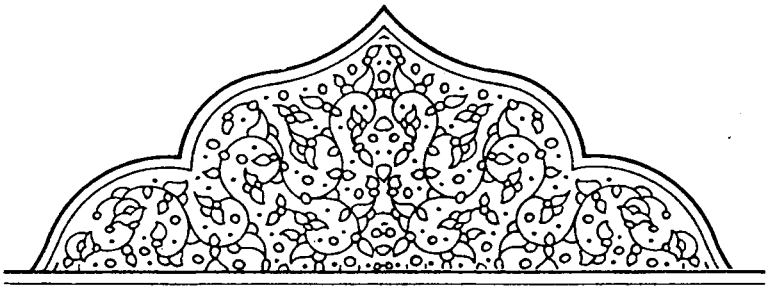

٢ / حواريو الامام علي (عليه السلام) :

تتداخل اسماؤهم مع حواريي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك لأنهم هم الذين ناصروا علياً (عليه السلام) ، ووقفوا معه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ـ فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « ضاقت الارض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون ، منهم سلمان الفارسي والمقداد وابو ذر وعمار وحذيفة (بن اليمان) . . وانا إمامهم »[1] .

غير أن هذه الدائرة تتسع لتشمل عدداً اكبر من اصحاب علي (عليه السلام) هم اولئك الذين انكروا على ابي جلوسه مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبادلوا معه كلاماً عنيفاً مدافعين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهم كما عن ابان بن تغلب قال قلت لابي عبدالله جعفر بن محمد (عليهما السلام) جعلت فداك هل كان أحد من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنكر على ابي بكر فعله وجلوسه ومجلس رسول الله ؟ قال : نعم كان الذي انكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني امية ، وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود الكندي وعمار بن ياسر وبريدة الاسلمي ومن الانصار ابو

---

(١) رجال الكشي ١ / ٣٥ .

الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري . .)[1] .

وطيلة ٢٥ سنة قضاها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعيداً عن الحكم ، اشتغل (عليه السلام) بتربية هذه المجموعات من بقي منها ، وبتلك العناصر الأخرى التي اعدها الامام للظروف الصعبة التي علم أنها ستمر على الأمة بعد حكومة بني أمية ، وحاجة الاسلام إلى عناصر يجسدون الاسلام ويحفظونه بين الناس ، ويقفون مواقف بطولية تكسر جبروت السلطة وطغيانها . . ورغم كثرة المذابح التي قامت بها السلطة الأموية بحيث تحولت مطاردة اصحاب الامام وكوادر إلى قانون دائم إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينهوا وجودهم المعنوي بين الناس ، ولا يزال التاريخ يحتفظ بمواقفهم البطولية ، مشيراً إلى أثر تربية الامام لهم امثال كميل بن زياد ، وحجر بن عدي ، وشيد الهجري ، ومحمد بن ابي حذيفة ونظرائهم .

أويس القرني :

نموذج من الجنود المجهولين ، اولئك الذين يعرفهم أهل السماء اكثر مما يعرفهم أهل الأرض . تحدث عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يره وأخبر عنه أنه يشفع في مثل ربيعة ومضر . انه (رضوان الله عليه) مصداق عدد من الأحاديث الشريفة التي تصف المؤمن بخمول الذكر ، وعدم الشهرة بين الناس ، وانه لو علم الناس ما لديه لتناولوه بأيديهم .

كان من خيار التابعين مدحه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أنه كان ذات يوم بين أصحابه فقال لهم : ابشروا برجل من امتي يقال له اويس القرني فانه يشفع لمثل ربيعة ومضر . . ثم التفت لعمر وقال له : يا عمر ان ادركته فأقرأه مني السلام . . فبلغ عمر مكانه بالكوفة فجعل يطلبه في الموسم لعله يحج حتىٰ وقع إليه هو واصحاب له وهو من احسنهم هيئة وازينهم

(١) رجال السيد بحر العلوم ٢ / ٢٣٢

جلالاً ، فلما سأل عنه انكروا ذلك عليه قائلين ، أتسأل عن رجل لا يسأل عنه مثلك ؟ ـ وكان حينها خليفة ـ فقال : لم ؟

قالوا : لانه عندنا مغمور في عقله وربما عبث به الصبيان .

فقال : ذلك أحب إلي .

وعندما ارشد إلى موضعه وقف عليه وقال : يا اويس إن رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) يقرأ عليك السلام ، وقد اخبرني انك تشفع لمثل ربيعة ومضر ، فخر اويس ساجداً ومكث طويلاً ما ترقأ له دمعة حتى ظنوا انه قد مات فنادوه حتى قام من سجدته . . ولما سمع الناس ذلك أخذوا في طلبه والتمسح به . . فكان يقول : ما لقيت اذىٰ مثلما لقيته من عمر[1] يقصد أنه شهره بين الناس . .

هكذا كانت حياته . . رجل مغمور ، مشغول بعبادته وبرسالته ، يخشى الظهور ويبتعد عن معرفة الناس ، والشهرة حتى استشهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين .

فعن الاصبغ بن نباتة قال : كنا مع علي (عليه السلام) بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً ، فقال : اين تمام المئة ؟ ! لقد عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبايعني في هذا اليوم مئة رجل . . فبينما هو كذلك إذ جاء رجل عليه قباء صوف ، متقلداً بسيفين فقال : ابسط يدك ابايعك ، فقال علي (عليه السلام) : على ما تبايعني ؟ !

قال : علىٰ بذل مهجة نفسي دونك . . فسأله : من أنت ؟

قال : انا أويس القرني ، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتىٰ قتل .

وما لبث بعض جنود معاوية ـ أن علموا أن أويساً قد اصبح في جند أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى تحولوا إليه ، فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : لما كان يوم صفين خرج رجل من أهل الشام على دابة فقال : أفيكم

---

(١) معجم رجال الحديث / آية الله السيد الخوئي ٣ / ٢٤٦ .

اويس ؟ قلنا نعم ما تريد منه ؟ ! قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اويس القرني خير التابعين باحسان . . ثم عطف دابته ودخل مع علي (عليه السلام) .

ابو ذر الغفاري :

جندب بن جنادة . . ثائرٌ الكل يدعيه ، وينسب إليه ، ولكنه يبقى نسيج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتربية أمير المؤمنين (عليه السلام) . . لا نستطيع هنا استقصاء احواله ، والحديث عن حياته . . ولكننا نفهرس .

أحد الأركان الاربعة (سلمان ـ المقداد ـ حذيفة ـ ابو ذر) ، حدد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيته من البداية ، ونمىٰ فيه الصفات الجديرة بالكادر الرسالي ، الصدق ، الثورية والعنف ضد الباطل ، ورعىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرسول هذه الشخصية التي تركت أثراً بالغاً في حياة الأمة .

ـ « ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء علىٰ ذي لهجة اصدق من ابي ذر يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنة وحده » .

ـ « ابو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه » .

هذه بعض الاوسمة التي علقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدر حياته ، داعياً المسلمين للاقتداء به . . انتمى للرسالة وبايع على أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، علىٰ أن لا يخضع للباطل ، وقد وفى مع أن الثمن كان باهظاً في الربذة .

وعلى اساس هذا الانتماء قاوم الانحراف ، في المدينة وفي الشام ، لا يهم عنده أن يتغير مكانه ، المهم أنه هو لم يتغير ، كان يلخص الوضع للمسلمين كالتالي :

ـ « والله اني لأرى حقاً يُطفى وباطلاً يُحيى وصادقاً مكذَّباً واثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه » .

وكان يذهب إلى معاوية في قصره الخضراء . .

« إن كان من مال المسلمين فهي الخيانة وإن كان من مالك فهو الاسراف » .

ـ « سمعت رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) يقول : إذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلا وعباد الله خولا ومال الله دولا »

كان يعرف قيادته الرسالية في معمعة الاحداث ، وكان يوصي الناس بالانتماء إليها .

يقول ابو سخيلة : (حججت أنا وسلمان بن ربيعة فمررنا بالربذة فأتينا أبا ذر فسلمنا عليه فقال لنا : إن كانت فتنة وهي كائنة فعليكم بكتاب الله والشيخ علي بن ابي طالب فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول علي أول من آمن بي وصدقني وهو أول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو الفاروق بعدي يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة) .

وهكذا كان في كل المواقف ثائراً رسالياً ، مقاوماً للباطل لا يقبل المداهنة ولا المساومة ، ورغم محاولة السلطات آنئذٍ احتواءه واستقطابه بالمال مستغلة ـ كما تتصور ـ ظرف الفقر والوضع المادي السيء له . . إلا أنه ظل ثابت الانتماء ، عنيف الثورة ضد الباطل .

فعن الصادق (عليه السلام) قال : (ارسل عثمان إلى ابي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار فقال لهما : انطلقا بهما إلىٰ ابي ذر فقولا له : إن عثمان يقرؤك السلام ويقول لك : هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك . . فقال ابو ذر : هل اعطىٰ أحداً من المسلمين مثل ما اعطاني ؟! قالا : لا قال : فانما

انا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين .

قالا له : انه يقول : هذا من صلب مالي وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام ولا بعث إليك بها إلا من حلال . . فقال : لا حاجة لي فيها وقد اصبحت يومي هذا وأنا من اغنىٰ الناس . . وقد اصبحت غنياً بولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) وعترته الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون) [1] .

حذيفة بن اليمان العبسي : ت سنة ٣٦ هـ

معرفة العدو الداخلي الذي يكمن في نفس جبهة المسلمين ، فينخر كالسوسة الاساس أمر خطير ، وكأي جماعة كان بين اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منافقون تحدث عنهم القرآن الكريم . . ومعرفة هؤلاء لا تتيسر إلا للمخلصين الذين تفانوا في الرسالة وأولهم كان حذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) ، حيث لقب بـ (صاحب سر رسول الله) و (عارف المنافقين) .

منذ أن كان شاباً حاول الالتحاق بجبهة الحق في غزوة بدر مع والده ، ولكن المشركين وقفوا في طريقهما وأعادوهما . . شارك في غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشاهد بعينه قتل والده على يد المسلمين في معركة أحد خطأ ، ولم يتأثر وانما استغفر للمسلمين .

ولصفاته المتميزة فقد كان يوكل إليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المهمات الصعبة ، ففي غزوة الخندق حيث اجتمعت الأحزاب كما تجتمع اليوم لاطفاء نور الله ، واحاطوا بالمدينة ويصف القرآن الكريم الحالة فيقول : ﴿ **واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً** ﴾ ، كان الليل قد ارخى سدوله

---

(١) تنقيح المقال في علم الرجال / للعلامة المامقاني ١ / ٢٣٤ .

وغرقت المخلوقات في بحر الظلام ، وكانت الرياح تهب عاصفة فتضيف الى سواد الليل وحشة ، هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد أن يعرف آخر أخبار معسكر المشركين ولكن من لهذة المهمة ؟. أن يذهب في هذا الليل البهيم رجل الى معسكر الاعداء . . وانتخب الرسول حذيفة وأوصاه أن لا يقتل أحداً ويعود بالأخبار . . ولنترك حذيفة يكمل . . يقول : واتيت القوم فاذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا يثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر فاني لكذلك إذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال : يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه ؟ فبدأت بالذي عن يميني (قبل أن يحدث العكس) فقلت من أنت ؟! قال : انا فلان . . ثم عاد أبو سفيان وأمر وركب راحلته وأمر جيشه بالرجوع فقلت في نفسي لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فذكرت ما أوصاني به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجعت واخبرته بما حدث [1] .

وقد اختص بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتىٰ عد من الاركان الاربعة .

وكان حارساً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عمار حتىٰ نزلت الآية : ﴿ . . والله يعصمك من الناس ﴾ كما كان عارفاً بالمنافقين وعناصر الطابور الخامس بين صحابة الرسول ، بعد أن أعلمه باسمائهم ولم يعلم غيره [2] . . وبعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اشترك في عدد من الحروب لفتح البلاد المشركة فشارك في فتح الري ، وهمدان ، ودينور ، وكان قائد الجيش في معركة نهاوند بعد النعمان بن مقرن .

وبعد الرسول كان من المتجاهرين في التشيع ، وفي الولاء لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان على رأس السبعة الذين ساروا على منهاج نبيهم ولم

---

(١) بحار الانوار ٢٠ / ٢٠٨ .

(٢) رجال المامقاني ١ / ٢٦٠ .

يبدلوا . ولكفاءته وحسن ادارته عينه الخليفة عمر والياً على المدائن واستمر في هذا المنصب رغم كراهة عثمان لذلك حتى قتل عثمان ، ووصل الخبر إلى حذيفة وكان مريضاً على الفراش فتحامل على نفسه حتى وصل المسجد وخطب في الناس مبيناً فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) داعيا الناس إلى بيعته حامداً الله أن رأى الخلافة تؤوب إليه ، وعندما دنت منه الوفاة أوصى ابنيه (صفوان) و (سعيد) أن يلزما أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى يستشهدا معه .

ـ عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« حذيفة بن اليمان من اصفياء الرحمن »[1] .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما سئل عن اصحابه ، وسئل عن حذيفة قال :

« . . علم اسماء المنافقين وسأل عن المعضلات حين غفل عنها ولو سألوه لوجدوه بها عالماً به »[2] .

---

(١) بحار الأنوار ٢٢ / ٣٤٣ .

(٢) نفس الرحمن ص ٥٠ عن الغارات .

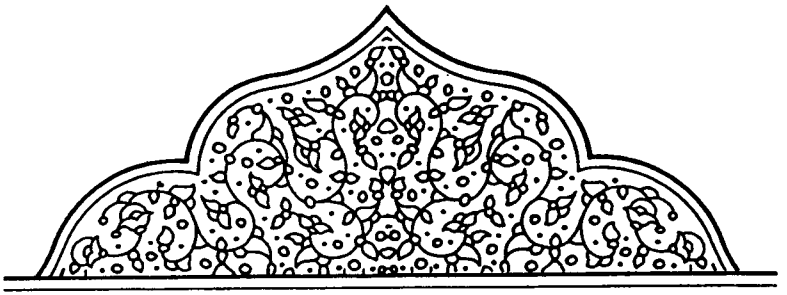

٣ / حواريو الامام الحسن (عليه السلام) :

الرواية المتقدمة تذكر أن حواريي الامام الحسن (عليه السلام) هما سفيان بن ابي ليلى الهمداني وحذيفة بن اسيد الغفاري ، وسوف يأتي فيما بعد أن اسم حذيفة الغفاري يقترن بما يسمى ديوان الشيعة فقد جاء أنه رأى فيه اسمه عند الحسن بن علي وعند علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول لما انصرف الحسن (عليه السلام) إلى المدينة بعد الصلح صحبته وكان بين عينيه حمل بعير لا يفارقه حيث توجه . . فقلت له ذات يوم . جعلت فداك يا ابا محمد هذا الحمل لا يفارقك حيثما توجهت . . فقال : يا حذيفة : أتدري ما هو ؟ قلت : لا قال : هذا الديوان . قلت : ديوان ماذا ؟ قال : ديوان شيعتنا فيه أسماؤهم ، قلت : جعلت فداك فأرني إسمي . قال : فاغد بالغداة .

قال حذيفة : فغدوت إليه ومعي ابن أخ لي وكان يقرأ ولم اكن اقرأ . . قال : ما غدا بك ؟ قلت : الحاجة التي وعدتني . قال : من ذا الفتى الذي معك ؟ قلت : ابن أخ لي وهو يقرأ ولست أقرأ ، فقال لي : اجلس . فجلست فقال : علي بالديوان الاوسط . . فأتي به فنظر الفتى فاذا الاسماء تلوح ، فبينما هو يقرأ إذ قال : هو يا عماه هوذا اسمي ! قلت (حذيفة) : ثكلتك امك انظر اين اسمي فصفح ، ثم قال : هو ذا اسمك فاستبشرنا واستشهد الفتى مع الامام الحسين (عليه السلام)[1] .

---

(١) سفينة البحار ١ / ٢٣٤ .

وهنا نسجل الأسئلة التالية :

هل هذا الديوان يحتوي على أسماء كل الشيعة ؟ او بعضهم ؟ ! أو الكوادر منهم . . ولماذا لم يكن يفارق الامام الحسن (عليه السلام) هذا الديوان . . هل كان الشيعة مختفين وغير معروفين ؟ !

ماذا يعني تخصيصه (بالاوسط) هل هناك ديوان اكبر أو اصغر ؟ !

هل نستطيع الاستفادة من أن اسم حذيفة وهو أحد حواريي الحسن (عليه السلام) واسم ابن أخيه الذي استشهد مع الامام الحسين (عليه السلام) وقد مر أن حواريي الحسين (عليه السلام) هم كل من استشهد معه) . . هل نستطيع أن نسجل هذه الملاحظة أن هذا الديوان يحتوي على اسماء من استشهد مع الحسين (عليه السلام) وهم حواريوه ؟ !

ورغم أن الحديث يذكر للحسن (عليه السلام) اثنين من الحواريين إلا أن من الواضح أن الكوادر التي تربت على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) واصلت جهادها وعملها تحت قيادة الامام الحسن (عليه السلام) ، كعمرو بن الحمق ، وحجر بن عدي ، وجنادة بن أمية وغيرهم ، من كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) واستمر مع الحسن (عليه السلام) .

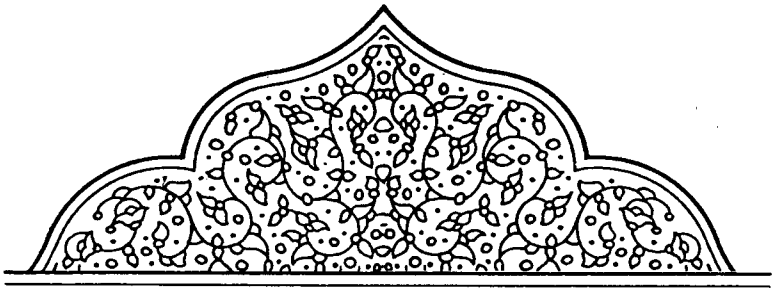

٤ / حواريو الامام الحسين (عليه السلام) :

تشير الرواية السابقة إلى أن كل من استشهد معه هم حواريوه ولعمري انهم لكذلك فان الطليعة هي التي تبقى حين لا يبقى أحد ، وهي التي تصمد حين يفر الآخرون لتنال أعلى الدرجات التي تطلبها عبر الشهادة ، وهذا فعلاً ما تم في كربلاء ، على أنه يمكن أيضاً أن نرى تلك الفئة الطليعية التي تربت على يد أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام) ، وبقيت إلى أوائل إمامة الامام الحسين (عليه السلام) حين يرسل رسالة عنيفة إلى معاوية مبيناً فيها جرائمه ، ويستعرض فيها قتله لتلك الصفوة المؤمنة .

« أولست القاتل حجراً أخا كندة ؟ والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا باحنة تجدها في نفسك .

اولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه بعدما أمنته واعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو اعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد .

اولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه ، فكتبت إليه ان اقتل كل من كان على دين علي

فقتلهم ومثل بهم بأمرك ، ودين علي (عليه السلام) والله الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك وبه جلست مجلسك الذي جلست ولولا ذلك لكان شرفك وشرف ابيك الرحلتين . . . » [1] .

وأيضاً حواريوه وانصاره اولئك الذين وقفوا حين خذلته الجموع ، وتفانوا فيه حين فني غيرهم في صراعات الدنيا ، اولئك الذين يقدر لهم الامام الحسين (عليه السلام) مجيئهم معه ثم يطلب منهم أن يتفرقوا عنه ، ويحللهم من بيعته ، ولكنهم يقفون موقفاً واحداً ، حفظ للاسلام امتداده واستمراره .

فحينما وصل الامام الحسين (عليه السلام) الى كربلاء ، وخيم ليل العاشر من شهر محرم الحرام قام الامام (عليه السلام) في اصحابه خطيباً فقال :

« اللهم اني لا اعرف اهل بيت أبر ولا ازكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي وقد نزل بي ما قد ترون ، وانتم في حل من بيعتي ، ليست لي في اعناقكم بيعة ، ولا لي عليكم ذمة ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سواده ، فان القوم انما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري . . » .

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقيل فقال : يا ابن رسول الله . . ماذا يقول لنا الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن سيد الاعمام وابن نبينا سيد الانبياء ، لم نضرب معه بسيف ولم نقاتل معه برمح ، لا والله او نرد موردك ، ونجعل أنفسنا دون نفسك ، ودماءنا دون دمك ذاذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا وخرجنا مما لزمنا .

وقام إليه زهير بن القين البجلي ، فقال : يابن رسول الله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت ، ثم قتلت ثم نشرت فيك وفي الذين معك مائة قتلة وأن الله دفع بي عنكم اهل البيت .

---

(١) رجال الكشي ج ١ ص ٣٣٨ .

فجزاهم الحسين (عليه السلام) خيراً . .

هؤلاء حواريو الحسين (عليه السلام) الذين يوصي الواحد منهم وهو معفر على التراب لا يكاد يطيق النطق ، يوصي أخاه بمواصلة المسيرة والدفاع عن إمامه وقائده ، ذلك الأمر الذي فعله مسلم بن عوسجة عندما وقع على الارض يخور بدمه جاء الامام الحسين (عليه السلام) ومعه حبيب بن مظاهر الاسغي ، ووقف على مصرعه ، وكان به رمق من الحياة ، واشار إلى حبيب بن مظاهر قائلاً له : أوصيك بهذا . . قاتل دونه حتى تموت .

وقد خلد الشاعر هذا الموقف الرائع بقوله :

نصروك أحياءاً وعند مماتهم ... يوصي بنصرتك الشفيق شفيقاً
أوصى ابن عوسجة حبيباً قال ... قاتل دونه حتى الحمام تذوقا

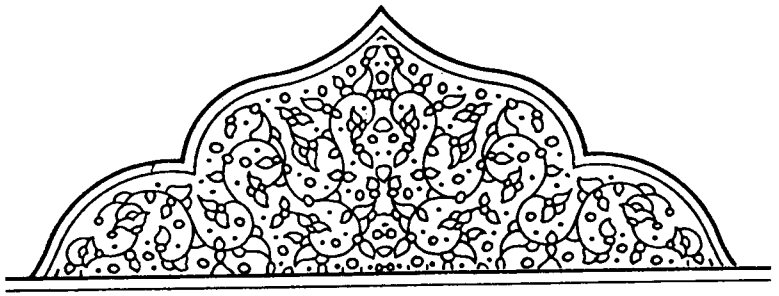

٥ / حواريو زين العابدين :

استشهد الامام الحسين (ع) ، وحلّت شهادته بالأسى على المسلمين ، وباليأس على البعض الآخر حيث أوحت إليهم شهادته (عليه السلام) بأن النظام قوي ، وقد أدى إلى حدوث حالة من اليأس والقنوط عبر عنها بعضهم قبل شهادة الامام من أنه إذا قتل واستبيح دمه فلن يكون لمسلم بعده حرمة . .

وربما تكون هذه الحالة هي التي عبر عنها الامام الصادق (عليه السلام) بالردة وأن الناس ارتدوا بعد شهادة الحسين (عليه السلام) إلا عدداً من حواريي زين العابدين (عليه السلام) . فقد جاء عن الصادق (عليه السلام) أنه قال :

ـ « ارتد الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) إلا ثلاثة ابو خالد الكابلي ، ويحيى بن ام الطويل ، وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا » وزاد بعضهم إلى هؤلاء (وجابر بن عبد الله الانصاري) [1] .

ويبدو أن هذه الحالة كانت خاصة بزمن ما بعد شهادة الامام الحسين (عليه السلام) غير أنها لم تدم ، فالرواية بعد أن تذكر الحالة والصفوة الذين صمدوا ولم يتأثروا بشيء لا تلبث أن تستدرك ثم ان الناس لحقوا وكثروا . . وبالتالي فهي كالروايات الأخرى لا تحدد حواريي الامام وطلائعه وانما تتكلم

(١) رجال الكشي ج ١ ص ٣٣٨ .

عن اولئك الذين لم يدخلهم الريب أو اليأس . .

وكانت فترة حياة الامام السجاد حافلة بالعمل التربوي إذ اتخذ من الدعاء وسيلة من اسمى الوسائل لتربية الأفراد ، اضافة إلى حرصه على جلب العناصر حتى العبيد إلى بيته وجعلهم تحت تربيته المباشرة لمدة سنة كما يستفاد من رواية البحار من أنه (عليه السلام) إذ دخل شهر رمضان وأذنب أحد مواليه يكتب عنده في كتاب : اذنب فلان كذا ذنب في يوم كذا ثم يجمعهم آخر ليلة في شهر رمضان ويظهر الكتاب ويقررهم اخطاءهم يا فلان فعلت كذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك ؟! فيقول : بلىٰ يابن رسول الله حتى يأتي على آخرهم . . ثم يقول في وسطهم : ارفعوا اصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إن ربك أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كل عملنا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها وتجد كلما عملت حاضراً كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً فاعف عنا تجده عفواً وبك رحيماً ولك غفوراً ولا يظلم ربك أحداً .

فاذكر يا علي بن الحسين (والكلام لا يزال للامام السجاد (عليه السلام) ذل مقامك من يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل وكفىٰ بالله حسيباً وشهيداً .

. . وبعد أن يقولوا . ويطلبوا له العفو من الله كما عفىٰ عنهم . يعتق رقابهم ويعطيهم جوائزهم ونفقاتهم . . وهكذا كان يعتق في كل سنة حوالي عشرين عبداً ويمن عليهم بالحرية [1] .

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ / ١٠٣ .

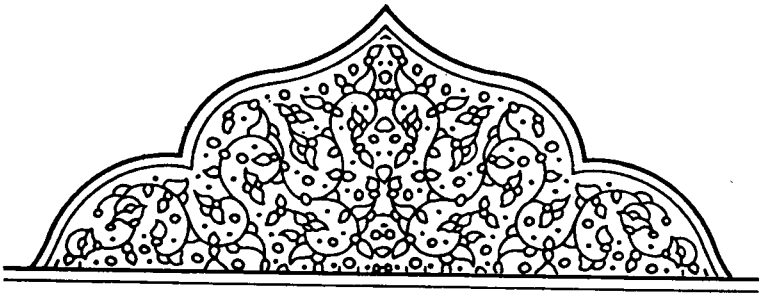

٦ / حواريو الامام الباقر والصادق :

يتحد في هذا الدور صحابة الامام الباقر والامام الصادق وحواريوهما .

ـ (فعن الفضل بن عبد الملك قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : أحب الناس إلي احياءً وأمواتاً أربعة : بريد بن معاوية العجلي وزرارة ، ومحمد بن مسلم ، والأحول وهم احب الناس إلي احياءً واموتاً) [1] .

ـ (وعن سليمان بن خالد الاقطع قال : سمعت ابا عبد الله يقول : ما أجد أحداً أحيىٰ ذكرنا واحاديث ابي (عليه السلام) إلا زرارة وابو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد العجلي ولولا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا . . هؤلاء حفاظ الدين وامناء ابي علىٰ حلال الله وحرامه) .

وبينما يجعل الحديث الأول رابع الاصحاب مؤمن الطاق (الاحول) فانه يجعله في الحديث الثاني ابو بصير : ويتحدث الامام الصادق (عليه السلام) عن كونهم زيناً لابيه (عليه السلام) اثناء حياته فيقول :

ـ (ان أصحاب ابي كانوا زيناً احياءً وامواتاً اعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبريد العجلي) [2] .

وفي رواية ثالثة ، تتسع دائرة اصحابه وكوادره (عليه السلام) حيث

---

(١) رجال الكشي ج ١ ص ٣٤٧ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٩٩ .

يستعرض الامام أمام أحد الشاميين قدرة عدد من حواريه حسب تخصصاتهم ، مما ينبىء أن الصادق (عليه السلام) كان قد جعل كل واحد أصحابه ـ متخصصاً في فن من الفنون على الاقل .

يقول هشام بن سالم : كنا عند ابي عبد الله (عليه السلام) جماعة من اصحابه فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له فلما دخل سلم فأمره ابو عبد الله بالجلوس ثم قال له : حاجتك أيها الرجل !! قال : بلغني انك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك .

فقال ابو عبد الله (عليه السلام) : في ماذا ؟ قال : في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه ونصبه ورفعه ، فقال ابو عبد الله : يا حمران (بن أعين) دونك الرجل فقال الرجل : انما اريدك انت لا حمران . فقال ابو عبد الله : ان غلبت حمران غلبتني .

فأقبل الشامي يسأل حمران يجيبه . . فقال ابو عبد الله (عليه السلام) كيف رأيت يا شامي ؟ فقال : رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلا اجابني فيه . فقال ابو عبد الله : يا حمران سل الشامي . . فما تركه يكشر .

فقال الشامي : اريد يا ابا عبد الله أن أناظرك في العربية فالتفت ابو عبد الله فقال : يا ابان بن تغلب ناظره . فناظره فما ترك الشامي يكشر .

فقال أريد أن اناظرك في الفقه ، فقال ابو عبد الله (عليه السلام) : يا زرارة ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر .

قال : اريد ان اناظرك في الكلام . فقال : يا مؤمن الطاق ناظره ، فناظره فسجل الكلام بينهما ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به .

فقال : اريد أن اناظرك في الاستطاعة فقال للطيار : كلّمه فيها فكلمه فما تركه يكشر .

ثم قال : أريد أن اكلمك في التوحيد . فقال لهشام بن سالم كلمه . . .

فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام .

فقال : أريد أن اتكلم في الامامة فقال لهشام بن الحكم : كلّمه يا ابا الحكم فما تركه يريم ولا يحلي ولا يمري . . .

فبقي ابو عبد الله (عليه السلام) يضحك حتىٰ بذت نواجده . . فقال الشامي : كأنك اردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال ؟!

قال (عليه السلام) : هو ذاك . . يا أخا أهل الشام أما حمران فحزقك فحرت له (حصرك فتحيرت) فغلبك بلسانه وسألك عن حرف من الحق فلم تعرفه . واما أبان بن تغلب فمغث (خلط) حقا بباطل فغلبك ، واما زرارة فقاسك فغلب قياسه قياسك ، وأما الطيار فكان كالطير يقع ويقوم ، وانت كالطير المقصوص لا نهوض لك . واما هشام ابن سالم فأحسن أن يقع ويطير ، واما هشام بن الحكم فتكلم بالحق فما سوغك بريقك [1] .

ونستطيع أن نسجل هنا عدداً من الملاحظات تنفعنا في القاء الضوء على بحثنا .

الاولى : اننا هنا أمام عدد من الاصحاب اضافة إلى اولئك الكوادر الذين تضافرت الروايات في مدحهم والثناء عليهم (راجع الروايتين المتقدمتين) فنجد هنا اضافة إلى زرارة ومؤمن الطاق الذين ورد ذكرهما في ما سبق ، حمران بن اعين ، وأبان بن تغلب ، والطيار ، وهشام بن سالم ، وهشام بن الحكم . .

الثانية : ان هؤلاء الكوادر هم من الذين يعتمد عليهم الامام في مهماته ، وقد وزعت عليهم الأدوار حسب كفاءاتهم ، ونلاحظ هنا في الرواية أن الامام هو الذي يعين الفرد الصالح للموضوع المطروح ، وتبلغ درجة الاعتماد من قبل الامام على هؤلاء إنه يقول للشامي : إن غلب أحدهم فانه

---

(١) رجال الكشي ج ٢ ص ٥٤٥ .

قد غلب الصادق (عليه السلام) ، وإن هذا المقام رفيع لا يصل إليه هؤلاء الاصحاب إلا بعد تربية طويلة حتى يمكن الاعتماد عليهم هذا الاعتماد .

• **الثالثة** : موقف التقييم والنقد الذي اتخذه الامام (عليه السلام) بعد نهاية المناظرة ، فرغم سرور الامام وتوقعه للنتيجة ، وهزيمة الشامي إلا أنه لم يترك الفرصة تمر . فبدأ يفصل الطريقة التي جرت على أساسها المناظرة ، وفي هذا توجيه لأصحابه إلى اخطائهم لكي تتلافى في المستقبل .

ولا يعني هذا أن حواريهما (عليهم السلام) هم المذكورون فقط ، إذ أن الفترة التي عاشها الامام الباقر والصادق (عليه السلام) كانت فترة مناسبة للتربية ، ولنشر ثقافة الاسلام بين الناس ، وذلك أنها تزامنت مع فترة ضعف الدولة الأموية ثم انهيارها فيما بعد ، وبدء قيام الدولة العباسية ونشوئها ، مما أعطى أهل البيت (عليهم السلام) فرصة جيدة لتربية كوادر الرسالة . .

ولعلنا نلاحظ من خلال استقراء لتاريخ الصادقين (عليهما السلام) اسماء عدد من الصحابة المخلصين كالمعلى بن خنيس الذي كان يقوم بدور مهم في توجيه الجماهير إلى الامام الصادق (عليه السلام) سواء باسلوب الدعاء أو بغيره كما يتضح من خروجه أيام العيد إلى الصحراء في زي ملفت للنظر في ذلك الوقت وإن كان أساساً هو الزي المستحب في صلاة العيد ، أشعث ، اغبر ويرفع كفيه إلى السماء ويدعو بهذا الدعاء :

(اللهم هذا مقام خلفائك واصفيائك ومواضع امنائك الذين خصصتهم وانت المقدر للاشياء لا يغالب قضاؤك ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت واني شئت علمك في ارادتك كعلمك في خلقك . . حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلاً وكتابك منبوذاً وفرائضك محرفة عن جهات شرايعك وسنن نبيك صلواتك عليه وآله اللهم العن أعداءهم من الاولين والآخرين والغادين والرائحين والماضين والغابرين ، اللهم العن جبابرة زماننا واشياعهم واتباعهم واضرابهم واعوانهم

انك على كل شيء قدير) [1] .

وبلا شك فانه في هذه العملية ، اضافة إلى رفضه العملي للسلطة القائمة حيث يذهب الى الصحراء للصلاة عوض الذهاب إلى المسجد حيث يصلي الوالي ، أو الأمير يقوم أيضاً بتوضيح أهم المسائل السياسية مورد الخلاف آنئذ بين اصحاب الرسالة وبين الحاكمين .

وهذا الرجل هو نفسه الذي غضب الامام الصادق (عليه السلام) لقتله غضباً شديداً وذهب إلى الوالي ومعه ابنه اسماعيل ، وقتل قاتله . ينقل العلامة المجلسي في كتابه البحار أنه لما أخذ داود بن علي المعلى بن خنيس حبسه واراد قتله فقال المعلى له : اخرجني إلى الناس فان لي ديناً كثيراً ومالاً حتى أشهد بذلك فاخرجه إلى السوق . فلما اجتمع الناس قال : ايها الناس انا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني اشهدوا أني ما تركت من مال عين او دين او أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمّد (عليه السلام) ، فشد عليه صاحب الشرطة فقتله فلما بلغ ذلك ابا عبد الله (عليه السلام) خرج مغضباً حتى دخل على داود بن علي وابنه اسماعيل خلفه فقال : يا داود قتلت مولاي وأخذت مالي ؟!

قال : ما انا قتلته ولا اخذت مالك ، فقال : والله لأدعون على من قتل مولاي واخذ مالي . قال : ما قتلته ولكن قتله صاحب شرطتي .

فقال الامام : باذنك أو بغير اذنك ؟! قال : بغير اذني .

فقال (عليه السلام) : يا اسماعيل شأنك به ، فقام له اسماعيل وقطع رأسه [2] .

---

(١) سفينة البحار ج ٢ / ٢٥٦ .

(٢) بحار الانوار ج ٤٧ / ٣٥٢ .

أبان بن تغلب :

لقي من الائمة علي بن الحسين ، وابنه الباقر ، وحفيده الصادق (عليهم السلام) ، وكان مبرزاً بني اصحاب الصادق (عليه السلام) في علوم القرآن واللغة العربية ، والفقه الحديث والأدب ، بل لقد كان له قراءة خاصة به .

من بحر علم الائمة غرف ما اتسع له قلبه ، وقد أوكل إليه الامام الصادق (عليه السلام) مهمة التبليغ والدفاع عن الرسالة ، فقد قيل أنه روى عنه (٣٠) ألف حديث ، ولذا كان إذا جاء إلى المدينة تقوضت إليه الحلق ، واخليت له سارية النبي (صل الله عليه واله وسلم) .

وبعد أن فهم الاسلام بشكل مستوعب وجّهه الائمة إلى أن يقوم بدوره في التبليغ ونشر الفكر الاسلامي فقد قال له الامام الباقر (عليه السلام (؛ « يا أبان اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب أن يرى في شيعتي مثلك » وقال له الصادق (عليه السلام) : « يا أبان ناظر أهل المدينة فاني أحب أن يكون مثلك من رواتي ورجالي » . . وكان اضافة إلى هذا يوجه الائمة أصحابهم للتلقي منه ، والتتلمذ على يديه ، فعن مسلم بن ابي حبة قال : كنت عند ابي عبد الله في خدمته فلما اردت أن أفارقه ودعته وقلت : أحب أن تزودني قال : ائت ابان بن تغلب فانه قد سمع مني حديثاً كثيراً فما روى لك فارو عنّي .

ولقد كان له دور في توضيح المسائل المهمة لدى الناس ، فقد كان سريع البديهة ، فقد جاءه رجل فقال : يا أبا سعيد اخبرني كم شهد مع علي (عليه السلام) من اصحاب النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم) ؟!

فقال له : كأنك تريد أن تعرف فضل علي بمن تبعه من اصحاب رسول الله ؟!

فقال الرجل : هو ذاك .

عندها قال له أبان : والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه .

ولموقفه الريادي هذا فقد أشاد الأئمة (عليه السلام) بفضله ، والثناء عليه واظهار احترامه امام الناس ، فقد كان الصادق (عليه السلام) إذا دخل أبان عليه قام له واعتنقه ورحب به ، وكان يطرح الوسادة له . . ولما أتاه نعيه إذ أنه توفي (رضوان الله عليه) في زمن الامام الصادق (عليه السلام) سنة ١٤١ هـ، قال : أما والله لقد اوجع قلبي موت أبان[1] .

له عدد من الكتب منها التفسير ، منها الغريب في القرآن ، وذكر فيه شواهده من الشعر ، وله كتاب الفضائل .

زرارة بن أعين : ت سنة ١٥٠ هـ .

قيل عنه انه رئيس الشيعة ، وأنه أفقه اصحاب الاجماع .

ويبدو أنه كان صاحب مدرسة لتخريج الفقهاء والمتكلمين ، فمع أنه كان خصماً جدلاً يقوم أحد لحجته ، وانه كان صاحب الزام ، إلا أنه لم ينشغل بالكلام والمناظرات كثيراً كما كان غيره يقوم بهذا الدور كمؤمن الطاق ، وهشام بن الحكم .

وكان المتكلمون من الشيعة تلاميذه واصحابه الذين كانوا يأخذون عنه كما ينقل جميل بن دارج ، إذ جلس في درسه محمد بن ابي عمير وبعدها قال له : ما أحسن محضرك وازين مجلسك . . فقال جميل : اي والله إنا كنا نختلف إلى زرارة بن اعين فما كنا حوله إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم .

وحركة التشيع في أيام ما بعد الامام السجاد (عليه السلام) كانت تواجه سيلاً عرماً من الثقافات الباطلة والافكار الدخيلة ، ولذلك كان جزء

---

(١) معجم رجال الحديث / آية الله الخوئي ١ / ١٤٤ .

كبير من جهاد الامام الباقر (عليه السلام) وابنه الصادق (عليه السلام) يتركز في مقاومة هذه التيارت الثقافية عبر نشر بصائر الرسالة بين الناس . . وهنا كانت الحاجة ملحة إلى علماء يفهمون الرسالة بعمق ، ويحفظون أحاديث أهل البيت لينقلوها إلى الاجيال القادمة كان زرارة أبرز هؤلاء .

اضافة إلى ذلك ، كان في زمن الامام الصادق (عليه السلام) عدد من الانتهازيين الذين استغلوا فرصة صحبتهم للامام الصادق (عليه السلام لفترة من الوقت ، فأخذوا يروون عنه احاديث كاذبة ، ويتناولون معاني احاديثه بما يتفق مع اهوائهم ومصالحهم ، فسببوا لجمهور الشيعة كثيراً من اللبس ، والاختلاف . . فكانت الضرورة ملحة لوجود زرارة وامثاله ممن يستطيعون مواجهة هؤلاء ويستطيع الأئمة (عليهم السلام) أن يوجهوا الناس للأخذ منهم ، ولعلنا نجد في الاحاديث الكثيرة التي قالها الصادق (عليه السلام) في حق زرارة ما يبين أهمية دوره في التحرك آنئذ :

ـ « رحم الله زرارة ، لولا زرارة لظننت أن احاديث ابي ستذهب »

ـ « ما اجد احداً احيا ذكرنا واحاديث أبي (عليه السلام) الا زرارة وابو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي ولو لا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا ، هؤلاء حفاظ الدين وامناء ابي علىٰ حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة »

وحين يشتد الاختلاف بين جمهور الشيعة بسبب ادخال البعض اهواءهم في تفسير الاحاديث يوجه الامام الصادق (عليه السلام) اصحابه إلىٰ الاخذ عن زرارة .

فقد دخل الفيض بن المختار علىٰ ابي عبد الله (عليه السلام) وذكر له آية من كتاب الله عز وجل فأولها الامام ، فقال له الفيض : جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟! فقال الامام : وأي الاختلاف ؟! قال الفيض : اني لأجلس في حلقهم في الكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في

حديثهم حتى أرجع إلىٰ المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك علىٰ ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي .

فقال ابو عبد الله (عليه السلام) : اجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس اولعوا بالكذب علينا حتى كأن الله افترض ذلك علهم واني احدث احدثهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله علىٰ غير تأويله وذلك انهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وانما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يكون رأساً . انه ليس من عبد يرفع نفسه إلا وضعه وما من عبد وضع نفسه إلا رفعه الله وشرفه فاذا اردت حديثنا فعليك بهذا الجالس . وأومىٰ إلى زرارة بن اعين .

وزرارة كان شديداً علىٰ الجهات المنحرفة المتسمية باسم الشيعة ، ولذلك قاموا بحملة عنيفة ضده سواء في وضع الأحاديث علىٰ لسان الصادق (عليه السلام) ضده ، او في نقل كلام كاذب عنه لتشويه سمعته . . ومن هنا يقول جميل بن دراج : كنا نعرف اصحاب ابي الخطاب (من الكاذبين علىٰ الائمة) ببغض زرارة واخوانه[1] .

ولأن الانتماء إلىٰ الرسالة والقيادة الاسلامية الصحيحة كان يعرض الشخص إلىٰ مضايقات شديدة من قبل السلطة الحاكمة لذلك كان الائمة يستخدمون تكتيكاً خاصاً لكوادرهم الرئيسية ، إذ أنهم كانوا أحياناً يعيبونهم وربما يظهرون البراءة منهم صيانة لهم ، وحفاظاً علىٰ سلامتهم ، ولكي لا تكشف العلاقة الرسالية الوثقة التي تربطهم بالائمة ، وقد فعل الامام الصادق (عليه السلام) مع زرارة هكذا ، وإن كان قد أخبره بخلفية هذا الموضوع واسبابه كما سيتضح في صفحات قادمة .

---

(١) اعيان الشيعة ٧ / ٤٩ .

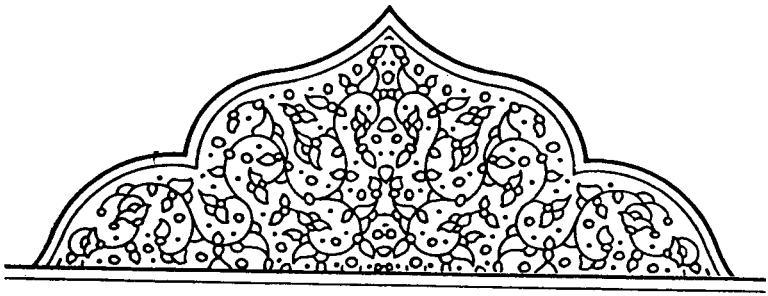

٧ / حواريو الامام الكاظم (عليه السلام)

رغم أن الامام الكاظم (عليه السلام) قائل الحديث الذي افتتحنا به الموضوع عن حواريي المعصومين ، سكت عن حواييه وحواريي ابنائه الائمة من بعده . . إلا أننا سنحاول ـ قدر امكاننا ـ تتبع حوارييه (عليه السلام) .

وإذا شئنا أن نعدد محاولين الاجابة علىٰ السؤال المتعلق بالحديث المذكور . . هل أن سكوت الامام (عليه السلام) عن الاستطراد والحديث عن بقية الحواريين (سواء حوارييه أو حواريي من بعده) . . هل كانت بسبب التقية ، وضرورة الكتمان والحفاظ علىٰ اسمائهم ، أو أن الأمر هو فعلاً كذلك ؟! وأن القضية لا ترتبط بهذا الموضوع ؟ .

ونحن مع الرأي الأول لاننا نسجل هنا الملاحظات التالية :

الاولىٰ : لانعرف وجهاً لتخصيص الائمة الخمسة بعد الصادق (عليه السلام) بأن سائر الشيعة ينادون معهم (عليه السلام) . . هل معنىٰ ذلك أن كل الشيعة هم حواريو الائمة (عليه السلام) ؟! أو معنىٰ ذلك أن الائمة هؤلاء (عليه السلام) لم يكن لهم حواريون معينون في زمانهم كما كان للائمة من قبلهم ؟!

ثم لماذا لم يناد سائر الشيعة مع الائمة منذ البداية مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟! هذا اضافة إلىٰ أن سياق الحديث نجده يتغير ، فبينما هو

في البداية يتحدث عن حواريي كل إمام ، إذا بـه ينتقل فيما بعد للحديث عن سائر الشيعة ، ومن الواضح أنه ليس جميع الشيعة حواريين للائمة ، كما نجد ذلك في الواقع الخارجي ، خصوصاً مع اختلاف درجات الايمان والولاء .

الثانية : إننا لو نظرنا إلىٰ زمن الامام الكاظم (عليه السلام) وما كان يمارسه من أشد انواع التقية والكتمان ، مما كان يتطلبه الوضع السياسي الخانق واجواءالكبت والارهاب ، بحيث أننا نجد كثيرا من الروايات المنقولة عن الكاظم (عليه السلام) تصدّر عادة باسماء رمزية مثل (قال ابوا ابراهيم / قال الشيخ / قال العبد الصالح / قال الرجل/ قال العالم . .) وهكذا حين يتحدث عن بني العباس يلقبهم (بني سابع) وسابع كما ترىٰ مقلوب عباس . . وفي هذا العهد بلغ مجموع المدة التي قضاها الامام (عليه السلام) في السجن حوالي (١٤) سنة .

في مثل هذه الظروف ليس متوقعاً من حكمة الامام (عليه السلام) وبصيرته أن يفشي اسماءاركانه وحوارييه الذين يعتمد عليهم ليكونوا طعمة لحريق السلطة . . ولعل الحادثة التي تنقل عن كيفية اتصال الامام الكاظم (عليه السلام) مع أحد أصحابه وهو هند بن الحجاج حين كان الامام في السجن ، حيث ارسل الامام أحد سجانه ممن استطاع تغييره واستقطابه للرسالة إليه ، وكيفية رفض هند بن الحجاج استقبال ذلك الرجل وانكاره أي معرفة بموسى بن جعفر ـ كما توقع الامام مسبقاً وأخبر الرسول بأنه سوف يقوم بذلك ـ[1] .

هذه الحادثة قد تكون نموذجاً واحداً علىٰ كيفية اختفاء اصحاب الامام وعدم ظهورهم بمظهر المقربين منه .

الملاحظة الثالثة : إن مما يؤيد الرأي الذي نذهب إليه أن هؤلاء الذين ذكرهم الامام الكاظم (عليه السلام) كحواريين لابيه الصادق وجده الباقر

---

(١) راجع كتاب في مدرسة السجن / للمؤلف .

(عليهما السلام) كانوا في الاغلب غير موجودين في حياة الامام الكاظم (عليه السلام) إلا فترة قصيرة جداً لا تزيد في اكثر الحالات عن سنتين .

فزرارة بن اعين توفي بعد الصادق (عليه السلام) بشهرين أي في سنة ١٤٨ هـ وقيل في سنة ١٥٠ هـ وبريد بن معاوية العجلي توفي في حياة الصادق (عليه السلام) وقيل بل في سنة ١٥٠ هـ [١].

ومحمد بن مسلم الثقفي توفي في سنة ١٥٠هـ [٢] .

ومات ابو بصير ليث بن البختري في سنة١٥٠ هـ [٣] .

ومات عبد الله بن ابي يعفور في أيام الصادق (عليه السلام)[٤] .

وحمران بن اعين توفي في سنة ١٣٠ هـ [٥] .

وصرحت الكتب الرجالية عن الباقين أنهم رووا عن الباقر والصادق (عليه السلام) ولم يرووا عن الكاظم (عليه السلام) . .

هذا علماً بأن الامام الصادق عليه السلام) قد توفي في سنة ١٤٨هـ، وعليه فيكون اغلب المذكورين قد توفوا بعده بسنتين ، أي لم يكونوا معاصرين لحياة الكاظم (عليه السلام) إلا سنتين في أولها .

وعلىٰ هذا فاننا نختار الرأي الاول القاضي بأن سكوت الامام (عليه السلام) انما كان تقية وخوفاً علىٰ أصحابه من الايذاءوالتصفية ، وهذا يكلفنا مزيداً من البحث لمعرفة حواريي الائمة (الكاظم ومن بعده) .

---

(١) اعيان الشيعة ٣ / ٥٥٨ .
(٢) جامع الرواة للاردبيلي ٢ / ١٩٣ .
(٣) رجال الكشي ١/ ٣٩٧ .
(٤) جامع الرواة ١ / ٤٦٧ .
(٥) اعيان الشيعة ٦ / ٢٣٤ .

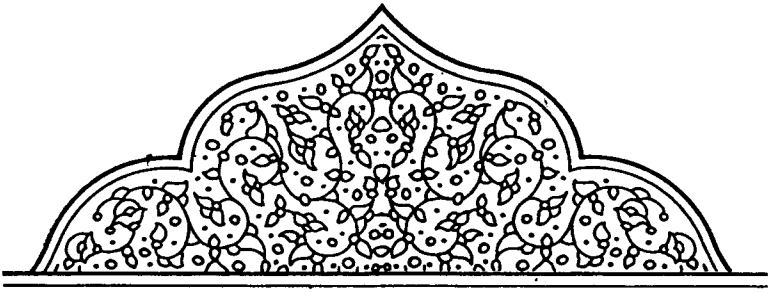

٨ / حواريو الكاظم و الرضا :

يتداخل اصحاب الامام الكاظم (عليه السلام) وحواريوه مع حواريي الامام الرضا (عليه السلام) وربما يكون السبب اضافة إلىٰ قصر الفاصلة بين حياة الامامين (عليهما السلام) حتىٰ توفي الامام الكاظم سنة ١٨٨هـ بينما توفي الامام الرضا (عليه السلام) سنة ٢٠٣ هـ أي ١٥ سنة .

اضافة إلى ذلك فان حواريي الامام الكاظم هم الذين آمنوا بامامة الامام الرضا وبايعوه ، واصروا على بيعته في الوقت الذي انتشر فيه مذهب الواقفة ، الذين وقفوا علىٰ الامام الكاظم وانكروا امامة الامام الرضا ، بينما أصر خلّص أصحابه على اعلان بيعتهم للرضا ، وقاوموا التيار الواقفي ، واشخاصه كما نرى في الحديث الذي يرويه يونس بن عبد الرحمن أحد حواريي الامامين (عليه السلام) :

يقول : مات ابو الحسن (عليه السلام) (الكاظم) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقوفه وجحودهم موته وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن ابي حمزة ثلاثون الف دينار .

فلما رأيت ذلك وتبين علي الحق وعرفت من أمر ابي الحسن الرضا ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه ، فبعثا إليّ وقالا : ما تدعو إلىٰ هذا إن كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي : كُف !

يقول يونس : فقلت لهما أما ما رويناه عن الصادقين (عليهم السلام) انهم قالوا إذا ظهرت البدع فعلىٰ العالم أن يظهر علمه فان لم يفعل سلب نور الايمان وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله علىٰ كل حال فناصباني وأظهرا لي العداوة[1] .

فمن الحواريين الذين اختصوا بالكاظم (عليه السلام) علي بن يقطين حيث انه توفي في سنة ١٨٢ هـ أي حياة الكاظم ، وميزة علي ابن يقطين أنه كان يخدم الرسالة وهوو في قلب البلاط العباسي إذ كان بمنزلة رئيس الوزراء في بلاط هارون العباسي ومع ذلك كان يخدم الرسالة ، ويبدو أن ذلك كان بتخطيط من الامام الكاظم (عليه السلام) ، إذ أننا نجد أن الامام يوجه علي بن يقطين لكي ينجو من المواقف المحرجة ، كما في قصة الدراعة التي اهداها إليه هارون وأمر الامام له أن يحتفظ بها ولا يتصرف فيها ومن موقف الوضوء حيث وشي عليه لدَىٰ هارون انه يتصل بالكاظم ويتشيع فاراد هارون أن يكشف الأمر عبر معرفته لطريقة وضوئه التي ينبغي أن تختلف شيئاً ما فيما إذا كان يتشيع ، غير أن الامام أمره مسبقاً أن يغير طريقة وضوئه .

بل إنه كان يستأذن الامام في الاستقالة من العمل داخل البلاط العباسي غير أن الامام (عليه السلام) نهاه عن ذلك . . كما سيأتي بيانه في فصول قادمة .

ولقد أثنى عليه الامام ثناء كثيراً .

ـ فعن ابي يحيى الكاهلي قال : كنت عند ابي ابراهيم (عليه السلام) (أي الكاظم) إذ أقبل علي بن يقطين فالتفت الامام إلى أصحابه وقال : من سره أن يرى رجلاً من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلينظر إلى هذا المقبل فقال له رجل من القوم : هو إذن من أهل الجنة ؟! فقال (عليه السلام) : أما انا فأشهد أنه من أهل الجنة[2] .

(١) رجال الكشي ٢ / ٧٨٦ .

(٢) رجال الكشي ٢ / ٨٥٥ .

ـ وعن داود الرقي قال : دخلت على ابي الحسن الكاظم (عليه السلام) يوم النحر فقال مبتدئاً : ما عرض في قلبي أحد وأنا على الموقف إلا علي بن يقطين فان ما زال معي وما فارقني حتى افضت[1] .

ومن حواريهما (عليهما السلام) يونس بن عبد الرحمن الذي يقول فيه الرضا (عليه السلام) : « يونس في زمانه كسلمان في زمان »[2] وقد قيل أن علم الائمة انتهى إلى أربعة ، آخرهم يونس[3] .

ومن حواريهما محمد بن ابي عمير ، الذي سجن (٤) سنوات أو (١٧) سنة كما عن الشيخ المفيد في الاختصاص ، وكان له منزلة عظيمة لدى الأئمة فقد كان يعرف اسماء الشيعة ، وطلب من قبل الحكم العباسي ليعترف باسمائهم فلم يفعل فضرب مئة سوط ، وينقل عنه علي بن الحسن بن فضال أن محمد بن ابي عمير افقه من يونس واصلح وافضل[4] .

ومن هؤلاء صفوان بن يحيى الذي يقول فيه الجواد (عليه السلام) وفي محمد بن سنان (رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني وما خالفا أبي (عليه السلام) قط)[5] ، ومنهم الحسن بن محبوب ، ومنهم عبد الله بن المغيرة ، ومنهم أحمد بن محمد بن ابي نصر البزنطي (رضوان الله عليهم) .

وهؤلاء الستة باستثناء علي بن يقطين هم من أصحاب الاجماع الذي اجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم . . ومنهم عبد الله بن جندب الذي عاصر ثلاثة من الائمة وتلقى عنهم وتربى على يدهم ، فقد عاصر الصادق (عليه السلام) وأوصاه الامام بوصايا منها ما نقله ابن شعبة في كتابه تحف العقول وحين يقول للامام الكاظم (عليه السلام) : الست عني راضياً ؟! قال : اي والله ورسول الله والله عنك راض .

ومنهم زكريا بن آدم القمي الذي يترحم عليه الامام الرضا (عليه السلام) في رسالته لأحد أصحابه قائلاً : (. . ذكرت ما جرى من قضاء

(١ ـ ٥) رجال الكشي ٢ / ٨٥٥ .

الله تعالى في الرجل المتوفي رحمة الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً فقد عاش أيام حياته عارفاً بالحق قائلا به صابراً محتسباًللحق ، قائماً بما يجب عليه لله ولرسوله ، ومضى رحمة الله عليه غير ناكث ولا مبدل . .) .

ويلاحظ قلة الاحاديث الواردة عن الامام الكاظم (عليه السلام) في بيان موقع اصحابه وفضلهم وهذا يرجع إلى ما تقدم الحديث عنه من ظرف سياسي ضاغط .

يونس بن عبد الرحمن : توفي سنة ٢٠٨ هـ.

هناك فئة من الكوادر متقدمة ، تعرف ما لا يعرفه الخاصة ، وتتحمل من الاسرار ما لو ظهر للغير لكان لهم شأن آخر مع الرسالة . . هذه الفئة رغم علمها وتقدمها وفضلها قد تبقى مجهولة لدى الكثير حتى من أبناءالعمل .

من هذه الفئة المتقدمة في فهم علوم أهل البيت واستيعابها كان يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين ، وقليل من اصحابهم (عليه السلام) حظوا بهذه المنزلة فقد قيل إن علم الائمة انتهى إلى أربعة : أحدهم يونس ، ولعل هذا هو وجه تشبيه الامام الرضا (عليه السلام) اياه بسلمان ، الذي بدوره كان من هذه الفئة . فقد قال الرضا (عليه السلام) : يونس في زمان كسلمان في زمانه .

ولقد عانى يونس بسبب هذا شيئاً كثيراً من جهل عامة الناس بمنزلته وعدم قدرتهم على هضم ما كان يبين لهم من أمور ، وانه لامتحان عسير حقاً أن لا يفهم الجمهور كلام المجاهدين بشكل جيد فيصبح مضاداً لهم وحاقداً عليهم ، كما يحدث في احيان كثيرة .

ولهذا السبب كان الامام الرضا (عليه السلام) يوجهه باستمرار إلى عدم التأثر من المواقف السلبية التي يواجهها من قبل بعض المؤمنين غير الواعين :

فعن ابي جعفر البصري قال : دخلت مع يونس بن عبد الرحمن على الرضا (عليه السلام) فشكا إليه ما يلقى من اصحابه من الوقيعة فقال له الرضا (عليه السلام) : دارهم فان عقولهم لا تبلغ .

وعن جعفر بن عيسىٰ قال : كنت عند ابي الحسن الرضا (عليه السلام) وعنده يونس بن عبد الرحمن اذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومى ابو الحسن إلى يونس ادخل البيت (بيت مسبل عليه ستر) واياك أن تتحرك حتى يؤذن لك ، فدخل البصريون واكثروا من الوقيعة والقول في يونس ، وابو الحسن (عليه السلام) مطرق حتى لما اكثروا قاموا فودعوا وخرجوا فأذن ليونس بالخروج فخرج شاكياً فقال: جعلني الله فداك أنا أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند اصحابي ؟!

فقال له الرضا (عليه السلام) : يا يونس فما عليك مما يقولون إذا كان امامك عنك راضياً يا يونس حدث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون ، يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة وقال الناس درة هل ينفعك ذلك شيئاً ؟!

فقال يونس : لا . . فقال (عليه السلام) : هكذا انت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان امامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس .

وبهذه الكلمات سنّ الامام الرضا (عليه السلام) ليونس ولمن يسير على نهجه الطريقة الفضلىٰ للتعامل مع هذه الحالة . .

تحدث مع الناس بمقدار ما تحتمله عقولهم . . واترك ما لا يحتملونه .

مع ذلك رأي الناس ليس مقياساً فقد يكون مخالفاً للحق .

المقياس هو : صحة المسيرة ، ورضى القيادة .

أحمد البزنطي :

ويعرف بابن ابي نصر ، لقي ثلاثة من الائمة : الامام الكاظم والامام الرضا والامام الجواد (عليه السلام) ، وهو من الستة من اصحاب الكاظم والرضا (عليه السلام) (اصحاب الاجماع) الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم ، وهذا يبين وثاقته وحسن حاله .

وقد كان عظيم المنزلة لدى الامام الرضا واختص بالامام الجواد (عليه السلام) ، ولعل الرواية الآتية تبين منزلة الرجل من الامام حيث أمره بالبقاء دون عدد من اخوانه الذين كانوا معه ، واستضافه عنده ليلاً ، يقول أحمد :

دخلت على ابي الحسن الرضا (عليه السلام) أنا وصفوان بن يحيىٰ ، ومحمد بن سنان ، فجلسنا عنده ساعة ثم قمنا فقال لي : أما أنت يا احمد فاجلس . . فجلست فأقبل يحدثني وأسأله فيجيبني حتى ذهب عامة الليل ، فلما أردت الانصراف قال لي : يا أحمد تنصرف أو تبيت ؟ فقلت جعلت فداك ذاك إليك إن أمرت بالانصراف إنصرفت وإن امرت بالمقام أقمت . قال : فهذا الحين قد هدأ الناس وناموا ، فأقمت عنده وانصرف ، فلما ظننت أنه قد دخل خررت ساجداً فقلت : الحمد لله . . حجة الله ووارث علم النبيين أنس بي من بين اخواني واحبني . . فأنا في سجدتي فما علمت إلا وقد رفسني (غمزني) برجله فقمت ، فأخذ بيدي فغمزها قال : يا أحمد إن أمير المؤمنين (عليه السلام) عاد صعصعة بن صوحان في مرضه فلما قام من عنده قال له : يا صعصعة لا تفتخر على اخوانك بعيادتي اياك واتق الله[1] .

له كتب منها كتاب الجامع ، والنوادر وتوفي (رضوان الله عليه) سنة ٢٢١ هـ .

---

(١) تنقيح المقال للعلامة المامقاني ١ / ٧٧ .

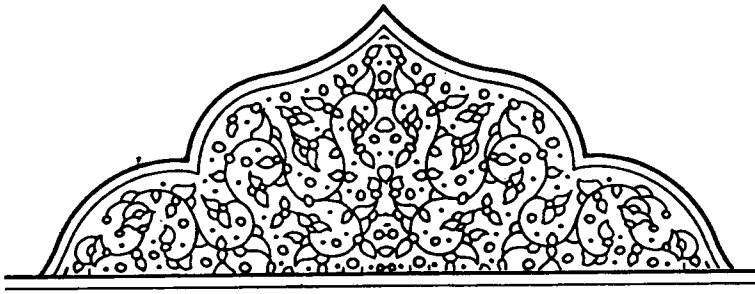

٩ / حواريو الجواد والهادي والعسكري :

يكثر اصحاب الائمة وحواريهم غير أننا نأتي بعدد من الأسماء لمجرد التمثيل لا الاحاطة او الحصر .

ـ ابو هاشم الجعفري (رضوان الله عليه) الذي رأى خمسة من الائمة (الرضا والجواد والهادي والعسكري والحجة) (عليهم السلام) ، وكان قد سجن مع الامام العسكري في سنة ٢٥٨ هـ.

ويظهر أنه كان منقطعا للامام الهادي (عليه السلام) ، وشكا للامام شدة شوقه إليه فدعا الامام له ، فكان يصل إلى الامام وقتما يشاء .

ـ ومنهم أيضا علي بن مهزيار الأهوازي ، وقد توكل للامام الجواد وبعده للهادي (عليهما السلام) ، ونستطيع من خلال رسالة ابي جعفر الجواد (عليه السلام) أن نعرف منزلته لدى الامام ، ودوره في العمل :

ـ فعن الحسن بن شمول قال : قرأت هذه الرسالة على علي بن مهزيار عن ابي جعفر الثاني بخطه :

بسم الله الرَّحمن الرحيم

(. . يا علي احسن الله جزاك واسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك الله معنا يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليك ، فلو قلت : اني لم أرَ مثلك

لرجوت أن اكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً ، فما خفي عليّ مقامك ولا خدمتك في الحر والبرد في الليل والنهار فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها انه سميع الدعاء) [1] .

وقلّ أن يخاطب الامام (عليه السلام) أحداً من صحابته بأنه لم ير مثله في الفضل والصلاح .

ويظهر أنه كان أحد القياديين الهامين إذ أن خيران الخادم وهو أيضا من صحابة الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) ، يكتب إليه يستشيره في كيفية التصرف في الهدايا من الأموال التي تأتي إليه ، وهل يقبلها أساساً أم لا ، وإذا قبلها فماذا يصنع بها ؟! [2] .

ـ ومنهم ايوب بن نوح بن دراج ، الذي يقول فيه الامام الهادي (عليه السلام) أنه من أهل الجنة ، ويشير إليه أمام أحد أصحابه .

ـ ومنهم ابو علي بن راشد الذي يأمر الامام الهادي اتباعه بطاعته وعدم عصيانه ، باعتباره وكيلاً مفوضاً من قبل الامام فيقول في رسالته إلى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها : (قد اقمت ابا علي بن راشد مقام الحسين بن عبد ربه ومن قبله من وكلائي ، وقد اوجبت في طاعته طاعتي وفي عصيانه الخروج إلى عصياني) [3] وكذلك ابو علي بن بلال .

ـ ومنهم عثمان بن سعيد العمري (السمان)الذي كان يتجر بالسمن تغطية لعمله الرئيسي ، وكان ينقل الرسائل في صحاف السمن والدهن ، حيث كانت الظروف الأمنية بالغة الحساسية ، ولعل القصة التي ينقلها داود بن الاسود توضح لنا احدى طرق الاتصال بين الامام العسكرن (عليه السلام) وبين أصحابه وعلى الخصوص عثمان بن سعيد فيقول : (دعاني سيدي ابو

---

(١) بحار الانوار ٥٠ / ١٠٥ .

(٢) بحار الانوار ٥٠ / ١٠٧ .

(٣) بحار الانوار ٥٠ / ٢٢١ .

محمد العسكري (عليه السلام) فدفع إلى خشبة كانها رجل باب مدورة طويلة ملء الكف فقال صرْ بهذه الخشبة إلى العمري فمضيت فلما صرت في بعض الطريق عرض لي سقاءً ومعه بغل فزاحمني البغل على الطريق فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت بها البغل فانشقت فنظرت إلى كسرها (داخلها) فاذا فيها كتب فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كميّ .

مما دعا الامام العسكري (عليه السلام) لأن يعاتبه على فعله هذا لأنه يتسبب في الانكشاف ، خصوصاً أن الاوضاع السياسية في زمن الامام (عليه السلام) كانت في غاية التعقيد وكانت السلطة العباسية تبحث عن مستند تدين به الامام واصحابه .

ـ ومنهم علي بن جعفر الهماني (وكان فاضلاً مرضياً من وكلاء ابي الحسن وابي محمد (عليه السلام)[1] .

(ابو هاشم) داود الجعفري : ت ٢٦١ هـ

رأى خمسة من الأئمة وأخذ عن أربعة منهم ، وتتلمذ على يدهم . . كان من الرجال الذين تجمع شخصيتهم عددا من الصفات الايجابية .

كان شجاعاً وذا شخصية اجتماعية ووجاهة ، وبدلاً من التباهي بذلك كان يتحرى مواقع كلمة الحق عند السلطان الجائر ، وبينما يتقيد البعض من ذوي الوجاهات ويتمنعون عن معارضة الظلم لكي يحتفظوا بمنزلتهم لدى الحكومة كان ابو هاشم ـ وينتهي نسبه إلى جعفر بن ابي طالب (الطيار) ـ لا يخشى إلا الله ، ويقول كلمة الحق ، وكان محترماً حتى عند الظالمين لأنهم يرهبون الانسان القوي ويخافون المواقف الشجاعة ، فقد جاء في صفاته أنه كان ذا عارضة ولسان لا يبالي ما استقبل به الكبراء واصحاب السلطان ، وليس غريباً هذا ممن تربى على يد الائمة (عليهم السلام) .

---

(١) بحار الأنوار ٥٠ / ٢٢١ .

دخل علىٰ محمد بن طاهر بعد أن قضى على ثورة يحيى بن عمر أحد احفاد الشهيد زيد بن علي ، وقطع رأسه ، وبينما كان الكثير من الناس يدخلون عليه مهنئين بالفتح ،دخل عليه ابو هاشم الجعفري وقال له :

ـ ايها الأمير جئتك مهنئاً بما لو كان رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) حياً لعزي به .(أي انك تناقض منهج رسول الله) . ثم اكمل كلامه شعراً قارعاً :

يا بني طاهر كلوه وبياً ... إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه الله ... لوتر بالفوت غير حري

ورغم أنه لقي مضايقات من قبل السلطة الحاكمة ، فقد حمل إلى سامراء وسجن فيها سنة ٢٥٢هـ ، إلا أن ذلك لم يكن ليؤثر علىٰ حياة رسالي مثله .

في نفس الوقت كان من الدعاة النشيطين إلى الخط الصحيح وإلى قيادة الأئمة فكان ينشر فضائلهم (عليه السلام) وكراماتهم ويدعو لهم ، فقد حدث محمد بن الحسين العلوي قال : كنت علىٰ باب المتوكل وانا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلىٰ عباسي إلى غيرهم ، وكان إذا جاء ابو الحسن الهادي (عليه السلام) ترجل الناس كلهم حتىٰ يدخل ، فقال بعضهم لبعض : لم نترجل لهذا الغلام ؟ وما هو بأشرفنا ولا باكبرنا سنا والله لا ترجلنا له !!

فقال ابو هاشم الجعفري لهم : والله لتترجلن له صاغرين إذا رأيتموه .

فما هو إلا أن أقبل الامام حتى ترجلوا له أجمعين . . فقال ابو هاشم : أليس زعمتم انكم لا تترجلون ؟ ! فقالوا : والله ما ملكنا انفسنا حتى ترجلنا .

هذا . . كما كان يبين خطأ الأفكار الأخرى وبطلانها ، فعندما انتشرت

بين البعض أفكار تقول بأن الامامة بعد الصادق لابنه اسماعيل لا للكاظم (عليه السلام) ، قام ينشد شعراً يستدل فيه على الفكرة الصحيحة فيقول :

لما انبرى لي سائل لاجيبه ... موسى احق بها أم اسماعيل ؟
قلت الدليل معي عليك وما على ... ما تدعيه للامام دليل
موسى أطيل له البقاء فحازها ... ارثاً ونصاً والرواة تقول
ان الامام الصادق ابن محمد ... عزي باسماعيل وهو جديل
واتى الصلاة عليه يمشي راكباً ... أفجعفر في وقته معزول ؟

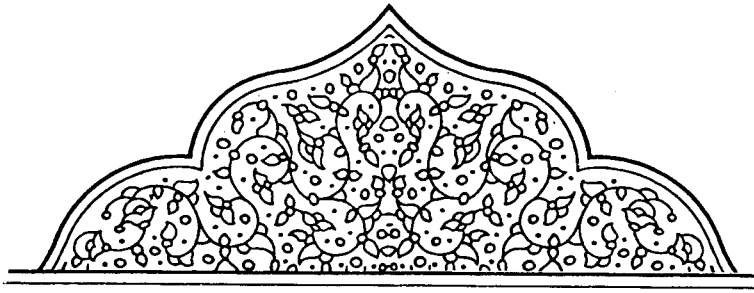

تفاضل الحواريين

يتفاضل الكوادر فيما بينهم بقدر حرص كل واحد منهم علىٰ الاستفادة من صحبته للامام ، وقدرته عل الاستفادة من التوجيهات التربوية التي يعطيها .

فبينما يبقىٰ البعض بعد صحبته عشرين عاماً للمعصوم ، يبقىٰ كما بدأ دون أن يزداد شيئاً ذا بال ، يرتقي البعض في سلم التكامل قاطعاً درجات عديدة ، بحيث يصل إلى يصل إلى درجة أن يكون ممن يعتمد عليهم اعتماداً نهائياً ، بل (من أهل البيت) !!

وهذا يرجع بالدرجة الأولىٰ إلىٰ أرضية هذا الفرد ، وسعيه لتربية نفسه ، إذ أن التوجيهات الرسالية مثل حبات المطر ، فاذا صادفت ارضاً مالحة سبخة ، فانها لا تصنع فيها شيئاً مذكوراً . هذا الأمر كما هو صادق في الطبيعة، صادق أيضاً في التربية الرسالية إذ نجد بعض الأفراد دخلوا العمل منذ سنوات طويلة ولكنهم بعد هذه المدة لا يزالون يراوحون مكانهم أو أمامه بقليل، وآخرين دخلوا العمل منذ مدة بسيطة ، ولكنهم حريصون علىٰ التقدم وسعيهم في هذا الأمر حثيث لذلك يطرح الله البركة في جهودهم فيتقدمون في سنة اكثر مما يحصل لغيرهم في سنوات .

اننا نجد حواريي الائمة (عليهم السلام) يتفاضلون في

درجات ، ومستويات ، ومراتب .

في العلم والوعي :

يحمل الائمة اتباعهم علوم الاسلام ، ويفتحون أمامهم آفاقاً جديدة من الوعي ، كل حسب استعداداته ، وقدراته ، فقد يكون اثنان حواريي امام واحد ولكن أحدهما ـ لملكات خاصة ـ يحمل من علم الامام اكثر من الآخر ، إلىٰ درجة أنه لا يجوز للأول الذي حمل علماً أن يتحدث لغيره سواء كان من الحواريين والكوادر أو من سائر الناس . فنحن نجد أبا ذر الغفاري الذي يمدحه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بالشيء الكثير إلىٰ درجة أن الرسول يقول في حقه : « انعم واكرم بك يا أبا ذر انك من أهل البيت » ، مع ذلك لا يصل إلىٰ مستوىٰ سلمان المحمدي (رضوان الله عليهما) في علمه ومعرفته .

ـ فعن جابر عن الامام الباقر (عليه السلام) في حديث طويل قال :

« قال أمير المؤمنين لأبي ذر يا أبا ذر : أن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان » (١) .

ـ وعن الباقر (عليه السلام) قال :

« ذكرت التقية يوماً عن علي (عليه السلام) فقال : لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، وقد آخىٰ رسول الله بينهما فما ظنك بسائر الخلق » (٢) .

وذلك يعود إلىٰ أن الطرف الآخر إن لم يكن عارفاً بالمسائل ومحيطاً بابعادها فانه لا يستطيع أن يتفهم الموضوع . ولعل هذا الأمر واضح لمن جرّب . . حيث يعادي بعض الأفراد العاملين قائدهم ـ احياناً ـ عداء شديداً

(١) رجال الكشي ١ / ٦٠ .
(٢) رجال الكشي ١ / ٧٠ .

لا ينهيه إلا نهاية أحدهما ، والسبب : موقف اتخذه القائد أو الفئة العاملة ولم يستطع هؤلاء تفهمه !! وتتورط حركات في انشقاقات وتمزقات بسبب أن بعض الكوادر لم يهضموا الفكر كاملاً ، إن مستوى الوعي العام لدى المجتمع قد يكون بمقدار لا يسمح بطرح بعض الافكار فيه ولذلك ينبغي الاحتفاظ بها وعدم اخراجها إلا لأهلها ، كما ينسب إلىٰ الامام السجاد (عليه السلام) في هذا المعنىٰ شعر :

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يراه ذوو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلىٰ الحسين واوصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وايضا يحدث الامام الباقر (عليه السلام) بعض أصحابه بأحاديث خاصة لهم ويمنعهم من افشائها إلىٰ أي أحد ، مما كان يسبب لهم تعباً في الاحتفاظ بهذا المقدار من العلوم والأفكار .

ـ يقول جابر الجعفي : (حدثني ابو جعفر (الباقر) (عليه السلام) بسبعين الف حديث لم أحدث بها أحداً أبداً ، فقلت لابي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك إنك حملتني وقراً عظيماً ، بما حدثتني به من سركم الذي لا احدث به أحداً ، فربما جاش في صدري حتىٰ يأخذني منه شبه الجنون .

فقال : ياجابر إذا كان ذلك فاخرج إلىٰ الجبّان ـ الصحراء ـ فاحفر حفيرة ودل راسك فيها ، ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا)[1] .

ولتفاضل هؤلاء في العلم فقد كان الائمة يوكلون إلىٰ بعضهم مهام المناظرة العامة ، والنقاش مع الفرق المختلفة ، بينما ينهون البعض الآخر عن مجرد الحديث .

(١) رجال الكشي ٢ / ١٤٤ .

في الثبات والاستقامة :

كما تختلف استعدادت الناس في مسائل العلم والوعي ، تختلف بنفس المقدار في الصفات النفسية ، والعملية ، فبينما نجد البعض يتسرع واحيانا يقع في خطأ قاتل كما حصل للمعلىٰ بن خنيس الذي كان من صحابة الامام الصادق ، ورغم ذلك فانه ـ كما يظهر من بعض الروايات ـ وقع في خطأ أمني فأخذه الوالي العباسي وقتله .

وفي القدرة علىٰ التخلص من المآزق ، والتظاهر بغير الواقع ، كما حصل للبعض بالتظاهر بالجنون .

وهكذا في تحمل المشاكل ومواجهة الصدمات ، حيث يتفاوت الأفراد في القدرة عليها ، فنحن نجد أن الأصحاب بعد رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) ، قد تزعزع قسم منهم ، وتشكك قسم آخر . . في الحديث عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) :

ـ « ارتد الناس إلا ثلاثة نفر : سلمان وابوذر والمقداد . قال الراوي فقلت : فعمار ؟! قال : قد كان جاض (مال) جيضة ثم رجع . ان اردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد ، فأما سلمان فانه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) اسم الله الاعظم لو تكلم لاخذتهم الارض وهو هكذا ، فلبب ووجئت عنقه حتى تركت كالسلقة ، فمر به أمير المؤمنين فقال له : يا اباعبد الله هذا من ذاك بايع ، فبايع . واما ابو ذر فأمره امير المؤمنين (عليه السلام) بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبىٰ إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به »[1] .

والردة هنا كما بيننا في صفحات سابقة ـ ليست الردة عن الاسلام بالمعنىٰ الشرعي والعقائدي . انما تعني كما يقول الشيخ الطوسي : التخلف عن بعض الحقوق الواجبة .

---

(١) رجال الكشي ١ / ٥٢ .

في الدرجات والمراتب :

وبناء علىٰ ما سبق كانوا يتفاضلون في الدرجات ويجب علىٰ بعضهم أن يرجع لغيره ممن هو أعلىٰ منه درجة ومنزلة ، أو حسب ما يعبر عنه اليوم بالمستشار أو الموجه .

ـ سلمان وقد تقدم في الحديث أفضليته على أبي ذر ، آخى بينهما الرسول (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) واشترط على ابي ذر أن يسمع لسلمان ويطيعه ولا يخالف له أمراً[1] ؟!

في صحابة الصادق (عليه السلام) يبرز بعضهم حيث يعتمدهم الامام (عليه السلام) ويوجه اصحابه للأخذ عنهم كمحمد بن مسلم الثقفي (رضوان الله عليه) . .

ـ فعن عبد الله بن يعفور وهو أحد خاصة الامام الصادق وقد قال فيه : ما وجدت أحداً يقبل وصيتي ويطيع امري إلا عبد الله بن يعفور ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إنه ليس كل ساعة القاك ولا يمكن القدوم ، ويجيئني الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه . قال : (فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فانه قد سمع من ابي وكان عنده وجيهاً)[2]

ـ وعن شعيب العقرقوفي . قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل ؟ قال : (عليك بالأسدي يعني ابا بصير)[3]

وهكذا أيضا يوجه الامام عدداً من أصحابه منهم سليم بن ابي حية

---

(١) اعيان الشيعة ٦ / .

(٢) رجال الكشي ١ / ٣٨٣ .

(٣) رجال الكشي ١ / ٤٠٠ .

وأبـان بن عثمان أن يـأخذوا عن أبـان بن تغلب لانه سمـع من الامـام (عليـه السلام) وبالتالي فهو مورد ثقته[1] .

وخيران الخادم وهو من خلص صحابـة الكاظم (عليـه السلام) يستشـير عـلي بن مهـزيـار في شيء من الأمـوال كيف يتصـرف بهـا . والــرضـا (عليــه السلام) يوجـه علي بن المسيب إلىٰ زكـريا بن آدم ، فيقـول علي : قلت للرضـا (عليـه السلام شقتي بعيـدة ولست أصل إليـك في كـل وقت فممن آخـذ معـالم ديني ؟! قـال : (من زكريـا بن آدم القمي المـأمـون عـلىٰ الـدين والـدنيـا) فلما انصرفت قدمت علىٰ زكريا بن آدم فسألته عما احتجت إليه[2]

ويوجه عبد العزيز بن المهتدي وكـان وكيلا لـه (عليه السـلام) وخاصتـه إلى يونس بن عبد الرحمن[3]

ولا شـك أن المسألـة هنا تختلف عن مـراجعة الجمهـور ، وتـوجيههم إلىٰ قيـادات الفروع فـذلـك بحث سـوف نتعـرض إليـه مستقبـلاً ، ان المسـألـة أن الامام يوجه الكوادر والاصحـاب الخلص ، واحيانـا الوكـلاء إلىٰ من هم أفضل منهم .

وعـلىٰ العموم فـان هناك درجـات ومـراتب بـين الحـواريـين يفضـل فيهـا بعضهم بعضاً ، والافضل يتحمـل مسؤولية تـرفيع الاقـل إلىٰ المستوىٰ العـالي ، ومساعدته علىٰ تربية نفسـه وتقويـة ايمانـه عبر اسلوب حسن ورفيق ، فعن عبـد العزيز القراطيسي قال : قال ابو عبد الله (عليه السلام) :

« يا عبد العزيز إن الايمـان عشر درجات بمنـزلة السلم يصعـد منه مـرقاة بعـد مرقـاة فلا يقـولن صاحب الـواحد لصـاحب الاثنين لست عـلىٰ شيء حتىٰ ينتهي إلىٰ العـاشر . ولا تسقط من هـو دونـك فيسقـطك من هـو فـوقـك فـاذا

---

(١) اعيان الشيعة ٢ / ٩٧ .

(٢) رجال الكشي ٢ / ٨٥٨ .

(٣) رجال الكشي ٢ / ٧٧٩ .

رأيت من هـو اسقط منك درجـة فـارفعـه إليـك بـرفق ولا تحملن عليـه مـا لا يطيق فتكسره فـان من كسر مؤمناً فعليـه جبره وكـان المقداد في الثـامنة وابـو ذر في التاسعة وسلمان في العاشرة »[1]

(١) نفس الرحمن في فضائل سلمان / ٥٣ .

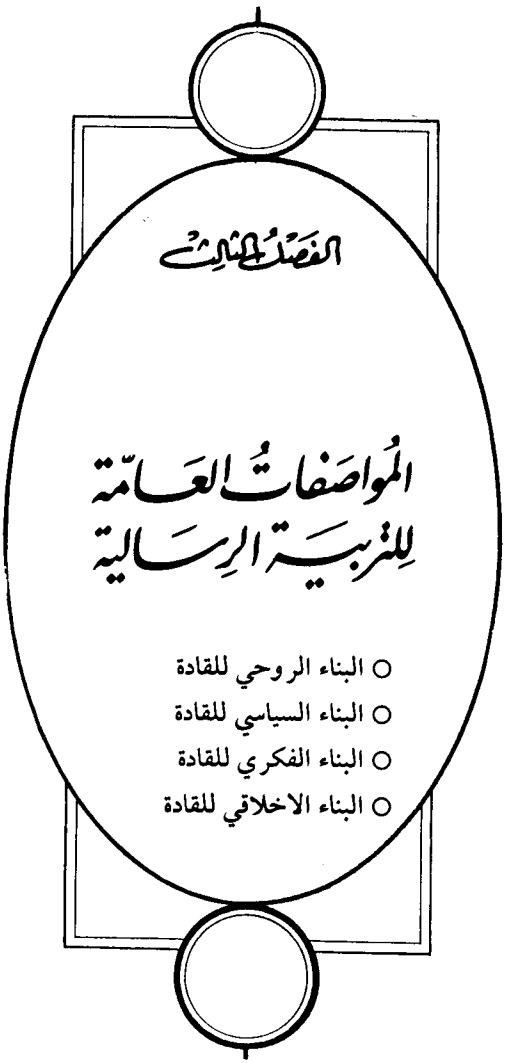

الفصل الثالث

المواصفات العامة للتربية الرسالية

- البناء الروحي للقادة
- البناء السياسي للقادة
- البناء الفكري للقادة
- البناء الاخلاقي للقادة

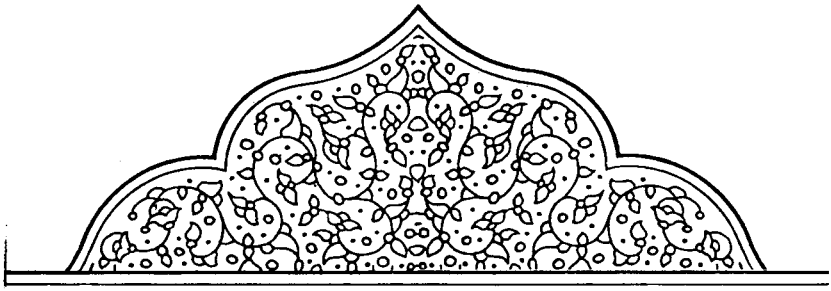

بناء الكادر حسب منهج أهل البيت (عليه السلام) بناء قوي ، ومحكم ، لانه متكامل وواقعي . . ولذا وجدنا طلائع الرسالة في التاريخ ، تلك المجموعات التي تعرضت لفيض التربية الرسالية ، بقيت وأبقت معها رسالتها ولم تتنازل .

ان ما نجده في حياة اصحاب امير المؤمنين (عليه السلام) من اصرار على الانتماء للرسالة ، ورفض البراءة من القائد ، حتىٰ وصلوا إلى القتل . . ان ذلك ليهدينا إلىٰ ذلك النوع من التربية والبناء الرائع الذي تعرض له هؤلاء بواسطة ائمتهم (عليه السلام) ، وهكذا بالنسبة إلىٰ بقية الأصحاب .

وذاك حجر بن عدي الذي كان ثمن رأسه أن يتكلم بلسانه فيسب قيادته ويتبرأ منها ، ولكنه وجد هذا الثمن غالياً ومستحيلاً وفضل الموت صبراً ، وحفر قبره بيده .

وذاك هلال بن نافع من أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) الذي كان معه ليلة العاشر من المحرم ، وبينما كان الامام يتفقد المنطقة رغّبه في الخروج من كربلاء الاستفادة من ظرف الظلام والهدوء والذهاب إلىٰ أهله . ورغم أن البعض ينتظر هذه الفرصة للتخلص من المواقع الحرجة ، إلا أن يقف تلك الوقفة الخالدة قائلاً :

لوددت أنني اقتل ثم احرق ثم ابعث يفعل بي ذلك سبعين مرة وأن يدفع بذلك القتل عنك وعن أهل بيتك .

وهكذا بالنسبة إلى سعيد بن جبير الذي قهر طغيان الحجاج ومرغ بشهاته جبروته في الوحل .

وعلىٰ هذا المعدل . . بقية الاصحاب والطلائع ، إن هذه المواقف تكشف عن نوع خاص من التربية ، والاعداد ، ولا بد لنا أن نلتمس الطريق لاكتشاف ذلك النوع من التربية .

وسوف نحاول اكتشاف أساليب أهل البيت (عليه السلام) وطرقهم في تربية أصحابهم المخصلين لنستهدي بها في طريق العمل الرسالي . . ويمكن أن نشير إلىٰ بعض الصفات العامة لهذه التربية كالتالي :

١ / تربية متكاملة وشاملة :

يهتم الاسلام بتغيير الفرد المسلم المنتمي إليه تغييراً جذرياً ، وتدخل تعاليمه في كل جوانب حياة الانسان ، بدءاً من النية التي يحددها الاسلام موجهاً الفرد إلى النية الصالحة باعتبارها جزءاً من العمل ، ومقدمة له تؤثر تأثيراً كبيراً في صحة العمل وفي قبوله لدى الله سبحانه وتعالى ، وانتهاء بتقرير نوعية العمل السياسي والعسكري ، هذا مروراً بعدد هائل من التعاليم الاخلاقية ، والواجبات العبادية ، بحيث يصبح المسلم بعد ذلك فرداً متميزاً عن غيره من اصحاب المذاهب الفكرية او السياسية .

وبالنسبة لطلائع الرسالة تشتد الحاجة الحاجة إلىٰ التربية الشاملة ، حيث لا بد من صياغة جديدة لشخصية الكادر الرسالي تبدأ بأخلاقه وسلوكه ، وتعامله مع المجتمع ، اضافة إلىٰ عمله السياسي .

ولعلنا نلاحظ هذا الأمر في وصف أهل البيت لأصحابهم المخلصين وبالتالي النوعيات المطلوبة في كل وقت للرسالة .

فعن جابر الجعفي قال : قال ابو جعفر (الباقر) (عليه السلام) :

« يا جابر . . يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ؟ فو الله ما شيعتنا إلا من اتقىٰ الله واطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع واداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس إلا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء .

قال جابر : قلت يا بن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة !! فقال لي (عليه السلام) : يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب علياً (صلوات الله الله عليه) واتولاه فلو قال اني احب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورسول الله خير من علي ، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه اياه شيئاً فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين احد قرابة ، احب العباد إلى الله واكرمهم عليه اتقاهم له واعملهم بطاعته »[1] .

والتأكيد علىٰ وجود هذه الجوانب المختلفة التي تبدو في ظاهرها متناقضة رغم أنه عسير ألا أنه ضروري ، إذ من السهل أن يختص المرء بأحد الجوانب ويكرس في نفسه نوعاً معيناً من الصفات ، فيكيف كل حياته بهذا الاتجاه ، بحيث لا يستطيع أن يتخلىٰ عنها ، كأن يتعود علىٰ الزهد والرهبنة والتخشن فيبتعد عن ملذات الدنيا ، وينزوي عن المجتمع ويمارس عباداته بمفرده دون أن يكون في الناس ، ودون أن يتعرض للصراعات وهذا ما فعله الصوفيون في مختلف العصور ، وليس هذا بالأمر العسير .

كما أنه ليس من العسير أيضاً أن يحترف المرء البندقية ويصبح حليف الرصاص ولا يعيش إلا بها ومعها ، فلا يخرج من معركة إلا ليدخل في أخرىٰ ولا يسكت الرشاش إلا لتنظيفة والعودة إلى القتال . . وهكذا . . وهذا أيضاً

---

(١) صفات الشيعة للشيخ الصدوق ٥٤ .

رغم صعوبته ، إلا أن الكثير من المناضلين يقومون به ولا يجدون فيه عسراً ، بل غير المناضلين كالمرتزقة .

وأيضاً ليس صعباً على المرء أن يصبح مفتياً وعالماً ، فيعيش ضمن معادلات القرطاس والحبر ، ويصنع لنفسه عالماً خاصاً ، يخوض فيه المعارك الفكرية فيؤيد هذا ويعارض ذاك ، ويشغل نفسه بالكتاب قراءة وكتابة ومناقشة . . وهذا حال غالب العلماء النظريين . .

اذن . . أن يختص المرء بجانب من الجوانب ويلخص حياته فيه ، هذا ليس صعباً وعسيراً ، إنما الصعوبة الحقيقية في أن يجمع المرء هذه الأمور المختلفة ويكرسها في شخص واحد . أن يكون مقاتلاً ثورياً من الدرجة الاولى عند احتدام المعركة ، وعالماً فاضلاً عارفاً بالاسلام ، وخبيراً بالاوضاع الاجتماعية والسياسية وقادراً على الخروج من صراعاتها بنجاح وانتصار ، هذا هو البحر الصعب الذي لا بد لكوادر الرسالة أن يخوضوالجته .

اننا لو نظرنا إلى حياة أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم لو جدنا مظاهر الشمولية هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفس الوقت الذي يخرج في جوف الليل لعبادة ربه حتى يسقط على الارض من شدة البكاء والتضرع لله سبحانه . . هو نفسه الذي يقود الجيش في مواجهة الكافرين ويكون في اللحظات الحرجة اقرب المسلمين لقتال العدو كما يقول امير المؤمنين (عليه السلام) : « وكنا إذا اشتد القتال احتمينا برسول الله » .

وهكذا بالنسبة إلى الامام علي (عليه السلام) فهو مقاتل يهرب من قتاله اشجع فرسان العرب ، وهو أيضا بكاءٌ في المحراب ليلاً ، وهو الذي يتضعضع لبكاء امرأة ارمل أو طفل يتيم .

لا يقال ان تجسيد هذه الجوانب المختلفة تابع لكمال الائمة لاننا نجد أن اصحاب الائمة (عليه السلام) أيضا جسدوا في حياتهم هذه الجوانب . . هذا مالك الاشتر اداري فذ وقائد رسالي حكم بلاد مصر حكما اسلامياً مدة

من الزمن وهو نفسه المقاتل البطل الذي روى الارض بدماء الباغين على امير المؤمنين وهو العابد الزاهد . وذاك زيد بن علي بن الحسين السجاد ، يقود ثورة مسلحة ويحارب الحكم الأموي في ذات الوقت الذي هو من ابرز الفقهاء الذين تتلمذوا على يد السجاد (عليه السلام) .

هكذا فان تربية أهل البيت (عليه السلام) لكوادر الرسالة تشمل الجانب الروحي حيث تهذب علاقة الانسان بخالقه سبحانه وتحقق مفهوم العبودية لله في حياة العبد ، إضافة إلى أنها تشمل الجانب الشخصي فتقوم أخلاقه وسلوكه ، كما تتحكم في اسلوب عمله السياسي ، اضافة إلى تعريفه بالاسلام وباحكامه . . كل ذلك سوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة .

٢ / تربية واقعية :

هناك منهجان في اثارة الفرد للقيام بالثورة والانتماء إلى الثائرين :

المنهج الاول : يعتمد على اثارة الخيال ، وتقديم الوعود المسولة لهذا الفرد في أنه ـ بالثورة ـ سوف يحصل على الامتيازات ، وسوف يحكم البلد ، ويسيطر على اموال الحاكمين بعد اسقاطهم ، وانه سوف يصبح كذا وكذا . .

والمنهج الثاني : يعتمد على مواجهة الفرد بالحقيقة ، وأنه عند انتمائه لخط الرسالة سوف يأتيه البلاء ، وسوف يشرد ، ويسجن ، وربما يقتل ، وأن الثورة ليست نزهة قصيرة ، وانما هي صراع عنيف قد تنتهي حياة الثائر ولا ينتهي . . وأن الناس ليسوا رهن الاشارة فقد يرفضون بجهلهم الثورة والتغيير ، وقد يشككون في نيات الثائرين ويتهمونهم بمختلف انواع التهم والافتراءات .

وقد يكون المنهج الأول أقدر على الاستقطاب ، واقرب لقبول الناس فالحياة يرغب فيها المرء اكثر مما يرغب في الموت ، ويرغب في أن يكون حاكماً لا أن يبقى في سجن ، أو أن يستشهد .

وهـذا هو المنهـج الذي تتبعـه غالبيـة الحركـات غير الاسـلامية ، واحيـاناً بعض الاسلامية ، ومع أنه منهج قادر عـلى الاستقطاب ، اكـثر من المنهج الثـاني إلا أنـه على المـدى البعيد خـاسر ، لأن الفرد يمكن أن يبقى غـافـلاً أو متغـافـلاً لمدة من الزمن ،لكنه لا يبقى إلى الأخيـر هكذا . . هذا اضـافة إلى أن درجـات التضحية والعطاء لـدى الفرد الـذي جاء عبـر هذا المنهـج تصل إلى أدنـاها ، إذ أنـه أساساً جاء لكي يأخـذ ، لا ليعطي ، انتمى لكي تنتصر الثـورة ويأكـل من خيرها ، ولذلك ليس من الصحيح حسب رأيه أن يضحي بنفسه .

اننـا لا نجد غـرابة في أن تسقط الاحـزاب والحركـات غير الاسـلاميـة في أحضان الانظمـة التي تعارضهـا في الأخير لأن المنهـج أساسـاً منهج خـاطـىء ، ولو تتبعنا تجربة هذه الحركات في بلادنا الاسلاميـة لوجـدنا ان المـطاف قد انتهى بها إلى التقاط فضلات الانظمـة الجائـرة عبر الاشتـراك في الوزارة أو في احتـلال زاوية صغيرة من زوايا البرلمان وهكذا (قنعت من الغنيمة بالاياب) .

أما المنهج الثـاني الذي الـذي يعتمد عـلى مواجهـة الفرد المنتمي بـالحقيقة التي تنتـظره ، انه لن يحصـل عـلى مـا يتصـور فقـــد لا تنتصر الثـورة ، وقـد تصادر جهود العاملين منذ البداية .

ان مـا ينتظره ليس إلا البـلاء ، وعليه أن لا ينتـظر غـير ذلـك ، وقيـامـه بهـذا لعمـل ليس إلا لأنـه واجب شـرعي ، ولأن فيـه خـدمـة النـاس ونصـرة الاسلام ، لا اكثر .

هذا المنهج رغم أنه أقل قدرة من الناحية العددية على الاستقطاب إذ أنه يدعو الناس إلى ما لا يـرغبون فيـه ، إلى البلاء ، والسجن والخـوف وطبيعي أن كثيـراً من النـاس لا يستجيبـون لهكـذا دعـوة ، إلا أنـه منهـج سليم ويمكن الاطمئنان إلى أن المنتمي على هذا الأساس مشـروع استقامـة ، وينبغي الاعتماد عليه . وهذا هو المنهج الـذي اتبعه اهـل البيت (عليهم السلام)مع أتبـاعهم . حيث كـانـوا يخبـرونهم بمـا سـوف يجـري عليهم من بـلاء وفتنـة . ويبينـون لهم

المعادلة التي سوف يعيشونها من أذى في الله .

ـ فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، انه قال لاصحابه :

« كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد مما دون لحمه من عظم او عصب ما يصده ذلك عن دينه »[1] .

ـ وعن امير المؤمنين (عليه السلام) :

« إن البلاء اسرع إلىٰ المؤمن التقي من المطر إلىٰ قرار الارض »[2] .

ـ وعن الصادق (عليه السلام) :

« ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم الامثل فالامثل »[3] .

وعن الصادق (عليه السلام) :

« إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة ، أما إنّ ذلك إلى مدة قريبة وعافية طويلة » [4] .

ـ وعنه (عليه السلام) :

« قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا بها من فعل ذلك بهم ولا أذىً ، بل ما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا علىٰ نوائب دهركم تدركوا سعيهم »[5] .

ـ وعن الكاظم (عليه السلام) :

« مثل المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في ايمانه زيد في بلائه ليلقىٰ الله

(١ ـ ٥) ميزان الحكمة ١ / ٤٨٢ .

عز وجل ولا خطيئة له »[1] .

ولو تتبعنا مواقف أهل البيت مع أصحابهم لوجدنا هذا المنهج واضحاً .

يأتي امير المؤمنين إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد معركة بدر فيقول له متأسفاً : أرأيت كيف فاتتني الشهادة يا رسول الله ؟! فيقول له الرسول : كأني بك وقد بعث اشقاها فخضب لحيتك من هامتك !! فيقول له الامام : وفي سلامة من ديني ؟! قال : نعم .

وأمير المؤمنين (عليه السلام) يخبر اصحابه بمصارعهم وشهادتهم ، فها هو يخبر ميثم التمار أحد حواريه عن المصير الذي ينتظره : والله ليقطعن يديك ورجليك ولسانك ولتصلبن عاشر عشرة ، اقصرهم خشبة ، واقربهم من المطهرة وتعلق علىٰ باب عمرو بن حريث .

وحين يقول رجل إلىٰ الامام الباقر (عليه السلام) : والله اني لاحبكم أهل البيت . يخبره بما ينتظره قائلاً : فاتخذ للبلاء جلباباً فوالله انه لاسرع الينا وإلىٰ شيعتنا من السيل إلىٰ الوادي وبنا يبدأ البلاء ثم بكم ، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم[2] .

٣ / تربية حازمة :

تفشل بعض الحركات في تحقيق النصر ، لأنها تربي أفرادها على الدلال ، فكي يبقىٰ هؤلاء الافراد محافظين على انتمائهم ، وولائهم ، فينبغي ألا يُغضبوا بالعتاب فضلاً عن العقاب . وبالتالي فمن الضروري اعتماد مبدأ التشجيع الدائم ، ورفع معنويات الفردو والتغاضي عن اخطائه وسيئاته .

وقد يكون هذا الأمر صحيحاً ـ بنسبة ما ـ في حق بعض الأفراد العاديين أما حين تصل المسألة إلى الكوادر والطلائع فان الاسلوب يجب أن يتغير ليحل

(١) ميزان الحكمة ١ /٤٨٢ .

(٢) ميزان الحكمة ١ / ٤٩٢ .

محله التربية الحازمة التي تشير إلى موضع القوة فتؤكد عليه وتشجع ، وتشير إلى موقع المرض فتستأصله ، تماماً كالطبيب الذي يحتاج إلى مقدار من الحزم فيستأصل بمبضعه الخلايا الفاسدة من جسد المريض دونما تردد .

إن الطلائع هم قادة المجتمع ، وخطأ الواحد منهم يجر الوبال على جميع أقسام العمل ، وسيئة واحدة تصبح سنة سيئة في المجتمع . وقد وجدنا أن اعدادا كبيرة من المجتمع قد انحرفت بسبب انحراف أحد الكوادر وسوء نظرة ، ولعل هذا يفسر شدة لعن الأئمة وبراءتهم من هؤلاء ، والتأكيد في كل مجلس ومحفل على انحرافهم .

علي ابن ابي حمزة البطائني الذي كان من وكلاء الامام الكاظم (عليه السلام) لطمعه في المال ، ورفضه تسليمه للامام الرضا (عليه السلام) ، أسس مذهباً أضل به كثيراً من الناس ، اولئك الذين وقفوا على الامام الكاظم وزعموا أنه حي لم يمت . . والذين يسمهم الائمة (بالكلاب الممطورة) وهم الواقفية . . ما السبب ؟ طمع ذلك الرجل في شيء من حطام الدنيا .

وإذا كان المرء يحاسب في الآخرة على قدر علمه ووعيه فترى أنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ، فان المعادلة ذاتها ينبغي أن تكون فيما يتعلق بالعمل الرسالي ودور الطلائع فيه ، وبالتالي فان تربية الطلائع ينبغي أن تكون تربية حازمة ، لا ضعف فيها ، ولا دلال ، ولا مراعاة للمشاعر على حساب العمل .

اننا نلاحظ القرآن الكريم نجد أنه في بعض آياته يعاتب المسلمين بخطاب قوي ، ويكشف عما في أنفسهم ، ويدين بعض أفكارهم . . كل ذلك تربية لهم . . فتراه بعد غزوة حنين يبين لهم سبب الهزيمة التي اصيبوا بها فيقول :

ـ « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (٢٥ / التوبة)

كما يفضح القرآن نفسية اولئك النفر من المسلمين الذين تخلفوا عن الجهاد ومختلقين الاعذار لأنفسهم في عدد من الآيات تبدأ بالآية ٤٢ من سورة التوبة :

ـ « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون . . »

وهكذا الحال بالنسبة لأهل البيت مع أصحابهم السلام)فنجدهم ينقدونهم ويبينون لهم أخطاءهم وبشكل قاسٍ في بعض الأحيان ، فالصادق يخاطب بعض أصحابه قائلاً لهم : إن أصحاب الامام الباقر (عليه السلام) أفضل من اصحابه إذ أن اولئك كانوا ورقاً لا شوك فيه وهؤلاء شوك بدون ورق .

وسوف نتحدث في الصفحات القادمة عن هذا الجانب .

هذه على صعيد النقد والعتاب ، وعلى صعيد آخر حينما نرى بعض احاديث الائمة في قسم من المواضيع نجد أن وراءها حزماً وقوة ، وأن هذه القوة مقصودة لكي تبلغ حد التأثير . . انظر إلى وصية الامام الصادق إلى بن النعمان مؤمن الطاق وهو أحد حواريه(عليه السلام) :

« يابن النعمان : اني لا حدث الرجل منكم بحديث فيتحدث به عني فاستحل بذلك لعنته والبراءة منه . . يابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو اعظم وزراً ، بل هو اعظم وزراً ، بل هو اعظم وزراً .

يابن النعمان انه من روى علينا حديثاً فهو ممن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأ .

يابن النعمان : ما لكم وللناس ؟ كفّوا عن الناس . (ولا تدعوا أحداً لهذا الأمر » .

إن هذه الكلمات في الوصية أشبه بأوامر عسكرية صارمة لا تحتمل التساهل والتهاون .

وفي مجال العمل والتحرك يأمر الأئمة بعض اصحابهم بالسكوت وترك المناظرة في المسائل الفكرية ، بينما يأمرون البعض الآخر بالاستمرار ، ويكون واجب البعض التظاهر بالجنون ، بينما البعض الآخر الهجرة . .

ـ ابان بن تغلب يقول له الصادق (عليه السلام) : جالس أهل المدينة فاني احب أن يروا في شيعتي مثلك [1] .

ـ علي بن يقطين يأمره الامام الكاظم (عليه السلام) بالبقاء في بلاط هارون العباسي ولا يقبل استقالته فقد كتب علي بن يقطين إلى ابي الحسن موسى (عليه السلام) : إن قلبي يضيق مما انا عليه من عمل السلطان فان اذنت لي جعلني الله فداك هربت منه ؟! فرجع الجواب : لا آذن لك بالخروج من عملهم واتق الله [2] .

ـ وبينما يأذن الامام الصادق (عليه السلام) لمؤمن الطاق في المناظرة والنقاش مع المخالفين ينهي غيره مثل ابي خالد الكابلي فقد روى ابو خالد : رأيت ابا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع اهل المدينة ازاره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه فقلت إن ابا عبد الله نهانا عن الكلام . فقال : امرك أن تقول لي ؟ فقلت : لا ولكن امرني ألا اكلم أحداً .

قال : فاذهب واطعه فيما امرك . فدخلت علىٰ ابي عبد الله واخبرته بالقصة فتبسم ابو عبد الله (عليه السلام) وقال : يا أبا خالد إن صاحب

---

(١) اعيان الشيعة ٢ / ٩٨ ط بيروت .

(٢) بحار الانوار ٤٨ / ١٥٨ .

الطاق يكلم الناس فيطير وينقص وأنت إن قصوك لن تطير[1] .

أي أنه كفوء لهذه المهمة ، بينما لا تمتلك الكفاءة الكاملة .

هكذا ربىٰ الائمة حواريهم تربية حازمة ، وضعوا الفردالمناسب في الموقع المناسب ، ولم تتدخل المشاعر والعواطف في القرار ، بل كان النقد والعتاب وملاحقة الاخطاء ، والاحاديث الركيزة في توجيههم وتعيين مجال العمل والدور المناسب لكل فرد دون أن تتدخل رغبة هذا الفرد في الأمر .

(١) رجال الكشي ٢/ ٤٢٤ .

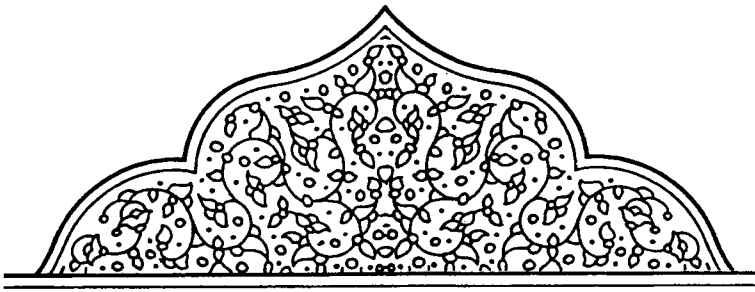

البناء الروحي للقادة

مشهـدان . .

بعد ٦٤ عاماً ، وفي ضربـة واحدة ، تهـاوى حزب (تـوده) الشيوعي في إيـران . وظهر (ابـطاله) عـلى شاشـة التلفزيـون وأمام المـلايين ليعلنـوا إفلاس الحزب ، ومن ورائه الشيوعية في عالمنا الإسلامي .

عشرون من الرفاق القياديـين (!) كانـوا يتسابقـون في الإنهيار ، بعضهم أمضى نصف قرن من النضال الطبقي !!، وجاء بعـدها ليـركع أمـام الاخلاقيـة الجـديدة التي يصنعهـا الاسلام . . لم يكن هنـاك تعذيب أو قسر كـما صـرح بـه هؤلاء[1] .

مشهـد آخر يتكـرر مع الـرسـاليـين في كـل أدوار تـاريخهم ، مـع الامـام الكـاظم (عليه السـلام) في سجنه ، ومـع محمد بن أبي عمـير ، ومـع ابنـائهم والسائرين على نهجهم مجاهدي الأمة الاسلامية في مختلف بقاعها .

جميعـاً تتهرئ اجسـادهم من الضرب ولا يعتـرفـون ، ان قلوبهم لا تعبـد الا واحداً وما دامت قد عبدت الله فلن تخضع لغيره .

---

(١) سقوط حزب توده / محمد علي حسين .

ما هو الفرق ؟!

وما الذي يجعل هذا الفتى اليافع صامداً تحت سياط الجلادين ؟! بينما يتساقط آخرون في عمر جده ، دونما تعذيب ؟!

إنه التربية الروحية التي ينشأ على أساسها المؤمن ، وتسري تعاليمها في كل خلية من خلاياه ، فتؤثر في اخلاقه ، في صموده واستقامته ، كما تؤثر في اسلوب تعامله مع المسائل اليومية والمشاكل الحياتية .

وليس هذا أمر جديد انما هو نهج اختطه المجاهدون السابقون ، والرساليون الأولون ، ممن تعرضوا لنفحات من تربية الائمة المعصومين عليهم السلام ، الذين سجنوا وعذبوا ، واهينوا « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما وضعفوا وما استكانوا » .

هذا قائدهم وزعيمهم موسى بن جعفر (عليه السلام) الذي يجد السجن نعمة للتفرغ لعبادة الله .

وذاك محمد بن ابي حذيفة أحد حواري أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يقذف به في السجن سنيناً ، فلا يكاد يغير موقفه رغم الإغراء حيناً والعذاب دائماً .

وغيرهم كثيرون . .

انه نور الايمان حينما يزهر في قلب المرء ، فيجعله عارفاً بالله ، ذائباً في تعاليمه ، فينسى كل شيء في الحياة ، صعوباتها ومشاكلها ، طغاتها وحكامها ، ويبقىٰ ذاكراً لله راغباً في ثوابه ، راجياً رحمته .

وهذا الفرق فرق عظيم ، فهو ليس تكتيكاً ، أو صفة محبذة فحسب أنما هو منهج المسيرة ، وأساس البناء .

فرق كبير تتجلى آثاره المختلفة ، في منطلق التحرك حيث يرى المؤمن أنه يتحرك ضمن الواجب الشرعي ، واستجابة لأمر الله ، ورغبة في رضوانه

وغفرانه ، ورغم أنه يلاحظ الظروف الخارجية ويضع الخطة الملائمة لها ، الا أنه لا يراها المنطلق الاساسي للتحرك فمنطلقه واجبه الشرعي ، واوامر الله سبحانه وتعالى ، وبالتالي فلو كانت فرص النجاح معدومة فإنه يتحرك أيضاً ، إذ ليست هي الأساس .

تتجلىٰ آثاره أيضاً في معالجة المشاكل والصعوبات التي ستلاقي الرسالي في طريقه حيث يؤمن أنه مهما واجه من فتن ومحن فان عليه أن يصبر ويستبشر لأنها تزيد رصيده من الحسنات ، وانها بعين الله لعلنا نفهم هذا من موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما ذهب الى الطائف طالباً منهم الايمان بالله ومستنجداً بهم فلم يجدوا الا الأحجار والايذاء جواباً له وأغري به السفهاء والصبيان حتى سالت قدماه دماً . .

هذا الرسول المعلم ذهب بعد هذا المشوار المضني ، الى بستان يتفيأ بظلال اشجاره وليستريح ، وهنا رفع رأسه الى السماء ، إلى خالقه المعين ، إلى أمله ، وآنسابت هذه المناجاة التي تهزك اليوم بعد (١٤) قرناً :

« الهي . . الى من تكلني إلى قريب يتجهمني ؟! أم الى بعيد ملكته أمري ؟! أم إلى المستضعِفين لى وانت ربي ومليك أمري . . ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي »

الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء عندما كان اصحابه يتساقطون في بحر الشهادة وعندما كانت تحف به المحن والمآسي كان يستبشر ويشرق وجهه بالنور قائلاً : (هون عليّ ما نزل بي انه بعين الله) . . وما دام بعين الله ، وتحت نظر الله سبحانه ، فإنه لا يضيع ، بل هو مدعاة للفرح والسرور والرضا ، لننظر إلى الامام الحسين (عليه السلام) وهو واقع على الارض وبجسمه من الجراح مالا يحصىٰ وهو ينزف ، حينما يرمق السماء بعينيه المجهدتين ، ويقرأ هذا الدعاء الرائع غائباً عن صهيل الخيل ، وضوضاء الجيش ، مناجياً ربه :

« الهي رضا برضاك ، لا معبود سواك ياغياث المستغيثين . . »

« اللهم . . انت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وانت لي في كل هم نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو انزلته بك ووكلته اليك رغبة مني اليك عمن سواك » .

تتجلى آثاره أيضاً حين التعامل مع الأمور التي تخص العمل ، فالذي تربى عبر هذا المنهج لا يمكن أن يسمح لنفسه ، بالاعتداء على حدود الله وحقوق الآخرين ، فلا يصرف درهماً في غير حله ، ولا يتصرف في شيء لا يحق له كما فعل خيران الخادم حين استأذن علي بن مهزيار في بضعة دراهم أهديتَ اليه ، فارسل الى بن مهزيار يسأله عن طريقة التصرف فيها ووجوه انفاقها .

ويعتبر المؤمن الرسالي تقصيره في الأعمال الموكولة إليه جزءً من الذنوب والمعاصي التي يحاسب عليها ، كما يحاسب على التقصير في الأمور العبادية .

وعلى هذا النهج تربى أصحاب المعصومين (عليهم السلام) وكوادرهم .

والعاملون الرساليون اليوم ، وفي زحمة المؤامرات الكبرى التي تحيكها أعتى الاجهزة الاستكبارية ، وعند اشتداد وطأة التحالفات العالمية الظالمة التي تريد السوء بالاسلام وأهله ، وعند شدة الكرب ، وسورة الإرهاب الطاغوتي ، ليس لهم معين الا الله ، وإلا الاعتصام بحبله ، والاستناد الى قوته .

وليعلموا أنه لا شيء يصنع القوة كالاعتماد على القوة المطلقة ، والقدرة المطلقة ، والخالق الرؤوف بعباده الصالحين .

ان بداية الطريق تزكية الدوافع عبر تربية روحية متقدمة ، ترفع المرء

من حضيض الضعفِ والجهل والمشاكل اليومية إلى رحاب قوة الله ، وعزته .

وبنظرة إلى تاريخ الائمة (عليهم السلام) وطريقة تربيتهم لأصحابهم نجد هذا الجانب ـ كبقية الجوانب ـ علامة مضيئة .

أساليب التربية الروحية :

١ ـ الدعاء :

خلف لنا المعصومون (عليهم السلام) تراثاً رائعاً من الأدعية ، وسنوا لأتباعهم خير اسلوب لطريقة التخاطب مع الله سبحانه ، ومناجاته ، والتوسل إليه . . ولم يكن ذلك عبثاً أو تصادفاً وانما كان في صميم المنهج الذي أرادوا لكوادرهم واصحابهم أن يسيروا عليه .

والدعاء ، رغم ما يحتويه من معانٍ رائعة ، وثقافة اسلامية أصيلة ونصوص دقيقة في العقائد ، اضافة الى كل ذلك فهو بالأساس طريق الى معرفة الله ، ومعرفة العلاقة بين القارىء للدعاء وبين خالقه ، وقد ورد أن العبد إذا أراد أن يتحدث الله سبحانه معه فعليه بقراءة القرآن وإذا أراد أن يتحدث هو مع الله فعليه بالدعاء والمناجاة .

ورغم أننا نعلم أن الدعاء والمناجاة ، نوع من الاعتراف لله والإقرار بالخطيئة ، وطلب المغفرة ، ويفترض بالتالي أنها أمر خاص ، إلا أننا نجد المعصومين عليهم السلام يحرصون على نقل هذه الادعية ، وتحميلها لاصحابهم بحيث أنها تعرف باسماء أصحابهم مثل دعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي ، مما يشير الى أنهم (عليهم السلام) أرادوا تربية الاصحاب عبر هذه الأدعية ، وإلا لكان ممكناً أن يقوم الائمة (عليهم السلام) بقراءة هذه الأدعية في جوف الليل دون أن يعلم بها أحد .

وبالنسبة للصحيفة السجادية نجد أن الائمة (عليهم السلام) يحرصون حرصاً شديداً على تناقل ادعيتها والمحافظة عليها من التلف ، ويورثونها

لاصحابهم ، كما يستفاد من مقدمة كتاب الصحيفة السجادية ، التي تبين حرص الامام الصادق (عليه السلام) على هذه المجموعة من الأدعية ، بحيث أنه لا يدفعها إلى يحيىٰ بن زيد خوفاً عليها من التلف بعد شهادته بيد الامويين[1] .

وبنظرة الى كتاب مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله ، نجد أن عدداً غير قليل من الأدعية رواها أصحاب الائمة (عليهم السلام) . . وانني انصح جميع العاملين ـ ونفسي قبلهم ـ بالحرص على الرجوع الى هذه الكنوز الروحية ، للتزود منها في اثناء المسيرة ، ولقد أحسن قادتنا وائمتنا عليهم السلام إذ أنهم صنعوا لأصحابهم ، ومن بعدهم لاتباعهم ، برنامجاً كاملاً في التربية الروحية .

هذا الدعاء المشهور الذي يرويه كميل بن زياد النخعي عن سيده امير المؤمنين (عليه السلام) ويدعى به في ليالي الجمعة ، وهو البرنامج الذي لا يترك لدى المؤمنين في هذه الليلة ، وفيه من المعاني ما يحتاج الى كتاب كامل حوله ، فهو يتضمن توحيد الله وذكر صفاته والثناء عليه ، كما يوقف الداعي موقف الاعتراف بالذنب والخطيئة ، معدداً سيئاته ، ونعم الله عليه في المقابل ، وينقله الى مشهد القيامة حيث البلاء الذي تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفف عن أهله ، وكأنك في هذا المشهد تسمع ضجيج المؤملين لرحمة الله . . ياغياث المستغيثين ياحبيب قلوب الصادقين .

وهذا دعاء ابي حمزة الثمالي الذي يرويه عن الامام زين العابدين (عليه السلام) ولم أرفي الأدعيه الأخرى كهذا الدعاء ودعاء الامام الحسين (عليه السلام) في عرفة ، فهو اضافة الى تنوع المواقف ، والحالات التي يصورها هذا الدعاء ، ينقله بشكل سريع ومؤثر الى مختلف المشاهد ، ويستخدم أفضل المؤثرات المعنوية والروحية لصقل شخصية الانسان المؤمن .

---

(١) الصحيفة السجادية / ط بيروت / ص ١٢ .

ورغم أنني لا أريد الا الاستشهاد بالأدعية على طريقة التربية الروحية لدى المعصومين (عليهم السلام) ، الا أنني أجد نفسي مساقاً الى التأمل في هذه الأدعية ولو بشكل سريع . . ها هو الامام السجاد (عليه السلام) يعلم أبا حمزة الثمالي كيف يخاطب الله سبحانه وكيف يتوسل إليه . . فيصنع نوعاً من المقارنة بين إحسان الله ، وجحود العبد :

« الحمدلله الذي ادعوه فيجيبني وان كنت بطيئاً حين يدعوني والحمدلله الذي اسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني . . » .

ويستمر معدداً نعم الله عليه وتنوعها (فما ندري ما نشكر أجميل ما تنشر أم قبيح ما تستر أم عظيم ما ابليت واوليت أم كثير ما منه نجيت . .) .

ثم يعترف المؤمن بقلة توجهه الى الله ، وضعف علاقته ، ويعدد الاخطاء التي يمكن أن يكون فيها كالاستخفاف بحق الله ، أو الاعراض عن التوسل أو جحود النعمة ، أو عدم التواجد في مجالس العلماء والواعين ، والاستعاضة عنها بجلسات البطالين غير الهادفة .

« اللهم اني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك ومناجيتك القيت علي نعاساً إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت . . مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية ازالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فاقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني ، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقلة حياتي منك جازيتني . . » .

ثم ينتقل الى احوال المرء بعد الموت . . (ارحم في هذه الدنيا غربتي

وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي ، واذا نشرت للحساب بين يديك ذل موقفي وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني ايدي أحبتي وتفضل علي ممدوداً على المغتسل يقلبني صالح جيرتي وتحنن علي محمولاً قد تناول الاقرباء اطراف جنازتي . .) .

ودعاء الجوشن الصغير الذي ينقل عن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) وهو يبين حماية الله سبحانه للانسان المؤمن من كيد الاعداء ، ومؤامرات الطواغيت .

وهكذا المناجاة الخمسة عشرة التي تروى عن زين العابدين (عليه السلام) .

ودعاء السمات الذي علمه الامام الحجة المنتظر لأحد نوابه وهو محمد بن عثمان العمري . . وكنا نحب أن نستعرض بعض الأدعية الاخرى خصوصاً دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في عصر يوم عرفة الذي يرويه بشر بن غالب الاسدي وهو من اروع الأدعية . . إلا أن المجال هنا لا يتسع .

٢ ـ الوصايا والمفردات الروحية :

في وصايا المعصومين (عليهم السلام) نجد أنهم يفتتحون الوصية بالتأكيد على عدد من المفردات تصب في قناة التربية الروحية ، وتعتبر اطاراً جامعاً لعمل المؤمن وحركته في الحياة .

وإذا كنا نعلم عن صلاح حال هؤلاء الاصحاب وتقواهم واخلاصهم لله ، فبعضهم ضمن لهم الائمة (عليهم السلام) الجنة كما ضمن الامام الرضا (عليه السلام) ليونس الجنة ، والكاظم لعلي بن يقطين ، ومدحوا بعضهم الآخر مدحاً بالغاً .

اذا كنا نعلم ذلك ، فاننا نعتقد أن هذا التأكيد ، والتركيز من قبل

الائمة (عليهم السلام) على هذا الموضوع ، انما هو استمرار في صناعة الإطار الروحي والالهي الذي يلف عمل المؤمن بشريط الإخلاص .

من هذه المفردات التقوى ، والزهد ، والتذكير بالموت . . وقد تتداخل تداخلاً شديداً لأنها تؤدي إلى غرض واحد .

هذا أبو ذر الغفاري (رض) الذي تحدث رسول الله (ص) عن فضله كثيراً، قائلاً : بعد أن سأله أبو ذر وصية نافعة : ـ نعم واكرم بك يا أبا ذر انك منا أهل البيت . . بعد ذلك يبدأ بتلك الوصية الخالدة :

« يا ابا ذر : اعبد الله كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك . . » .

« يا ابا ذر : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنظر غداً لا يبلغه . . » .

« يا ابا ذر : لو نظرت إلى الاجل ومسيره لا بغضت الأمل وغروره» .

« يا ابا ذر : كن في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور » .

« يا ابا ذر : اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدري ما اسمك غدا » .

« يا ابا ذر : أتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم فداك أبي . قال : فاقصر من الأمل واجعل الموت نصب عينيك ، واستح من الله حق الحياء . . »[1] .

ولهذه التوجيهات أثر مهم في تهذيب مسيرة الرسالي ، إذ أنه ينشغل بالمشاكل اليومية التفصيلية ، وبالصراعات المختلفة ، ناسياً الصراع الاساسي ،

---

(١) مكارم الاخلاق / ص ٤٥٨ .

والسباق الاساسي الى الجنة ، هنا تعيده الوصايا التربوية والتوجيهات الروحية الى واقعه ، إلى ذاته ، وإلى مصيره الرهيب الذي ينتظره ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه .

وإذا كانت المعادلة في الحياة هكذا فلماذا التكالب على الدنيا ، والتطاحن على شهواتها ؟! أليس من العقل ترك الوجاهات ، والاستئكال بالدين ، والسعي وراء الرئاسات ؟!

أليس هدف المؤمن الجنة ؟! ألا نفتش عن الطريق الى النعيم ؟! اذن :

فاقصر من الأمل ، واجعل الموت نصب عينيك واستح من الله حق الحياء » .

تأمل معي . . عزيزي القارىء ، موقف الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) وتوجيهه أحد أصحابه في هذا المجال ، يروي نوف البكالي قال : رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي : يانوف أراقد أنت أم رامق ؟! قلت : بل رامق . فقال :

« يانوف طوبىٰ للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، اولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ، ثم قرضوا ـ مزقوا ـ الدنيا قرضاً على منهاج المسيح . . » [1] .

ان التربية الروحية ليست عملاً تكتيكياً كما قلنا ، وانما هي استراتيجية في البناء والاعداد بالنسبة للكادر الرسالي ، لأنه يهدف رضوان الله ، ويسعىٰ الى جنته . . غير أنها مع ذلك تساعد في حل الاشكالات لدى الفرد العامل . ذلك أن هناك طريقتين في حل مشاكل الافراد العاملين :

الاولىٰ : الطريقة الاعتيادية التي يطلب فيها الفرد حلولاً للمشاكل المتعلقة بالعمل . . وبالنسبة للمشاكل الاعتيادية التي يكن حلها ، أمرها

---

(١) نهج البلاغة .

يهون ، غير أن هناك نوعاً آخر من المشاكل لا يرتبط بالفئة العاملة ولا تستطيع أمامه القيام بأي شيء . . هنا قد تنعكس هذه المشاكل على العاملين صورة قائمة سوداء ، تزعزع ايمانهم ، وتفسد حماسهم ويجدونها اكبر من حجمهم وامكاناتهم ، فتضيق صدور البعض بالأمر متطورة الى حالة من الانهزام والسلبية فيما بعد . . وهنا تتورط الفئة الرسالية بين أمرين :

القيام باعمال تخالف استراتيجيتها للحفاظ على ثقة الأفراد حتى لو كانت هذه الاعمال اكبر من حجمها كل ذلك لحل المشاكل القائمة . او خسارة بعض الأفراد الذين لا يتحملون هذا الوضع .

الثانية : تلك التي نعتقد أنها جارية في عمل المعصومين (عليهم السلام) مع كوادرهم واتباعهم ، وتقوم على أساس اعطاء زخم روحي هائل ، وارتباط بالله ، وتوجيه الأفراد في هكذا مشاكل الى الأهداف الأساسية . . رضى الله ، خدمة الاسلام ، تحمل البلاء من أجل الله . .

ونعتقد أن هذه الطريقة هي الأصوب إذ أن مشاكل العمل لا تنتهي وقوى الطاغوت المادية اكبر وبالتالي قدرته على احراج الحركة الرسالية اكثر ، وإذا افترض ان على الفئة الرسالية أن تجيب على الاشكالات والمحن اليومية التي ترد على العاملين ، فان عليها أن تقدم استقالتها في الأمور الأخرى !! هذا المنطق ينبغي أن يسود صفوف العاملين الرساليين ، بالنسبة لبعض الضعفاء الذين يستسلمون للمشاكل وينهزمون أمامها « هذا واجبنا الرسالي . . وعلينا أن نعمل ما في وسعنا . . والنصر من عند الله ان شاء اعطى وإن شاء منع . . » ، « البلاء جرى على من هو أفضل منا فكيف لا يجري علينا . . » .

انظر الى طريقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تربية عدد من أصحابه المخلصين ، الذين اشتكوا له الجوع . . وكيف وجههم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مركزاً على مفردات الصبر على البلاء ، وأنه صفة

الصالحين ، ثم يذكر لهم تجربة الانبياء والمرسلين في الزهد ، ناقداً اولئك المترفين الذين يسمون أنفسهم مسلمين !! وفي اكثر من (١٢) صفحة يفصل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الموضوع بحيث لا يستطيع ابن مسعود بعد هذه الوصية أن يفكر ـ مجرد تفكير ـ في الشكوىٰ من الاوضاع المعاشية التي تحيط به .

عن عبدالله بن مسعود قال :

« دخلت انا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد اصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ اربعة أشهر الا الماء واللبن وورق الشجر فقلنا : يا رسول الله الى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة ؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكراً فاني قرأت كتاب الله الذي انزل علي وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخل الجنة الا الصابرون » .

يابن مسعود : قال الله تعالى :

﴿ انما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب ﴾ .

﴿ اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ .

﴿ اني جزيتهم اليوم بما صبروا وانهم هم الفائزون ﴾ .

يابن مسعود : يقول الله تعالى :

﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾ .

﴿ اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ .

ويقول :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء ﴾

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾

قلنا : يا رسول الله فمن الصابرون ؟

قال : « الذين صبروا على طاعة الله واجتنبوا معصيته ، الذين كسبوا طيباً وانفقوا قصداً وقدموا فضلاً فافلحوا واصلحوا »

وهكذا يستمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإجابة العامة ، والمعالجة الكلية للمشاكل الممكن ورودها على الانسان المؤمن وضرورة صبره واستقامته وصموده أمام البلاء ، ثم يوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن مسعود لا ستقراء حال المرسلين والقادة :

« يابن مسعود : ان الله اصطفى موسى بالكلام والمناجاة حتى كان يرى خضرة في بطنه من هزاله » .

« يابن مسعود : ان شئت نبأتك بأمر نوح (عليه السلام) نبي الله أنه عاش الف سنة الا خمسين عاماً يدعو الله فكان اذا أصبح قال واذا لا أمسي قال لا أصبح وكان لباسه الشعر وطعامه الشعير » .

« وإن شئت نباتك بأمر سليمان (عليه السلام) مع ما كان خير من الملك كان يأكل الشعير ويطعم الناس الحوارّى (الدقيق الابيض) . . وكان لباسه الشعر وكان اذا جنه الليل شد يده الى عنقه فلا يزال قائماً يصلي حتى يصبح ، وإن شئت نبأتك بأمر ابراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) كان لباسه الصوف وطعامه الشعير ، وان شئت نبأتك بأمر عيسى بن مريم(عليه السلام) فهو العجب كان يقول : إدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلاي وسراجي بالليل القمر واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس وفاكهتي وريحانتي بقول الأرض مما يأكل الوحوش والأنعام ، أبيت

وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني »[1] .

وهذا أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه عندما أمر عثمان بنفيه الى الربذة . وخرج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جمع من أصحابه لتوديعه ، وجدنا أن الحديث المتبادل لم يكن في كيفية الخروج من هذا المحنة والاقتراحات المناسبة بهذا الشأن ، انما كان في الأطر العامة التي تلخصها فلسفة ابتلاء المؤمن ، وثواب الله الذي ينتظره بعد هذا البلاء .

يروي العلامة المجلسي رضوان الله عليه أن أبا ذر لما أخرج ونهى عثمان عن الخروج لتوديعه خرج الأمام امير المؤمنين والحسنان وابن عباس وعدد من الاصحاب لتوديعه ، فكان مما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« يا أبا ذر : انك غضبت لله ، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلا ونفوك الى الفلا ، والله لو كانت السماوات والارض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً ، يا ابا ذر لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل »[2] .

وحين تحل بأبي هاشم الجعفري ضائقة شديدة يتوجه الى الامام الهادي (عليه السلام) يقول : فصرت إلى أبي الحسن الهادي عليه السلام فأذن لي فلما جلست قال : يا ابا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها ؟ قال ابو هاشم : فوجمت ولم أدر ما اقول ؟!

فابتدأ (عليه السلام) قائلاً :

« رزقك الايمان فحرم بدنك على النار ، ورزقك العافية فاعانك على الطاعة ، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل ، يا ابا هاشم انما ابتدأتك بهذا لانني ظننت أنك تريد أن تشكو لي من فعل بك هذا وقد امرت لك بمائة

---

(١) مكارم الاخلاق ٤٤٦ .

(٢) بحار الانوار ٢٢ / ٤١٢ .

دينار فخذها »[1] .

فنرى هنا ان الامام عليه السلام في البداية اراد ان يوجه الجعفري الى النعم التي أنعم الله بها عليه ، والتي ينساها الانسان ـ عادة ـ وقت المشاكل . . اضافة الى أنه وهبه شيئاً من المال مما كان في مقدوره . . ومع أن الامام كان بامكانه ان يهب أبا هاشم المال ، ويحل ضائقته وتنتهي المسألة ، إلا أنه عليه السلام أراد إصلاح خطأ في طريقة تعامل الرساليين مع المشاكل .

٣ ـ البرامج العملية :

إضافة الى ما سبق ذكره فان بناء الائمة لكوادرهم يعتمد عدداً من البرامج العملية التي تدخل كأحد الفقرات الهامة في صلب برنامج الانسان المؤمن . .

ان قيام الليل ، يعتبر من أهم صفات الإنسان المؤمن ، وتأكيد النصوص الاسلامية على هذا المعنى واضح ، فان الله سبحانه يخاطب رسوله الكريم آمراً إياه بقيام الليل :

﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[2] .

وعموماً صلاة النوافل التي تأتي كاحدى صفات الحواريين اذ أن من صفاتهم (صلاة احدى وخمسين) . . ولما لهذه البرامج من اثر مهم في تزكية المرء والاخلاص نيته وايمانه ، وبالتالي الأثر المباشر في الصمود والاستقامة في العمل الرسالي ، وجّه إليها المعصومون عليه السلام ، ورأيناها جلية في سلوك أصحابهم ، اولئك الذين كانوا **﴿ قليلاً من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ﴾** [3] .

---

(١) بحار الانوار ٥٠ / ١٢٩ .

(٢) المزمل / ١ ـ ٣ .

(٣) الذاريات / ١٨ .

ففي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لامير المؤمنين (عليه السلام) :

« . . **عليك بصلاة الليل وكررها اربع مرات** »[1] .

وعن الصادق (عليه السلام) فيما اوصى به بعض اصحابه :

« **لا تدع قيام الليل فان المغبون من حرم قيام الليل** »[2] .

وبعد هذا ليس غريباً ان نجد حواريي الائمة (عليهم السلام) ، يتعبدون لله ، ويبالغون في ذلك حتى ليظن قارىء أخبارهم أنه لم يكن لهم عمل آخر سوى هذه العبادات بينما الواقع خلاف ذلك ، ولكنه الحرص على البرامج الروحية :

انظر الى محمد بن ابي عمير الأزدي رضوان الله عليه الذي مر الحديث عنه وعن سجنه وصموده . . وانظر الى مايقوله عنه أحد عارفيه وهو الفضل بن شاذان يقول :

« **دخلت العراق فرآيت واحدا يعاتب صاحبه ويقول له : انت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم ، وما آمن أن تذهب عيناك لطول سجودك فلما اكثر عليه ، قال : اكثرت عليّ ويحك ! لوذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن ابي عمير ، ماظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه الا عند زوال الشمس ؟! »**[3] .

أي أنه كان مشهوراً بهذه السجدة ، وبالتالي فسائر الناس يقتدون به ويتأسون بطريقته .

ولم يكن ابن ابي عمير منفرداً بين اصحاب الائمة (عليه السلام) بهذه الصفات إذ أن شخصياتهم عموماً كانت تسير في هذا الاتجاه من الانقطاع الى

(١ ـ ٢) ميزان الحكمة ٥ / ٤١٧ .

(٣) رجال الكشي ٢ / ٨٥٥ .

الله ، جرياً على سيرة أئمتهم وقادتهم .

ينقل أحد الرواة عن الحسن بن علي بن فضال ، فيقول كنت أقرأ على مقرء في مسجد الزيتونة ، فرأيت نفراً يتناجون فقال أحدهم : ان بالجبل رجلاً يقال له ابن فضال أعبد من رأيت أو سمعت به ، وانه ليخرج الى الصحراء فيسجد السجدة فيجيء الطير فيقع عليه فما يظن إلا أنه ثوب أو خرقة .

يقول الراوي : فظننت أن هذا رجل كان في الزمان الاول ، فبينا أنا بعد ذلك بسنين قاعد مع ابي إذا جاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسي ورداء نرسي ، وفي رجله نعل مخصر فسلم على ابي فقام إليه ابي ورحب به وبجله .

فلما أن مضى يزيد بن أبي عمير ، قلت لشيخي هذا رجل حسن الشمائل فمن هذا الشيخ ؟! فقال : هذا الحسن بن علي بن فضال . قلت له : هذا ذاك العابد الفاضل ؟ قال : هو ذاك ! قلت : اليس ذاك بالجبل ؟ قال : هو ذاك كان يكون بالجبل . (أي أحياناً يكون بالجبل)[1] .

ثورة ضد الرهبانية :

بالرغم من تأكيد الائمة (عليهم السلام) وتربيتهم لأصحابهم على التقرب من الله والتوسل إليه ، وحرصهم على أن تكون التربية الروحية أول اهتمامات اصحابهم ، إلا أنهم (عليه السلام) شنوا حرباً شعواء ضد التصوف والرهبانية التي تخرج المرء عن دائرة المسؤولية الاجتماعية والجهاد في سبيل الله .

قلنا في فيما سبق أن من السهل على المرء أن يلخص نفسه في صومعة ، أو مسبحة !! ولكن هذه ليست الغاية في نظر الائمة (عليهم السلام) ، انها

---

(١) رجال الكشي ٢ / ٨٠١ .

نصف الدواء الذي اذا لم يكمل بالنصف الآخر أدى الى الموت والفناء . . لا يمكن أن ينفع هذا النصف (رهبان في الليل) إلا (بفرسان في النهار) .

ولئن وجد بعض أدعياء العبادة ، الممارسات الروحية وسيلة للهرب من المسؤوليات،وطريقاً للتخلص من الواجبات ، فلقد حارب الائمة (عليهم السلام) هذا الاتجاه محاربة عنيفة ، وشنعوا على أصحابه .

فلقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعثمان بن مظعون حينما فقد ولده ، فاتخذ بيته مسجداً يتعبد فيه ، تاركاً مسوؤلياته قال له :

« يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله »[1] .

وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) حين سئل عن الصوفية أنه قال :

« انهم اعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم »[2] .

وقال الامام الهادي (عليه السلام) لابي هاشم الجعفري وجمع من أصحابه حين دخل المسجد وفيه جماعة من الصوفية مشغولين باذكارهم(!!) قال :

« لا تلتفتوا الى هؤلاء الخداعين فانهم حلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين ، يتزهدون لراحة الاجسام ويتهجدون لتصيد الأنعام . . فمن ذهب الى زيارة أحد منهم حياً أو ميتاً فكانما ذهب الى زيارة الشيطان وعبدة الاوثان . .

عندئذ سأله أحد أصحابه : وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟! فنظر إليه الامام شبه المغضب وقال : دع عنك ذا من اعترف بحقوقنا لم يذهب في

---

(١) أمالي الصدوق ص ٤٠ .

(٢) سفينة البحار ٢ / ٥٧ .

عقوقنا أما تدري أنهم أخس طرائق الصوفية والصوفية كلهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا . . »[1] .

نعم . . إن الطريقة في العبادة والتقرب إلى الله مغايرة ومختلفة تمام الاختلاف ، فبينما تنحو الصوفية وجماعات المترهبنين ، منحى يبعد المرء عن المجتمع . وعن مسؤولياته فيه ، ويبعده عن الفهم الشمولي للاسلام كعبادة وعقيدة وشريعة ، تتجه طريقة الأئمة ومنهجهم إلى فهم أشمل للاسلام وإلى أن تكون المسائل والممارسات الروحية وسيلة للتقرب إلى الله وإلى عون المؤمن على مواجهة الصراعات والمشكلات ، التي تعترض طريقة عمله ورسالته في الحياة .

ولهذا وجدنا الائمة قد طردوا اولئك الرجال من أصحابهم من الذين لم يفهموا المعادلة ، وتاهوا في صحراء الرهبنة بعد أن تركوا واحة الأئمة . وصدر اللعن بحقهم والبراءة منهم ، تلك البراءة التي كانت اضافة إلى كونها براءة من الشخص . كانت براءة من المنهج الذي اتخذوه .

فحين يظهر عدد من الجهال الذين تطرفوا في المسائل الروحية ، وتحولوا إلى التصوف كعلي بن حسكة ،والقاسم اليقطيني ، يكتب أحد الأصحاب . للامام العسكري (عليه السلام) بذلك فيكتب إليه في رسالة : لعن الله القاسم اليقطيني ، ولعن الله علي بن حسكة القمي ان شيطاناً تراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً[2] .

إن جوهر العبادات ، والممارسات الروحية ، لا ينفصل عن هدف العمل الرسالي والجهاد ، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله) ، فاذا كان المترهب فعلا زاهداً في الدنيا ، محباً لقاء الله سبحانه فان الجهاد يحقق له هذين الهدفين !!

---

(١) سفينة البحار ٢ / ٥٨ للمزيد يمكن مراجعة كتاب العرفان الاسلامي للعلامة السيد محمد تقي المدرسي ص ١٧٥ .

(٢) رجال الكشي ٢ / ٨٠٤ .

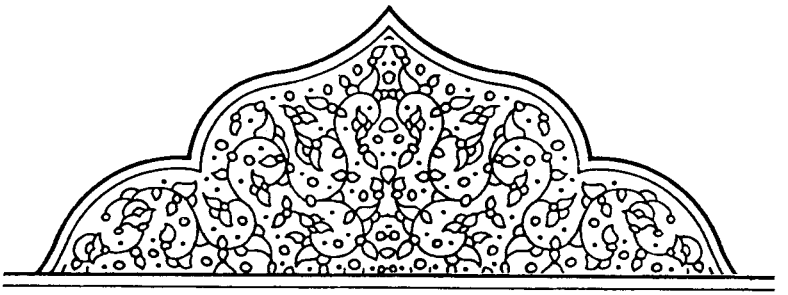

البناء السياسي للقادة

بمقدار ما تكون الحركة واعية سياسياً ، تكون قدرتها على اكتساب النصر اكثر ، والعكس صحيح .

ولقد سرق من جمهور المسلمين نجاحات كثيرة ، وانتصارات رائعة ، بسبب ضعف الوعي السياسي . . ولسنا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان هذه التجربة تكاد تتكرر اليوم .

ان العاملين لا يعيشون في صحراء تخلو من غيرهم ، انهم يعيشون في مجتمع ، تتطاحن فيه مختلف التيارات ، وتتسابق عليه جميع الاتجاهات ، وكل يرجو أن يكون صاحب الجائزة . . ويهون أمر هذه التيارات لو كانت محلية وذات قوى وتجارب محدودة ، المؤسف أن المسألة اكبر ، فهذه التيارات ترتبط بقوى عالمية ، ترفدها بتجاربها وقواها ، وهذا صادق في الجهتين النظام الحاكم الذي يرتبط لابقاء سلطانه بقوى خارجية ، وفي الحركات غير الاسلامية التي تعارض النظام وتسعى لاسقاطه .

في هذا الزحام يتواجد العاملون في سبيل الله .

بعض المتقدسين يريحون أنفسهم من العناء ، فيتركون هذه الأمور زاعمين أن السياسة والدخول فيها يعني الدخول في نفق مظلم من الكذب

والمكر والخديعة ، وينصرفون الى شؤونهم الخاصة ، واحياناً الى بعض الاعمال الاجتماعية الخيرية .

يتركون السياسة ، ويهربون من الوعي السياسي ، ولكنها تتشبث بهم . . لا تتركهم ، تتدخل في أكلهم وطعامهم ، خبزهم الذي يأكلون يصبح مادة للمساومة السياسية وتتدخل في العائلة ، فتجعل ابناءها طعمة لحريق حرب ظالمة ، أو حلفاء لزنزانة رطبة ، وتتدخل في قلوب الناس ومشاعرهم . . فاذا بك ترغم على تأييد رجل لا ترغب فيه وتجبر على البراءة من قائد ترتبط به !!

الرساليون ـ وحدهم ـ يختصرون الطريق ويعلمون أن لا بد من الوعي بالاحداث الجارية . من أجل تغييرها ، يتنبؤون بها قبل أن تحدث ليستعدوا لها فـ « العالم بزمانه لا تهجم عليه الغوائل » كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) .

والحركات الناجحة هي تلك التي تتعامل مع الظروف القائمة بوعي كامل فتحدد مواقع الضعف والقوة ، القوى الموجودة وطاقاتها ، الأحداث الجارية وأسبابها وما تؤدي اليه من نتائج . . ووفقاً لدراسة علمية لهذه الأمور تضع خططها التي يحالفها ـ بعد ذلك ـ النجاح .

لا غرابة بعد ذلك أن نجد المعصومين (عليهم السلام) رغم كونهم يحملون رسالة واحدة تختلف أدوارهم ، وتتعدد أعمالهم وخططهم التكتيكية ، فاذا بالسجاد (عليه السلام) يمارس دوراً يختلف عن دور الرضا (عليه السلام) ، واذا بالباقر (عليه السلام) يقوم بأعمال لا يقوم بها الامام الهادي (عليه السلام) رغم أن اللاحق امتداد للسابق . .

ان ذلك يعتمد على تشخيص المرحلة ، ووضع النظام الحاكم ، والدور المطلوب بناء على ذلك .

وسوف نتعرض إلى بعض الصور من توجيهات الائمة السياسية لأصحابهم وحواريهم .

١ ـ توضيح الموقف تجاه الاحداث :

المجتمع ليس مستنقعاً راكداً كما يتصور البعض . إنه كالبحر ظاهره يعجب الرائي بهدوئه ونسائمه وفي داخله تحتدم المعارك التي قد يراها البعض بوضوح ولا يراها البعض الآخر إطلاقاً .

ولا تكفي ملاحظة الاحداث وادراك وجودها ، بل لا بد من اتخاذ موقف تجاهها وتوضيحه لكوادر العمل ، وللاتباع بعد ذلك . . اذ أن بعض الاحداث يكون لها زخم قوي وظاهر جذاب ، فتستقطب العاملين شعوراً أو موقفاً .

وبالنسبة للمعصومين (عليهم السلام) فقد كانوا يبينون لأصحابهم أبعاد الحركات التي كانت تحدث في المجتمع ، والموقف الذي ينبغي ان يتخذ تجاهها .

الامام علي والخلافة :

لا تزال مسألة الخلافة وما حدث بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) تثير اسئلة كثيرة ، في أذهان الناس ، والكل يطلب موقفاً مما حدث .

هل كانت صحيحة ؟! وهل اتفق المسلمون على ذلك ؟!

أم أن المسألة . . تجمع خطط للفوز بالخلافة ونجح ؟!

أم ماذا ؟!

هذا الحدث السياسي الهام الذي يثير اليوم ـ اكثر مما اثار في السابق ـ اسئلة ، يتحدث عن الامام أمير المؤمنين بموضوعية وتفصيل في عدد من

اصحابه في المسجد مما عرف فيما بعد بخطبة الشقشقية .[1]

وفي اعتقادنا أن الامام قد بين هذا الموقف لخلص أصحابه وكوادره بعد وقوعه مباشرة لذلك امتنع عن البيعة ، وانكروا على الخليفة الاول ما حدث . . وهكذا كان موقف الامام علي (عليه السلام) من جميع الاحداث التي وقعت كمقتل عثمان وحروب الجمل وصفين والنهروان .

الامام السجاد وعمر بن عبد العزيز :

بعد سنين طويلة من البطش والارهاب الاموي وملاحقة المؤمنين ، جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وتنفس المظلومون الصعداء ، اذ ما لبث عمر بن عبد العزيز أن قام بمصادرة مظاهر الظلم والجور ، فمنع شتم أمير المؤمنين على المنابر ، واعاد الأموال الى أصحابها ، واحسن الى اهل البيت . . وفرح الجميع بمقدمه ، فاذا بهم في منزل عدله بعد سنين من سفر الجور . . واثنى عليه الكل . . فماذا يطلبون اكثر مما فعل ؟!

غير أن الامام زين العابدين ، الذي ينبغي أن يبين لاصحابه رأيه في هذا المجال ، يأخذهم بعيداً كاشفاً عن أعينهم حجب الواقع الموجود ، عائداً بهم الى أصل الموضوع ، كيفية الخلافة والطريقة التي وصل بواسطتها عمر بن عبد العزيز الى هذا المنصب . . وهل من حقه ذلك أم لا ؟! فيقول : أنه رجل لا يرضاه أهل السماء كما يرضاه أهل الأرض !

الامام الصادق والثورات المعاصرة :

استشهد زيد بن علي رضوان الله عليه ثائراً ضد الحكم الأموي الجائر ، وتتالت الثورات في ابنائه من بعده ، الا أنها اتخذت اتجاهاً غير الذي بدأت به ، فقد أصبح السلاح مقياساً للامامة ، والثورة المسلحة عنواناً للامام ، مما

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٣ .

أوقع فيها خسائر كثيرة وأربك العاملين ، خاصة وأن بعض اصحاب الامام الصادق كان يتأثر بهم ، وعموماً فان للسلاح بريقاً ، وللثورة المسلحة جذباً خاصاً ، ولما كان الامام الصادق يعلم بالظرف غير المناسب ، فقد رفض أن يستدرج الى هكذا اعمال ليست في خطته . . ولهذا نجد أن الامام حين يأتي اليه أحد اصحابه قائلا : ان بني عمك يقولون أنك لا ترى الجهاد ، وانك رجل علم . . فماذا تقول ؟!

يجيبه قائلاً :

« أنا لا أرى الجهاد ؟! والله اني اراه ولكني أكره أن أدع علمي الى جهلهم »

وحين يخرج محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن ، يبين الامام لأصحابه ـ رغم تأييده العام للثورة ضد السلطة ـ أن هذه الثورة لن تكون موفقة .

فعن ابي غيلان قال :

« أتيت الفضيل بن يسار فأخبرته أن محمداً (النفس الزكية) وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن قد خرجا . . فقال لي : ليس أمرهما بشيء !! فصنعت ذلك مراراً . . وكان يرد علي مثل هذا الرد . فقلت له ذات يوم : رحمك الله قد اتيتك غير مرة أخبرك فتقول ليس أمرهما بشيء ، أفبرأيك تقول هذا ؟!

فقال لي : لا والله ولكني سمعت ابا عبدالله يقول : ان خرجا قُتلا)[1]

وهذا يبين بصيرة الامام (عليه السلام) ورؤيته الواضحة للأحداث ، وقدرته على التنبؤ بالاحداث . . مما يعتبر ضرورياً في قيادة الحركة العاملة التي ترتب كثيراً من الخطط بناء على الاحداث المستجدة . .

---

(١) رجال الكشي ٢ /٤٧٣ .

الامام الرضا وزيد النار :

تشتد وطأة العباسيين على الجميع ، وكما الضغط يولد الانفجار ، فان العنف يصنع عنفاً اكثر ، لذلك حدثت الثورات في كل مكان تعبيراً عن السخط البعض منها ما كان سليم المنطلق والغاية والبعض الآخر لم يكن .

وممن ثار : زيد بن موسى بن جعفر ، فأحرق دور العباسيين في الكوفة ، وبالغ في الانتقام منهم . . حتى قبض عليه وجيء به الى المأمون العباسي اثناء ولاية الامام الرضا (عليه السلام) للعهد . . وقد أراد المأمون أن يستغل هذه الفرصة لضرب التوجه الثوري بشكل كامل . . حيث أشار الى أن دأب العويين الثورة فهذا زيد ، وقبله زيد بن علي ، فأجابه الامام (عليه السلام) لا تقس هذا بعمي زيد ، فلو ظفر لوفى وقد استشار الصادق (عليه السلام) في أمر خروجه فقال له : ان شئت أن تكون المصلوب بالكناسة فافعل . . ثم أقبل على زيد النار وقال له :

« اغرك قول سفلة أهل الكوفة أن فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار . . ان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة وموسى بن جعفر اطاع الله ودخل الجنة فانت أذن اكرم على الله من موسى بن جعفر » [1]

ان الأمام الرضا (عليه السلام) هنا يوضح الموقف الذي ينبغي اتخاذه ، خصوصاً وأن هذا الرجل من أهل البيت ، ويمكن أن ينساق الناس في دعوته بهذا الاعتبار .

الامام العسكري وصاحب الزنج :

جمع حوله العبيد ، والمستضعفين ، وثار بهم على كل شيء ، على السلطة وعلى النظام الاجتماعي ، وحرّك فيهم حاسة الانتقام ، فسيطروا على البصرة ، وبدأ يمتد نفوذه خارجها ، ثم أدعى انه من أهل البيت ، وذلك

---

(١) عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٣٤ .

ليكسب اكبر عدد من الاتباع بهذا الادعاء . . وهنا لا بد أن يتحرك الامام ليوضح موقفه تجاهه ، وهو هنا لا يريد محاربته واسقاطه لأن في ذلك عوناً للدولة العباسية ، ومن جهة اخرى لا يستطيع السكوت عنه . فكتب الى احد اصحابه وهو محمد بن صالح الحنفي :

« صاحب الزنج ليس منا أهل البيت »[1]

٢ ـ تأكيد القيادة الشرعية :

للواقع القائم ثقل كبير ، لا يحتمله البعض فيسلمون له . واكبر واقع ، واثقله وجود القيادة الفاسدة التي تتسلط على البلاد والعباد دونما حق ، وانكار هذا الواقع ورفضه أمر صعب ، اذ أنه يعني رفض أهم قوة في المجتمع .

والرساليون هم اولئك الذين يزداد رفضهم وانكارهم كلما رأوا قوة النظام وغطرسته ، ولا يستسلمون له من باب « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » .

وفي المقابل يؤكدون على القيادة الشرعية ، ويزيدون من دعوتهم ، اليها ، ويرون ان هذا عمل استراتيجي ، وليس تكتيكاً مرحلياً ، اذ أنه يدخل في صلب العقيدة التي يؤمنون بها .

وفي هذا المجال وجدنا الائمة عليهم السلام أيضاً يمارسون هذا الدور، بدءاً من التصريح بفساد الحكومات الجائرة ، والعوائل التي نزت على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، محذرين المسلمين من السير وراء هذه الحكومات لانها توردهم موارد الهلكة :

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« إن شر الناس عند الله امام جائر ضَل وضُل به فأمات سنة مأخوذة

---

(١) بحار الأنوار ٥٠/٢٩٣ .

واحيا بدعة متروكة ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها . . »[1]

وعن الباقر (عليه السلام) : في قوله تعالى : **﴿اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾هم والله الظلمة واشياعهم .** [2]

وفي المقابل النص على امامة الائمة (عليهم السلام) واحداً بعد الآخر ، واخبار الاصحاب الخلص بذلك ، حتى في أحرج الظروف ، كما فعل الامام الصادق (عليه السلام) بالنسبة للامام الكاظم (عليه السلام) رغم ان الوضع السياسي كان متأزماً وكان المنصور العباسي قد عقد العزم على تصفية من يخلف الامام الصادق (عليه السلام) . . بل كانوا يمهدون لهذا الأمر بوسائل عديدة ، وبمدد طويلة قبل شهادتهم لكيلا يغّم الأمر على الأصحاب والخلص ، ولذلك لم تقبل الجماهير ادعاء منصب الامامة طول هذه المدة التي استمرت لاكثر من قرنين من الزمان من قبل الكاذبين ، بل كشفوا في الأيام الأولى وسقطوا .

وللتأكيد على موضوع القيادة الشرعية الصحيحة أثر كبير في صيانة الجمهور ، وحماية مكاسبه وانجازاته ، ولهذا ـ كما نعتقد ـ ربط المعصومون عليهم السلام سلامة مسيرة المرء بولائه وولايته ، التي اعتبرت مقياساً وميزاناً لصحة أعماله سواء العبادية منها أو السياسية ، فلا يكفي أن يعمل المرء الصالحات وهو يتولى من لا تجوز ولايته ، بل لا تقبل منه هذه الأعمال .

ولنكن معاً ـ عزيزي القارىء ـ في استعراض بعض هذه الأحاديث ثم ننتقل الى كيفية تأكيد الائمة (عليهم السلام) وتركيزهم على القيادة الشرعية :

---

(١) ميزان الحكمة ١ / ١٨٠ .

(٢) ميزان الحكمة ١ / ١٧٩ .

عن زرارة عن الباقر (عليه السلام) :

« بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟! فقال (عليه السلام) : الولاية أفضل لانها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن . . »

ويستمر الامام عليه السلام في حديثه مبيناً أهمية الولاية للقيادة الشرعية فيقول :

« . . أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته اليه ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الايمان . . »[1]

ذلك لأن هذه الأعمال قد تصب في قناة لا يرضاها الله ، ألم يكن الخوارج الذي استحلوا دم أمير المؤمنين (عليه السلام) مصلين وصائمين ؟! بلى . . لقد كانت في جباههم مثل ثفنات البعير من كثرة السجود ، وبعضهم كان حافظاً للقرآن . . ولكن ما نفع هذا اذا كانت المحصلة النهائية تؤدي الى اغتيال أمير المؤمنين قربة لله (!!) .

ألم يصل قتلة الامام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء صلاة الظهر جماعة ؟!

كانوا يصلون . . ولكن ولايتهم لم تكن لولي الله ، ولذلك لا تنفعهم أعمالهم شيئاً .

وتؤثر الولاية للامام العادل الشرعي في ثواب الله وعقابه للمجتمعات ، فاذا كان المجتمع يدين بولاية الجائر وطاعته فانه يعذب حتى لو كان في نفسه براً صالحاً كما يقول الحديث المروي عن الباقر (عليه السلام) قال :

---

(١) سفينة البحار ٢/٦٩١ .

قال الله تبارك وتعالى ـ في حديث قدسي ـ :

« لاعذبنّ كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل امام جائر ليس من الله وان كانت الرعية في اعمالها برة تقية ، ولأعفونّ عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل امام عادل من الله وان كانت الرعية في انفسها ظالمة مسيئة »[1]

ولهذه الأمور وجدنا المعصومين (عليهم السلام) يبينون لأصحابهم ويركزون عليهم في مسألة القيادة ، وأن هذه السلطات القائمة مهما صنعت فانها غير شرعية ، وغير صحيحة ، وان على المؤمن أن يبحث عن القيادة السليمة فيلقى اليها ازمة حياته ، ويتقرب بطاعتها الى الله سبحانه .

فعن جابر بن عبد الله الانصاري قال :

« لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله : ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم﴾ ، قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟!

فقال (صلى الله عليه وآله) : هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين من بعدي ، اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف ـ في التوراة ـ بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فأقرأه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميّي وكنيّي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن اوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان . . »[2]

---

(١) اصول الكافي ١/ ٣٧٦ .

(٢) نور الثقلين ١/ ٤٩٩ .

هذا التركيز اتخذ أشكالاً عديدة منها :

اللهم صلِّ على محمد وآله محمد : اصبحت هذه جزءاً من المفردات التي يتعامل معها الانسان المؤمن يومياً عشرات المرات ، حيث تستحب في الصلاة ، وفي غيرها في كل حين ، ولا يخفى على أحد ما تتضمنه من معاني الولاء والانتماء الى خط محمد وآله صلوات الله عليهم . . والاّ فلماذا اختصاص هؤلاء بالصلاة ؟!

عندما نزلت الآية القرآنية ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾ ، تساءل بعض الصحابة عن كيفية الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله عليه وآله) :

« **قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد** »[1]

وعن الباقر والصادق (عليهما السلام) :

« **أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته** »[2]

بل اننا نجد ادعية مخصوصة في كيفية الصلاة على محمد وعلى آله ، عليهم جميعاً صلوات الله .

يتخذ أيضاً طابع التأكيد على الدور الذي تلعبه هذه الصفوة في وجود الأمة !

في وصية الامام الصادق لاصحابه ، تلك الوصية التي أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها ، وهي تشبه ما نسميه اليوم بتعميم لأعضاء الجماعة ولذلك كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فاذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها ، يؤكد الامام في مرات عديدة على ضرورة التمسك بآثار المعصومين

(١ ـ ٢) ميزان الحكمة ٥/٤٣١ .

عليهم السلام ، ونجد أنه يركز ـ اضافة الى ذلك ـ على العلاقة النسبية التي تربط الائمة (عليهم السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما سنرى :

« . . أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة وآثار الائمة الهداة من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده وسنتهم فإن من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن رغب عنه ضل لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم وقد قال ابونا رسول الله : المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وان قل ارضى لله وانفع عنده من الاجتهاد في البدع واتباع الاهواء . . »[1]

وهكذا يستمر الامام مركزاً في هذه الوصية على كلمة (ابونا رسول الله) . وللتفصيل في هذه الوصايا ، وملاحظة مدى تأكيد المعصومون على تبيان القيادة الشرعية لكوادرهم ومن خلالهم للمجتمع يمكن مراجعة المناظرات التي كانت تجري ـ في الغالب ـ بتوجيه من قبل الائمة لبعض حواريهم ، وذلك في الكتب المعقودة لهذا الشأن كالاحتجاج للطبرسي رضوان الله عليه وغيره .

٣ ـ العمل السياسي :

في جلسة واحدة ، واثناء ارتشافه للشاي ، يستطيع البعض ان يقدم لك برنامجاً (!) سياسياً متكاملاً من ناحية النظرية ! يسقط لك ليس نظاماً واحداً ، بل انظمة بالجملة !! ويوحد ويؤلف و . و . . الخ .

هذا من الناحية النظرية ولكن . . (فاذا جد الجد قلتم حيدي حياد) !!

ان الصعوبة في تحويل النظرية الى برنامج عمل ، يتحمله المنظر ، أو جزءاً منه ، ولأنه صعب لذلك طولب الرواد والقادة بأن يطبقوا البرنامج على أنفسهم في البداية فيضحون في موقع التضحية ويعملون في موقع العمل . . وهكذا .

---

(١) روضة الكافي ٤٠٢ .

وميزة قادتنا المعصومين (عليهم السلام) أنهم ما أمروا بشيء الا وسبقوا الغير اليه ، لقد كانوا يفعلون فيقلون .

وكانوا يربون عناصرهم على هذا الأساس .

والعمل السياسي عمل مكلف ، يأخذ وقت العامل ، وراحته واعصابه واحيانا كثيرة حياته ، فهو يعني مناطحة الرأس الاول ، وتحديه في أغلى ما لديه ، في سلطته ، ولكن بدون هذا العمل المكلف لا تنجح الثورات ، ولا يحدث التغيير ، اذ أن لكل شيء ثمناً ، والاهداف الكبيرة غالية الاثمان .

انه يعني أيضاً ادارة الفئات العاملة ، ولا شيء اصعب من الانسان المختار . وخصوصاً في الظروف القاسية التي يبتلى بها العاملون .

انك معي ـ عزيزي القارىء ـ في أن ادارة مشروع صغير لا يتجاوز صغير لا يتجاوزه افراده العشرة أمر صعب ، وعلى المدير أن يفتح في صدره صندوقاً للشكاوى . . فكيف بمشروع حركة كبيرة تضم الآلاف من العناصر ذوي الكفاءات المتغايرة ، واحياناً الانتماءات المختلفة نسبة ونوعاً ، هذا اذا أضيف اليه الضغوط التي يفرضها الجو المحيط ؟!

وسوف نتناول هذا الجانب في فصل آخر بينما نتعرض الى أحد انواع العمل السياسي وهو :

الدخول في الحكومة القائمة :

أحد الأعمال التي قام بها المعصومون عبر طلائعهم الرسالية .

هل يجوز الاشتراك في الحكومة القائمة أم لا يجوز ؟! رأيان في الموضوع :

الرأي الأول : يقضي بأنه ليس من الصحيح الاشتراك في الحكومات الفاسدة لأن ذلك يؤدي الى خدمتها ، واعطائها الشرعية في وقت تفتقدها ،

وتبقى في أمس الحاجة اليها ، فالجمهور حين ينظر الى المؤمنين ، والى طلائعهم بالذات ، وقد اشتركوا في الحكومة القائمة وساهموا فيها ، لن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الاسباب الحقيقية وراء اشتراك هؤلاء ، لن يعرفوا اهدافهم ، انهم ينظرون الى ظاهر الأمور ، فأما أن ينفضوا عن المؤمنين ولا يعتقدوا بهم ، وإما انهم يعتقدون بصوابية الحكم وصحته ، أو على الأقل عدم الحاجة الى مقارعته ومناهضته ، هذا من جهة .

ومن جهة اخرى فان طلائع الرسالة الذين يدخلون وظائف الدولة سوف يتورطون في مشاكل الدولة ، فلكي يبقوا لا بد من المساهمة في الوظائف المحولة اليهم من قبلها ، وهذا يعني المشاركة المباشرة أو غير المباشرة في أعمال السلطة المضادة للاسلام وللمسلمين ، هذا أضافة الى أن الحركة الاسلامية عبر مشاركة كوادرها في داخل الحكومة ، ستفقد خير الاوقات والجهود من خير الأفراد لصالح السلطة ، بينما تحتاج بشكل أكيد لهذه الطاقات والاوقات .

يعزز أصحاب هذا الرأي اقوالهم بعدد كبير من الآيات والروايات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام في حرمة الاشتراك في حكومة الجائرين ، ولو على سبيل (عقدة عقدة) !!

عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال :

« الظلمة واعوانهم في النار »[1]

عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال :

« إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة واعوانهم ، ومن لاق لهم دواة أو ربط كيساً ، أو مد لهم مدة قلم فاحشروهم معهم »[2]

وعن امير المؤمنين (عليه السلام) :

« يا نوف : ان سرك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين

(١ ـ ٢) ميزان الحكمة ٥/٦١٢ .

معينا »[1]

وعن الصادق (عليه السلام) :

« ان اعوان الظلمة يوم القيامة في سرداق من نار حتى يحكم الله بين العباد »[2]

الرأي الثاني : يقول اصحابه بجواز الاشتراك في الحكومات القائمة ، وذلك لأنه من الممكن الاستفادة من امكانات الدولة ، والتأثير في مسار كثير من الأمور فيها خصوصاً تلك التي تتعلق بالمؤمنين ، كإنقاذ البعض من السجن أو القتل ، والتشفع فيهم ، او الدفاع عنهم . . وهكذا ما نجده في تجارب الماضين كمؤمن آل فرعون الذي كان يكتم ايمانه وهو في بلاط الحكومة ، وكعلي بن يقطين الذي كان يحسن الى المؤمنين المستضعفين وهو في بلاط هارون مما كان يشير اليه الامام الكاظم (عليه السلام) بقوله : يا علي كفارة ذنوبكم الاحسان الى اخوانكم ، وكان قد ضمن للامام أن لا يردّ له ولياً .

كما أن كوادر الرسالة يستفيدون خبرة جيدة في مجال ادارة الدولة استعداداً للمستقبل ، واذا لم يستلم المؤمنون المناصب المهمة ويستفيدوا منها لخدمة الرسالة فان غيرهم سوف يأتي ويستلمها فتكون ضد الرسالة والرساليين .

ويستشهدون تأييداً لرأيهم بأن عدداً غير قليل من اصحاب الائمة (عليهم السلام) وحواريهم قد شاركوا في الحكومات المختلفة كعلي بن يقطين الذي كان وزير هارون ، وكذلك داود بن زربي وزير هارون ايضاً ، وهكذا اسحاق النيسابوري الذي كان والي العباسيين على الأهواز وهو في نفس الوقت من اصحاب الامام العسكري (عليه السلام) ، والحسين النيسابوري والي العباسيين على سجستان وهو من صحابة الامام الجواد (عليه السلام) . . وهكذا بل نجد فوق كل ذلك أن الامام الرضا (عليه السلام)

(١ ـ ٢) للتفصيل يراجع وسائل الشيعة ج ١٢ باب ٤٤ .

يدخل في الحكومة العباسية كولي للعهد .

واصحاب هذا الرأي أيضاً يستشهدون بعدد من الروايات المبيحة ، شرط الاحسان الى المؤمنين والدفع عنهم .

فعن الامام الكاظم (عليه السلام) قال : « ان الله تبارك وتعالى مع السلطان اولياء يدفع بهم عن اوليائه » أيضاً روي نص هذا الحديث عن الرضا (عليه السلام) .

وعن الصادق (عليه السلام) في كلامه لمحمد بن اسماعيل بن بزيع :

« . . ان الله تعالى بابواب الظلمة من نور الله به البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله به أمور المسلمين اليهم ملجأ المؤمنين من الضرر واليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة اولئك امناء الله في ارضه اولئك نور الله في رعيته يوم القيامة ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الكواكب الزهرية لأهل الأرض خلقوا والله للجنة وخلقت الجنة لهم »[1]

ونحن هنا لا نريد أن ندخل في هذا البحث ونناقش ادلته ورأى العلماء في الموضوع [2] فهذا لم يكن هدف الموضوع ، ولا يتسع له البحث انما نريد أن نستعرض الجانب الثاني وشروطه ، اذ من الثابت ان الائمة (عليهم السلام) وجهوا بعض اصحابهم للاشتراك في الحكومات القائمة ، فما هو مقياس ذلك ؟ وما هي الظروف التي احاطت بهذا الأمر ؟!

شروط الدخول في الحكومات :

يبدو أن التجربة التي تكررت في دخول عدد من الكوادر والرساليين من اصحاب المعصومين (عليهم السلام) في الحكومات الجائرة كانت محاطة بعدد

---

(١) رجال المامقاني ١ / ٧٩ .

(٢) ناقش هذا الموضوع بتفصيل الشيخ الانصاري قدس سره في كتابه (المكاسب) .

من الشروط ، قد لا يمكن البناء عليها في موارد اخرى ، وقد لا تأخذ طابع العموم ، الا أننا نلاحظها في هذه التجارب :

(أ) خطة القيادة :

لا يمكن أن تترك المسألة لرأي الشخص وهواه ، فمتى أحب هذا الكادر بأن يشترك في الحكومة فعل . . كلا ان المسألة ترتبط بجوانب كثيرة ، وتتفاعل مع مجمل تحرك المؤمنين فتؤثر عليه سلباً أو ايجاباً . . وهذه المسألة بالتالي ترجع الى خطة متكاملة ، يعتبر هذا الأشتراك أحد حلقاتها .

ولذلك وجدنا أصحاب الائمة ممن كان لديهم رغبة في الدخول في الحكم ، ولم يكن ذلك وارداً في خطة الائمة كانوا يرفضون طلبهم ـ كما سيتبين في الصفحات القادمة ـ . وفي المقابل كانوا يأمرون البعض الآخر بالدخول في الحكم ويخططون لهم سبل البقاء .

عن ابن سنان قال : حمل الرشيد في بعض الأيام الى علي بن يقطين ثياباً اكرمه بها وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك ، فأنفذ علي بن يقطين تلك الثياب الى ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وانفذ في جملتها تلك الدراعة وأضاف اليها مالاً كان أعده له على رسم له فيما يحمله اليه من خمس ماله ، فلما وصل ذلك الى ابي الحسن قبل المال والثياب ورد الدراعة على يد الرسول الى علي بن يقطين وكتب اليه ان احتفظ بها ولا تخرجها عن يديك فسيكون لك بها شأن تحتاج اليها معه فارتاب علي بن يقطين بردها اليه ولم يدر ما سبب ذلك فاحتفظ بالدراعة .

فلما كان بعد أيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين الى ابي الحسن عليه السلام فسعى به الى الرشيد فقال انه يقول بامامة موسى بن جعفر ويحمل اليه خمس ماله في كل سنة وقد حمل اليه الدراعة التي اكرمه بها امير المؤمنين في يوم كذا .

فاستشاط الرشيد غضباً وقال لاكشفن الحال فان كان الأمر كذلك ازهقت نفسه وانفذ في الوقت باحضار علي بن يقطين فلما مثل بين يديه قال له ماذا فعلت بالدراعة التي كسوتك بها ؟ قال : هي عندي في سفط مختوم وقد احتفظت بها . فقال : احضرها الساعة . . فأمر احد خدمه فجاء بها . فلما نظر الرشيد اليها قال لعلي بن يقطين : اردها إلى مكانها فلن اصدق عليك بعدها ساعياً .[1]

وهكذا الأمر بالنسبة لداود بن زربي الذي أمره الامام الكاظم بأن يتوضأ على غير الطريقة الصحيحة لمدة لكي لا يكتشف هارون انتماءه .

بل اننا نجد أنهم لا يسمحون لهؤلاء الأفراد بالاستقالة من أعمالهم ، ويوجبون عليهم البقاء ما دام ذلك يخدم الرسالة . . فقد كتب بن يقطين الى ابي الحسن الكاظم عليه السلام :

« ان قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان ، فان أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه . . »

فرجع الجواب اليه :

« لا آذان لك بالخروج من عملهم واتق الله » [2]

(ب) ـ صلاحية الشخص :

يتطلب الاشتراك في السلطة من قبل الرساليين ، نوعاً خاصاً من الصفات قد لا يتوفر في الكثير ، فهو يحتاج الى ذكاء حاد وتنبه قوي ، بمقدار ما يحتاج الى لباقة في التصرف بحيث لا ينكشف ارتباطه الرسالي ، خصوصاً وأن الفرد في المناصب العليا معرض للمراقبة والمتابعة الدقيقة . . وفي نفس الوقت يحتاج الى ايمان راسخ بحيث لا تغريه حلاوة السلطة بترك مرارة الجهاد . . ان هذا

---

(١) بحار الانوار ٤٨/١٣٨ .
(٢) بحار الانوار ٤٨/١٥٨ .

الشخص كمن يمشي في حقل الألغام فهو مهدد في كل لحظة بالانكشاف ، مع أقل خطأ ، أو غفلة .

وكثير من الافراد رغم ايمانهم ، وانتمائهم القوي لا يصلحون لهكذا مسؤولية ، لذلك ينبغي التدقيق في انتخاب الاشخاص ، والا فالكارثة !!

ان أسهل ما يحدث في هذه الحالة أن الشخص يستعذب حياة المقاعد الوثيرة ويرتاح الى الأضواء والمقابلات الصحفية ، فيترك كل شيء ، كما حصل الكثير من الثوار الطبقيين ، ومناضلي الطبقة الكادحة (!!) ، حيث استبدلوا بالانتماء الى السلطة انتماءهم السابق ، واحرقوا جسور الرجعة !

ان بعض الأفراد يطلبون هكذا عمل ولكن طلبهم له ، وحرصهم عليه يكشف عن ضعف في نفوسهم تجاهه ولذا ينبغي التوقف .

ـ « انا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه »[1]

كما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) :

ـ « لن نستعمل على عملنا من اراده »[2]

وربما يقال ان هذه الاحاديث واردة في أعمال المسلمين ، والحكومة العادلة ، الا ان حكمة المنع وهي حرص الشخص على العمل وما يتبعه من تعلق وارتباط به ، مما يخالف معاني الزهد واحياناً التقوى . . هذه الحكمة واردة في العملين .

ولهذا نجد الامام الباقر (عليه السلام) لا يأذن لعبد الغفار بن القاسم في الدخول في أعمالهم رغم الحاح الاخير . يقول : عبد الغفار بن القاسم قلت للباقر (عليه السلام) : يا سيدي ما تقول في الدخول على السلطان ؟ قال : لا أرى ذلك ، قلت : اني ربما سافرت الى الشام فأدخل على ابراهيم

(١ ـ ٢) ميزان الحكمة ١٠/٧٤١ .

بن الوليد قال : يا عبد الغفار ان دخولك على السلطان يدعو الى ثلاثة اشياء محبة الدنيا ونسيان الموت وقلة الرضا بما قسم الله . قلت : يا ابن رسول فاني ذو عيلة واتجر الى ذلك المكان لجر المنفعة فما ترى في ذلك ؟ قال : يا عبد الله اني لست آمرك بترك الدنيا بل آمرك بترك الذنوب ، فترك الدنيا فضيلة ، وترك الذنوب فريضة وانت الى اقامة الفريضة أحوج منك الى اكتساب الفضيلة ، قال : فقبلت يده ورجله وقلت بابي انت وامي يا بن رسول الله ما نجد العلم الصحيح الا عندكم .

ويرى المعصومون عليهم السلام صلاحية الشخص واهليته ، فبينما يدخل البعض أعمال الحكومات الظالمة فيخدمون التحرك ، ويعينون المؤمنين ، تجد البعض الآخر ينجرف في تيار الحكومة ، وظلمها ولا يستطيع مقاومة هذا التيار فيفقد دينه دون أن يخدم المؤمنين ، وهؤلاء الاشخاص كان الائمة (عليهم السلام) يمنعون دخولهم في اعمال الحكومات أشد المنع .

فعن داود بن زربي قال : اخبرني مولى لعلي بن الحسين (عليه السلام) قال كنت بالكوفة فقدم أبو عبد عليه السلام الحيرة فأتيته فقلت : جعلت فداك لو كلمت داود بن علي أو بعض هؤلاء فأدخل في بعض الولايات فقال : ما كنت لأفعل . . الى أن قال (الراوي) : جعلت فداك قد ظننت أنك انما كرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم ؟ وان كل امرأة لي طالق وكل مملوك لي حرّ وعليّ وعليّ ان ظلمت احداً أو جرت عليه وان لم أعدل .

فقال (عليه السلام) : كيف قلت ؟! فاعدت عليه الأيمان فرفع رأسه الى السماء وقال ؛ تناول السماء أيسر عليك من ذلك .[1]

ويبين الامام الباقر (عليه السلام) أن المسألة ترتبط بخطة القيادة الشرعية من جهة ، وتتعلق في الطرف المقابل بشخص خاص ذي صفات محددة ، ولذلك لا يجوز لغيره نفس العمل ما لم تأذن له قيادته . فهو يقول :

---

(١) وسائل الشيعة ١٢/١٣٦ .

« من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال لأن الائمة من مفوض اليهم ، فيما احلوا وما حرموا فهو حرام » .

ج ـ خدمة التحرك الرسالي :

هدف الاشتراك في الحكومة والدخول في أعمالها خدمة التحرك الرسالي ، سواء عبر تقديم المعلومات عن خطط السلطة ونواياها أولاً بأول ، أو عبر انقاذ المؤمنين من براثن السلطة ، وتمشية امورهم وحاجاتهم ، والتوسط لهم .

وانما تغتفر اشكالات العمل هذا ، ويتجاوز عن الآثار السلبية الحادثة في الحركة أو المجتمع ، بفعل هذا الاشتراك ، تغتفر هذه المسائل باعتبار أنها توازن بالخدمات والانجازات التي يحصل عليها المؤمنون ، والتي عادة ترجع عليها ، ومنى تعذرت خدمة التحرك أو تعسرت فبنفس النسبة ينبغي ان تقل أو تنعدم فرص الدخول في الحكم .

«عن زياد بن ابي سلمة قال: دخلت على ابي الحسن موسى (عليه السلام) فقال لي : يا زياد انك لتعمل عمل السلطان ؟! قلت : أجل ! فقال لي : ولم ؟! قلت : أنا رجل لي مروة وعليّ عيال ، وليس وراء ظهري شيء !!

فقال لي : يا زياد لأن اسقط من حالق (مكان مرتفع) فأتقطّع قطعة قطعة أحب الي من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلا . . لماذا ؟!

قلت : لا أدري جعلت فداك .

قال : الا لتفريج كربة عن مؤمن ، أو فك أسره ، أو قضاء دينه .

يا زياد : ان أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرداق من نار الى أن يفرغ الله من حساب الخلائق .

يا زياد : فان وليت شيئاً من أعمالهم فاحسن الى اخوانك فواحدة

بواحدة والله من وراء ذلك »[1]

وعلي بن يقطين اضافة الى كونه أحد الممولين الاساسيين للامام الكاظم (عليه السلام) كما مر علينا في قصة الدراعة ، فقد كان يساعد المؤمنين من اخوانه ، فقد روي انهم أحصوا لعلي بن يقطين في موقف واحد مائة وخمسين ملبياً كلهم جاؤوا على نفقة بن يقطين .[2]

فوق كل ذلك كان ينقل الأخبار عن خطط السلطة الى الامام (عليه السلام) ، فنحن نجد أن المهدي العباسي عندما ثار الحسين بن علي شهيد فخ ، وتبين وجود علاقة ما بين الامام الكاظم (عليه السلام) وبين الحسين عزم على قتله ، وقال ذلك لبعض أصحابه ، ومن الطبيعي أن علي بن يقطين (الوزير) لا بد أن يطلع على هذا الأمر فما كان منه الا أن كتب بكل ما جرى للامام الكاظم (عليه السلام) ، لكي يتخذ جانب الحيطة والحذر .[3]

وقد ضمن الامام (عليه السلام) له الجنة بعد ان ضمن علي بن يقطين للامام أنه لا يأتيه ولي للامام الا أكرمه .

هذا ويقف الائمة (عليه السلام) موقفاً عنيفاً اولئك الذين لا يخدمون التحرك ، والمؤمنين فعن يونس بن عمار قال : وصفت لابي عبد الله (عليه السلام) من يقول بهذا الأمر (الانتماء للتشيع وطاعة الائمة) ممن يعمل عمل السلطان . فقال : اذا ولوكم يدخلون عليكم المرفق وينفعونكم في حوائجكم ؟ فقلت : منهم من يفعل ذلك ومنهم من لا يفعل .

فقال : من لم يفعل ذلك منهم فابرؤوا منه برىء الله منه[4] .

---

(١) بحار الانوار ٤٨/١٧٢ .

(٢) للاطلاع على مجمل احواله يراجع كتاب رجال الكشي ج ٢ .

(٣) بحار الانوار ٤٨/١٥١ .

(٤) وسائل الشيعة ١٢/١٤٢ .

د ـ وجود الاجواء المناسبة :

هناك ظروف معينة تجعل دخول الحكومة وحسب تعبير الائمة (عليهم السلام) عمل السلطان ممكناً ومفيداً في المجموع ، بينما يصبح هذا العمل غير مفيد ، عند انعدامها . . من هذه الظروف قوة الحركة العالمة تخطيطاً أو جمهوراً . فانها ان تكن جيدة التخطيط واضحة الاستراتيجية تتجنب بذلك المواقف المرتجلة ، والاستدراج الذي تفرضه السلطة أحياناً عبر ممارساتها . . مثلاًاذا كانت استراتيجية الحركة العاملة عدم التصعيد ، فانها لا تنجرف اليه عندما تقوم السلطة بتصفية بعض العاملين أو فرض اجواء ارهابية ، بينما من يفقد الاستراتيجية تجده يتخبط في معادلة الفعل ورد الفعل .

وكذلك حين تكون قوية جماهيرياً فانها تستطيع التأثير ، وايصال الناس الى مستوى جيد من الوعي بحيث يمكن من خلال ذلك توضيح الموقف السليم للجمهور من السلطة .

أننا نجد الامام الرضا صلوات الله عليه في البداية رفض أن يعين أو يعزل أحداً ، لكيلا تستفيد السلطة العباسية الشرعية التي كانت ترجوها . كما كان يقوم بعدد من الأعمال التي تخالف توجهات الحكم القائم ، وربما يعود ذلك لقوة الامام الرضا واتباعه بحيث لم يكن العباسيون قادرين على منع الامام من تلك الاعمال ، كظهوره في يوم العيد بكيفية مخصوصة جعلت المسلمين يشتاقون الى الحكم الأصيل البعيد عن البهارج والزخارف . [1]

وبالنسبة الى تعبئة الأجواء فإن احاديث الائمة (عليهم السلام) في ذم الحكومات الظالمة وعدم جواز الاشتراك فيها ، والتي سبق ذكرها ، كانت تعبىء الجو العام في اتجاه مضاد للسلطة .

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام)

٤ ـ الوكلاء وحكومة الظل :

تقوم حركة أهل البيت (ع) على أساس اعداد المشروع البديل المتكامل ، وذلك عبر مجموعة من الممارسات السياسية والاجتماعية . بل نستطيع ان نقول إن أهل البيت (ع) وهم يرون لا شرعية الوضع القائم وعدم امكانية التعاطي والتفاعل معه باعتباره وجوداً غير صالح ، أهل البيت (ع) وهم يرون هذا الأمر شكلوا كياناً خاصاً بهم وباتباعهم يحمل كل مواصفات الدولة المتكاملة في بطن هذه الدولة الكبيرة . ومن خلال هذا الكيان ـ الدولة المصغرة ـ كانوا يقومون بتربية عناصرهم وحوارييهم تربية سياسية شاملة .

وهذه الطريقة هي التي تلجأ اليها أغلب الحركات والجماعات الداعية الى التغيير الجذري ، حيث أنها لا ترى في الوضع الموجود ما يمكّن من التعايش والتفاعل معه ، فتوجد وضعاً بديلاً يتحلى بالميزات التي تراها مناسبة مع معتقداتها وبرنامجها . .

وعمل أهل البيت (ع) في كل مناحيه الاجتماعية والسياسية والثقافية كان يشكل ذلك المجتمع البديل الذي يملك فيه الاتباع قيادة سياسية يلتزمون بأوامرها وينتهجون نهجها ويرون ان طاعة قراراتها جزء من عبادتهم اليومية ، وأن هذه العبادة لا تكتمل إلا مع تحقق الطاعة للقيادة (الائمة) ، كما يمتلكون أنظمة خاصة في العلاقات الاجتماعية بين بعضهم البعض ، ويمتلكون جهازاً سياسياً يتكون من الوكلاء يقوم هذا الجهاز بعمل الحكومات تماماً . .

وبالرغم من أننا لا نريد ـ الآن ـ استعراض أدوار ووظائف الوكلاء ، وكيف كان هؤلاء يديرون هذا الجسم الكبير من العاملين الممتد جغرافياً في رقعة تشمل كل البلاد الاسلامية آنئذ والذي يرتبط بأعداد هائلة من الناس ـ تياراً وحواريين . . هذا الاتساع الذي يبدو لدى البعض من أتباع الائمة (ع) غريباً ، حين يجدون الامام يسأل عن فلان في افريقية أو في بلاد البربر

أو غيرها . فعن شعيب العقرقوفي قال . . قال لي الامام (ع) أن أذهب الى الكعبة المشرفة للطواف ، وسوف يراني هناك رجل من افريقية ، اسمر وطويل ويسألني عن الامام ومنزله وعليّ ان أرشده له . . ففعلت ذلك واقبل الامام عليه يسأله عن اشخاص في افريقية ، ويفيده بمعلومات حول تلك المنطقة لا تتسنى إلا لأهل تلك المناطق ، وخصوصاً عن اشخاصها ورجالها . مما أثار دهشة شعيب ودهشة الرجل .

وقد يقال إن المسألة غيبية هنا وترتبط بالمعجزة إلا أنها تكشف عن مدى الاتساع الذي بلغته حركة أهل البيت عليهم السلام وانتشار أنصارهم .

هذااضافة الى التنظيم الاقتصادي الرائع الذي اجراه أهل البيت (ع) بين اصحابهم وفي صفوف أنصارهم من خلال الوكلاء ، والقيادات الوسيطة ، التي اهتم الائمة بتقويتها و مركزيتها بين الأتباع بحيث جعلوا ميزان اتباع الشخص وطاعته للامام اتباعه للوكيل والنائب (وقد جعلت في طاعته طاعتي والخروج الى مخالفته مخالفتي)

هذا التنظيم الاقتصادي الذي كان يبدأ من جمع المال (أخماس ـ زكوات . . الخ) من الشيعة بحيث كان المنتمي لأهل البيت يجد نفسه مسارعاً الى دفع ما يجب في ماله من حقوق مهما صغرت وقلت قيمتها ، ومهما بعدت شقته ومكانه . فتجد تلك المرأة العجوز ترسل للامام خمس مالها الذي لا يتجاوز خمسة دراهم ، ترسلها من خراسان لكي تصل للامام عليه السلام ، وتعتبر ذلك عملاً عبادياً تماماً كصلاة الصبح .

إلى طريقة ايصال هذه الأموال للامام (ع) سواء في الظروف العادية أو القمعية الاستثنائية مع المحافظة على عدم اختلاط القنوات والوكلاء كما يتبين من وصية الامام الهادي (ع) الى أيوب بن نوح ، الأمر الذي جعل المال سلاحاً فعالاً في وجه حكومات الأمويين والعباسيين ، بالرغم من سياسة الافقار

المتعمدة [1] التي مارسها الحكام تجاه أهل البيت (ع) . وأيضا في وجوه صرفها حيث كانت هذه الأموال تتحول من خلال الوكلاء - الى مشاريع عمل سياسية واجتماعية ، فالامام الصادق (ع) عبر وكلائه يجري العوائل الذين استشهدوا مع عمه زيد بن علي بن الحسين مرتبات تكفيهم ، ويقول (وددت أن الخارجي - أي الثائر - قد خرج من آل محمد وعلى نفقة عياله) ، ويمر المفضل بن عمر رضوان الله عليه على اثنين من شيعة أهل البيت ، وهما يتنازعان في مال فجاء واستمع اليهما ثم اعطى المدعي ما طلب وفصل بينهما ، واخبرهما أن المال ليس ماله الشخصي وانما هو من الامام الصادق (ع) أمره بصرفه للفصل بين المتنازعين من اصحابه ، للحفاظ على الوحدة الاجتماعية بين الاصحاب .

ولوجود هذه الطريقة فقد كانت السلطات في حيرة من أمرها فهي تعلم

---

(١) ينقل المأمون العباسي قصة الامام الكاظم (ع) مع والده هارون الرشيد ، حينما دخل الامام عليه السلام على هارون في يوم كان يدخل عليه القرشيون ناسبين انفسهم وكان يعطيهم من المال كل على حسب شرفه وهجرة آبائه من خمسة آلاف دينار وما دونها حتى دخل الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع) فأمر هارون أن لا ينزل الامام من دابته الا على بساطه وبالغ في احترامه وإجلاله ثم سأله عن حاله وعياله وكان له آنئذ من الموالي والحشم ممن يلوذون به حوالي الخمسمائة ، ومن الولد نيف وثلاثون ، فوعده هارون أن يعطيه من المال ما يزوج به الذكران والنسوان من ابنائه وبناته ويقضي به الدين ويعمر به الضياع ، ثم ودعه وأمر له بصرة فيها مائتا دينار أرسلها مع الفضل بن الربيع ليقول للامام : يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت !! هذا مع العلم انه في ذات المجلس أعطى هارون لمخارق المغني ثلاثين ألف دينار . . ويعلل هارون هذا الأمر بعد أن سأل من المأمون كيف يعطي المهاجرين الانصار وغيرهم ممن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار بينما يعطي للامام الكاظم (ع) وهو ذو الحسب والنسب أخس عطية ؟! فقال هارون لابنه المأمون : اسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهي غداً بمائة الف سيف من شيعته وموالية وفقر هذا وأهل بيته اسلم لي ولكم من بسط ايديهم . عن عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٨٤

أن الشيعة يرسلون زكوات اموالهم وأخماسها الى الائمة (ع) وهذا يعني وجود أموال طائلة لديهم، كما يعلمون أن الأئمة ايضا يحركون هذه الأموال في مشاريع، الا انهم عند التفتيش المفاجيء والمداهمة لبيوت الائمة(ع)بحثاً عن الأموال والسلاح لم يكونوا يجدون شيئاً.

ومن هنا نجد أن حواريي الائمة وكوادرهم كانوا مهيئين في أي ساعة للادارة السياسية والحكم بنجاح ففي عهد الخلفاء تجد عدداً من اتباع الائمة (ع) كانوا ولاة على الاقاليم وكانوا ناجحين تماماً في ادارتها مثل سلمان المحمدي ـ وحذيفة بن اليمان وغيرهما وفي عهد امير المؤمنين (ع) تجد مالك الاشتر، وهكذا حتى في أيام الأمويين والعباسيين تجد الاكفاء من اتباع الائمة ولاة وحكاماً ـ وقد مرت بعض الامثلة في بحث العمل في الحكومات القائمة في الصفحات السابقة ـ.

وما يوضح أهمية دور الوكلاء والقيادات الوسيطة أن ائمة اهل البيت (ع) كانوا يغيبون، أو يُغَيّبون عن الساحة الا أن أمورهم واعمالهم كانت تسير، ولم يكن العمل ليقف او ينتهي فالامام الكاظم عليه السلام كان قد قضى أربعة عشر عاماً في السجن في فترات متقطعة مما كان يعني تقطيع أوصال العمل في الحالات الاعتيادية الا أنه ظل يدير التحرك من خلال وكلائه ولم يتوقف العمل، والامام الرضا (ع) كان ـ وهو في ولاية العهد ـ تحت المراقبة الدائمة الا أن القيادات الفرعية والوكلاء قاموا بدورهم بالشكل الامثل، وهكذا بالنسبة الى الامام الهادي والعسكري عليهما السلام اللذين كانا يعيشان شبه اقامة جبرية، وتحت المراقبة الدائمة وتتوج المسألة بالامام الحجة المنتظر عجل الله فرجه حيث غاب ـ في الغيبة الصغرى ـ حوالي السبعين عاماً وكلف وكلاءه الاربعة بإدارة شؤون اتباع أهل البيت. في وقت بلغ فيه هؤلاء قمتهم من ناحية العدد والانتشار وبالتالي تعدد الأعمال والمشاكل. ويكفي ان نقول أن هذه الجماعة ظلت في طول تاريخها الممتد تعيش في داخل الدول والحكومات، ولم تكن تعيش معها أو تعتمد عليها في سياستها او اقتصادها أو

حركتها الاجتماعية ، وذلك بفضل ما نسميه اليوم (بحكومة الظل) التي كان الائمة عليهم السلام قد اداروا بها أمور أتباعهم .

عبر توضيح الموقف الرسالي تجاه الاحداث الجارية (ثورات ، مذاهب فكرية وسياسية ، الخ) وعبر التأكيد على القيادة الرسالية وضرورة الانتماء اليها .

وعبر ادخال الكوادر في العمل السياسي سواء ادارة العمل عبر نظام الوكالة ، أو الدخول في الحكومة القائمة لخدمة الرسالة .

عبر كل ذلك . . كانت تتم التربية السياسية ـ النظرية والعملية ـ للكوادر الرسالية .

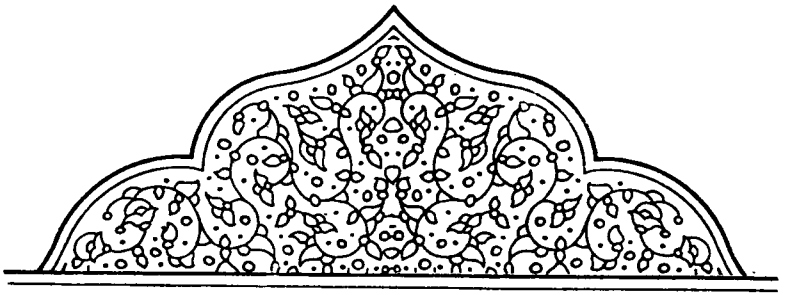

البناء الفكري للقادة

باعتبار أن التربية الرسالية التي كان يمارسها أهل البيت (عليهم السلام) لأتباعهم وحوارييهم ، تربية متكاملة لذلك كان طبيعيا أن يعتنوا عناية خاصة بالمسألة الفكرية ، خصوصا في تلك الفترة التي كان فيها الفكر جزءاً رئيسياً في الصراع الدائر بين أهل الحق ، وجموع الباطل .

في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام لم يكن السيف يحل كل المسائل ، اذ لا بد من الفكر ، وفهم الاسلام لكي يمكن مواجهة تلك المسائل التي لا تحلها القوة .

وسواء كانت تلك الفترة أو غيرها من الفترات ، فانه لا بد من المعرفة لسلامة التحرك ، ولا بد من وضوح الرؤية ليتم العمل على أسس صحيحة ، والا فمن الممكن أن تتحرك جماعة بدافع الحماس ، ولكنها تخطىء الطريق ، فتتخبط في ضلالات ، وتضيع في متاهات .

ان تجربة الخوارج الذين شهروا السلاح بوجه امير المؤمنين (عليه السلام) ولوثوا صفحات حياتهم ـ والى الابد ـ بجريمة قتلة في محراب صلاته ، نموذج بارز في هذا المجال . فلم يكن ينقص هؤلاء الشجاعة كما شهدت لهم معاركهم فيما بعد مع الأمويين ، اذ هزم ثمانون منهم أربعة آلاف من جيش الأمويين ، كما لم يكن ينقصهم الحماس ، ولم تكن تنقصهم العبادة اذ كان

على جباه بعضهم مثل ثفنات البعير من أثر السجود . . اذن أين الاشكال ؟!

الاشكال هو في خطأ الرؤية ، والابتعاد عن البصائر الواضحة ، وقلة الوعي سواء السياسي أو الديني . . لقد رفعوا شعار (لا حكم الا لله) ولم يكونوا يعرفون معنى هذا الشعار بعمق . . كانوا سطحيين جداً ، فلم يفهموا معناه ، وأيضاً لم يعرفوا مصداقه !!

وفي الوقت الحاضر تجربة (مجاهدين خلق) في ايران حيث تورطت هذه الحركة في مستنقع الجهل ، وعدم الوعي بالاسلام بشكل كامل مما أدى الى أن ترفع السلاح في وجه المؤمنين وتحقق (!) انجازات في اغتيال الأبرياء !!

ان ضلعي الزاوية لا يبتعد أحدهما عن الآخر في البداية الا ملمترات قليلة ـ تنتهي عند التقائهما ـ ولكنها كلما امتدا ، واستطالا زادت الفاصلة بينهما حتى يبدو الانفصال بينهما غير قابل للتصديق !!

وهكذا هم العاملون ، حين يبدؤون من نقطة خاطئة ، من الجهل بالاسلام وبفكره ، وبصائرالقرآن ، ويستسلون بهذه الصورة ، ينتهون الى ما انتهى اليه ضلعا الزاوية .

لذلك لا بد من الوعي بالاسلام ، والمعرفة به ، قبل بداية التحرك ، اذ كل حركات المرء رهينة فكرة وثقافته التي يحملها ، فاذا وجدنا شخصاً حسن الاخلاق ، طيب السيرة ، خدوماً للمجتمع ، محافظاً عليه ، فان كل ذلك انما هو انعكاس خارجي للأفكار والقيم التي يحملها هذا المرء في داخله وهكذا العكس حين نجد جباراً طاغياً ، وظالماً مستكبراً يرتاح بأذى المؤمنين ، ويسكر على أنينهم .

ويبين المعصومون عليهم السلام هذه الحقيقة لأصحابهم ، ويحثونهم بالتالي على اكتساب علوم الاسلام ، والتعرف على بصائر القرآن لكي تكون مجمل أعمالهم في الخط السليم . . فيقول امير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى وصاياه لكميل بن زياد :

(يا كميل : ما من حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة)[1]

ويبين الامام الصادق عليه السلام الترابط الوثيق الموجود في حياة الانسان بين افكاره التي يحملها واعماله ، وعموماً الترابط بين فكر الانسان وبين استراتيجيته في الحياة :

(يا بن جندب : احبب في الله واستمسك بالعروة واعتصم بالهدى يقبل عملك فان الله يقول : ﴿الا من آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ فلا يقبل الا الايمان ولا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بيقين ولا يقين الا بالخشوع وملاكها كلها الهدى فمن اهتدى قبل عمله) [2]

ويحذر المعصومون عليهم السلام من السير دونما بصيرة ، لأن ذلك اضافة الى أنه تبديد للجهد والطاقة فهو لا يوصل المرء الى الهدف اطلاقاً بل يبعده عنه . يقول الامام الصادق (عليه السلام) :

(العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق فلا تزيده سرعة السير إلا بعداً) [3]

ويجعل الامام الصادق (عليه السلام) مقياس التفاضل بين العاملين ، المعرفة ، والبصيرة التي تجعل أعمال المؤمن ضمن الاطار الصحيح ، فليست كثرة الصلاة والعبادة الخالية عن الوعي دليلاً على افضلية المؤمن ، انما البصيرة الرسالية التي تعطي كل عمل ابعاده الكاملة في شخصية المؤمن . . فعن ابن ابي عمير عن الصادق (عليه السلام) قال :

« بعضكم أكثر صلاة من بعض وبعضكم اكثر حجاً من بعض ، وبعضكم اكثر صدقة وبعضكم اكثر صياماً من بعض . وافضلكم أفضل معرفة » [4]

---

(١) تحف العقول ١١٩
(٢) تحف العقول ٢٢٣
(٣) تحف العقول ٢٢٦
(٤) صفات الشيعة ٥٧

نعم للبصيرة لا للهوس :

هناك تبرير يتعلل به المتقاعسون عن التحرك والعمل ، ويحاولون أن يخدعوا به الله والذين آمنوا ﴿**وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾ ذلك أنهم يبررون عدم تحركهم بعدم وضوح الخطة ، وضرورة التعمق في الفكر الاسلامي لبداية التحرك .

ورغم أن هذه كلمة حق إلا أنها احياناً يراد بها الباطل ، والذين يتفوهون بها لا يخرجون عن أحد ثلاثة :

ـ قسم غير واع فعلاً وهو يريد أن يتعرف على اوليات الفكر الاسلامي لكي يستطيع أن ينجو من الثغرات حين العمل ، وهؤلاء لا يتوقفون عن العمل بدعوى ضرورة التعمق في هذه المسائل انما يتوكلون على الله ، وفي نفس الوقت يتعرفون على بصائر الدين ، وسوف نتحدث عن هؤلاء بعد قليل .

ـ وقسم آخر اختاروا هذا الأمر ، واصيبوا بهوس في تثقيف أنفسهم ذلك لانهم يجدون هذا العمل أسهل من العمل الجهادي فلماذا يتركونه ويذهبون الى الجهاد ؟!

أن المعارك التي تدور على صفحات الكتب ويشاهدها القارىء لهي أسهل بكثير من المعارك الحقيقية الدائمة بين أهل الحق واهل الباطل والذي قد يكون صاحبنا أحد شهدائها !! انه لا يرغب في ذلك .

ـ وقسم ثالث يعيشون مسألة الدور فهم كما قال الشاعر :

مسألة الدور جرت بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفا لولا جفاه لم أشب

فهم لشعورهم بنقص معلوماتهم واطلاعاتهم ، وحاجتهم الى وعي اكثر يلجؤون الى الكتب والى الثقافة ، ولكنهم كلما قرؤوا يكتشفون أنهم لا يزالون

بحاجة الى الثقافة ، باعتبار أنهم تنفتح عليهم ابواب جديدة من العلم لا يعرفونها . . وهكذا اننا في نفس الوقت الذي نجد من الضروري أن يتحرك العاملون على بصيرة من أمرهم ومعرفة من دينهم نرى الاغراق في عقدة الثقافة ، يمنع العمل وقد يتخذ ستاراً للبعض لتبرير التقاعس ، واختيار الراحة .

والوعي قد يأتي من الكتاب ، واحياناً كثيرة يأتي من التجربة والممارسة العملية ، فالعامل الذي يبدأ ، ولا علم كامل لديه حول الخطط والبرامج المطلوبة ، ولا معرفة عنده بالطرق الافضل للتحرك ، ربما يتعثر في بداية الطريق ، ولكنه بعدئذ يكتسب تجربة ومعرفة واقعية تتجاوز المعارف النظرية ، ولعل هذا يستفاد من الآية المباركة : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ اذ بعد الجهاد والتحرك يطرح الله سبحانه الهداية والبصيرة في عمل المجاهدين .

وتبين الاحاديث ارتباط المعرفة بالعمل :

عن أمير المؤمنين(عليه السلام) :

« **العلم رشد لمن عمل به** »[1]

ـ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« **العلم بالعمل** »[2]

المعصومون ومواصفات المنهج الفكري السليم :

هناك فرق كبير بين أن تعطي المحتاج سمكة ، وبين أن تعلمه صيد السمك ، فأنت تشبعه ليومه في الحالة الاولى ، بينما تغنيه دهره في الثانية .

---

(١) الحياة ١ / ٢٨٤ .

(٢) نفس المصدر .

وهذا الأمر أيضا جاء في العلم والمعرفة ، فقد تجلس وتحدث المستمعين فمامنّ الله عليك من المعارف والعلوم ، فتعطيهم بذلك « سمكة » وقد تعلمهم المنهج السليم الذي ينتهي بهم الى العلم ، وهنا تضعهم على مدارج التكامل .

ويبدو لي أن هذا هو أحد الفروق الجوهرية بين العلماء وبين غيرهم فقد نجد أحدهم خلال مدة زمنية قد استوعب كثيراً من علوم الاسلام ، واستطاع بذلك ان يعرف رؤية الدين في مختلف القضايا ، وآخر يقضي فترة زمنية أكبر بينما لا يزال يرواح مكانه لم يحفظ سوى الفاظ ، ولم يعرف سوى مصلحات !!

ان الأول عرف المنهج السليم بينما بقي الثاني حافظاً للمعلومات في شريط دماغه .

يظهر للباحث أن المعصومين عليهم السلام رغم كثرة تعليمهم لأصحابهم وكثرة أحاديثهم التي القوها على أصحابهم رضوان الله عليهم ، إلا أنهم لم يكتفوا بهذا الجانب رغم أهميته ، وثراء مادته ، بل عملوا أصحابهم طريقة التعلم ، ومنهج التفكير ، وسوف نتعرض الى مواصفات هذا المنهج لنتوفق للأخذ به :

١ ـ الأخذ من المنابع الصافية :

هناك منابع كثيرة للفكر ، ويحتار المرء منها ؟! وما هو الطريق الاقرب والأسلم فيها ؟! والذين لم يعرفوا المنبع الصافي توجهوا الى المستنقعات وأخذوا عنها مما جعل مسيرتهم الحياتية تتخبط .

ولقد خط لنا المعصومون عليهم السلام طريقاً نسلكه ، ومنهجاً نتبعه وضمنوا لنا الفلاح أن اتبعنا هذا المنهج ، مشيرين الى أن العلم الصحيح والبصيرة الواضحة لن يأتي الا عبره .

اول هذه المنابع : القرآن الكريم ، كتاب الله الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفيه تبيان كل شيء .

ولا ينبغي أن يقال ان هناك مسائل متجددة ، وقضايا حادثة ، لاننا نقول ان الحياة تجري على أسس وضمن قوانين ، وان اختلفت مصاديقها وجزئياتها ، إلا أنها ثابتة ، وقد بين القرآن الكريم هذه القوانين ، واستطاع علماؤنا رضوان الله عليهم أن يستنبطوا من هذه القوانين مختلف المسائل الحياتية .

وثاني هذه المنابع سنة المعصومين عليهم السلام من أحاديث وافعال ، تلك التي لم تكن سوى مرآة عاكسة للمنهج القرآني . فان لدينا العدد الهائل من أحاديث أهل البيت تجد قسماً منها في الموسوعات الحديثية الكبيرة ، كما أن حياتهم (عليهم السلام) وما جرى فيها من احداث وما اتخذوا من مواقف ، هذه كلها مدرسة كاملة تغطي حاجة الرساليين والعاملين في مختلف الجوانب .

وقد وجه المعصومون عليهم السلام اتباعهم الى الاخذ من هذين المنبعين وهما في الحقيقة واحد ، اذ ينتهي علم أهل البيت وسيرتهم الى القرآن الكريم ، واكدوا على ضرورة التماس الهدى من القرآن :

فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) :

« . . فاذا التبست عليكم الامور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق ومن جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه قاده الى النار وهو الدليل الى خير سبيل وهو الفصل ليس بالهزل ، له ظهر وبطن ، فظاهره حكم وباطنه علم عميق بحره لا تحصى عجائبه ولا يشبع منه علماؤه وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودال على الحجة . . »[1]

---

(١) ميزان الحكمة ٨/ ٦٥ .

ـ وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

« أتاني جبرئيل فقال يا محمد سيكون في امتك فتنة ، قلت : المخرج منها فقال : كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . . »[1] .

ـ وعنه (عليه السلام) في القرآن :

« . . ألا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم . . »[2]

وكذلك تؤكد الأحاديث على سنة المعصومين (عليهم السلام) وأن المناهج الأخرى تضل صاحبها وترديه في الهاوية :

ـ فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« . . انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى »[3]

وقال (عليه السلام) لكميل بن زياد :

« يا كميل لا تأخذ الا عنا تكن منا »[4]

ـ وعن الصادق (عليه السلام) :

« معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم »

ـ وعن الباقر (عليه السلام) لسلمة بن كهيل وام حكم بن عتيبة :

---

(١) ميزان الحكمة ٦٦/٨ .
(٢) ميزان الحكمة ٦٨/٦ .
(٣) ميزان الحكمة ١٩٢/١ .
(٤) تحف العقول ١١٩ .

« شرقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً الا شيئاً أهل البيت »[1] .

ـ وقال ايضاً :

« أما انه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب الا شيء أخذوه من أهل البيت »[2]

ويرفض المعصومون الالتقاط ، اذ أنهم يرونه خطرا مدمرا ، وهو أشبه بتركيب رأس على جسد غيره ، فالمنهج الاسلامي بما فيه من رؤية توحيدية شاملة تدخل في صلب تشريعاته ، لا يمكن أن يتزاوج مع مناهج أخرى وضعية ، بل لا يمكن أن يلتقي معها .

ومع أن الاسلام يوجه الى النظر في احوال الآخرين ، والاستفادة من علومهم فـ « أعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه » ، إلا أنه يرفض وبشدة حالة الالتقاط التي تعبر عن جهل فاضح بمنهج الاسلام ، وبالقرآن الذي فيه تبيان كل شيء ، ولهذا فحينما يأتي أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسأله عن امكانية الاستفادة من التوراة ـ وهي كتاب الله المنزل ـ ينهاه الرسول (صلى الله عليه وآله) عن ذلك قائلاً له : « لا تفعل فلو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه الا اتباعي » .

وحين يستخدم بعض أصحاب الامام الصادق (عليه السلام) منهج القياس من أجل التغلب على مناوئيهم في المناظرة والنقاش ، ولاثبات افكار صحيحة ، ينهاهم الامام ، وينتقدهم قائلاً لمؤمن الطاق : « أنك قست والقياس ليس من ديني ، والله ما قلت من الحق حرفاً واحداً » .

٢ ـ احترام العقل وتأكيد دوره :

بين افراط المعتزلة وتفريط الاشاعرة في دور العقل كان منهج أهل البيت (عليهم السلام) . هذان الفريقان لم يفهما موقع العقل في المنهج

(١ ـ ٢) ميزان الحكمة ٦/٥٣٤ .

الاسلامي ، وعلاقته بالوحي ، والسنة ، فالمعتزلة اكدوا على دور العقل وسلموا اليه الأزمة ، وفتحوا أمامه كل الاراضي . . فضلوا وأضلوا . . اذ أن هناك مجالات لا يستطيع العقل أن يدركها فضلاً عن امكانية مناقشتها والحكم فيها ، بينما فرط الأشاعرة في دور العقل ، والغوا دوره معتمدين ـ في تصورهم ـ على النصوص ، والأخبار .

وهذان التياران رغم أن بدايتهما قديمة الا أنهما لا يزالان موجودين حتى الآن ، وفي مختلف المجالات .

ويأتي منهج الائمة (عليهم السلام) ليعطي للعقل دوراً ويؤكد عليه ، في المجالات التي يمكن للعقل ان يقول كلمته ، ويصونه عن المناطق (المحرمة) التي لا يجوز أن يتكلف فيها ما ليس له ، تاركاً الأمر للوحي . ويبين في احاديث كثيرة أهمية العقل حيث انه مقياس الثواب والعقاب ، وأنه الحجة الباطنة على الخلائق :

ـ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له »[1]

ـ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« أفضل حظ الرجل عقله ان ذل اعزه وان سقط رفعه وان ضل ارشده وان تكلم سدده »[2]

ـ عن الكاظم (عليه السلام)

« ان لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة (عليهم السلام) واما الباطنة فالعقول »[3]

وتبين الاحاديث أن الرجل يثاب على قدر عقله ، فعن أنس بن مالك قال : اثني قوم على رجل عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال

(١ ـ ٣) ميزان الحكمة ج ٦

رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كيف عقله ؟ . قالوا : يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟!

فقال : « ان الأحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم »[1]

العقل وفهم النصوص :

يسر الله للناس الذكر الحكيم ، وطلب منهم تعقله والتفكير فيه ، والتدبر في آياته ، وبينما يتصور البعض أن العقل قاصر عن تناول معاني القرآن أساساً ، أمر الله بالتدبر في القرآن ، ومحاولة فهم معانيه :

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾[2]

﴿افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ﴾[3]

ـ ويقول امير المؤمنين (عليه السلام) :

« ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه »[4]

ـ ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام)ايضا :

« تدبروا آيات القرآن واعتبروا به ابلغ العبر »[5]

العقل وفهم التجارب :

يوجه الاسلام اتباعه الى ضرورة فهم التجربة ، سواء تجربة الاشخاص او تجربة الأمم ويحث على النظر في عواقب هذه التجارب ، والى ما انتهت اليه .

---

(١) ميزان الحكمة ج ٦

(٢) القمر آية ٤٠ .

(٣) محمد آية ٢٤ .

(٤ ـ ٥) ميزان الحكمة ٨ .

والتجارب تفيد علماً جديداً ، خصوصاً وانها لا تنقضي ، والعاقل الذي يستخدم عقله هو الذي يستفيد من وجود التجارب فينظر اليها نظر اعتبار ، ويأخذ منها ما ينفعه في دنياه أو اخراه :

ـ فيما اوصى امير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن :

« ولتستقبل بجد رأيك في الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة »[1]

ـ وعنه (عليه السلام)

« من أحكم من التجارب سلم من العواطب ، من غني عن التجارب عمي عن العواقب »[2]

ـ وعنه (عليه السلام) :

« التجارب لا تنقضي والعاقل منها في زيادة »[3]

ولمن اراد التفصيل يمكن مراجعة وصية الامام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم التي كان محورها تأكيد دور العقل .

٣ ـ توضيح عوامل الانحراف :

ما دام القرآن موجوداً، والعقل لدى الناس، فلماذا نجد رغم ذلك المناهج الفكرية الخاطئة؟! ان القرآن بين اظهر المسلمين، والعقل قد حباهم الله به، فلماذا يكون الاختلاف في المسائل الفكرية والعقائدية ، وكذلك الحاضرة ؟!

انه ذلك بسبب وجود عوامل الانحراف ، وعدم اجتنابها ، ولذلك فهي تدخل في صلب الفكرة او الرؤية ، دون ان يشعر المرء .

---

(١) ميزان الحكمة ٢ / ٢٤ .

(٢ ـ ٣) ميزان الحكمة ٢ / ٢٥ .

وخلافا لما يتصور من أن مشكلة العلم والتفكير عقلية محضة ، ويمكن بالتالي حلها عبر وضع قواعد لتنظيم عملية التفكير ، وأقيسة يجري فيها الحكم السليم ، نعتقد أن المشكلة نفسية قبل أن تكون عقلية ، ولذلك فنحن بحاجة الى توضيح عوامل الخطأ والانحراف سواء في النفس البشرية ، او تلك الموجودة في الخارج والتي تنعكس على النفس .

والذين لا ينتبهون الى هذه العوامل ، التي تتداخل مع حياة الانسان ومع أفكاره تؤثر فيه دون أن يشعر ، ولنستعرض عدداً من الامثلة في هذا المجال .

الجذور النفسية للخطأ : مثلاً : حب الفكرة والعمى عن سلبياتها ونقاط الضعف فيها اذ أن « من عشق شيئاً اعشى بصره وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة »[1] كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) .

والتسرع في اطلاق الاحكام ، والانطلاق من قضايا خاصة وجزئية باسبابها وظروفها إلى الحكم بقضايا كلية ،دون أن تحتمل كأن يرى المرء جانباً من المدينة خراباً فيحكم عليها بالخراب كلها .

ووراثة الافكار ، عبر التقليد للآباء ، والبقاء على ما آمنوا به كما فعل مع الانبياء اقوامهم :

﴿انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾ [2] .

وضغط المجتمع ، بما يمثله من أفكار ، واستجابة الفرد له عبر التوافق الاجتماعي . والاخطاء المنهجية كاختيار المنهج غير المناسب للقضية المطروحة كالذين ارادوا استخدام المنهج الحسي في معرفة الله [3] .

---

(١) ميزان الحكمة ٦/ ٣٣٠ .
(٢) الزخرف / ٢٤ .
(٣) للتفصيل يراجع كتاب المنطق الاسلامي .

ونستعرض هنا بعض الأحاديث التي رويت عن المعصومين (عليهم السلام) في باب تحديد موانع التفكير السليم . والوقوع في الخطأ :

ـ العجب : في وصية الامام امير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام :

« أي بني . . اعلم أن الاعجاب ضد الصواب وافة الالباب »[1]

ـ الطمع : في وصية الكاظم (عليه السلام) لهشام :

« يا هشام اياك والطمع ، فان الطمع مفتاح الذل واختلاس العقل ، واختلاف المروات وتدنيس العرض ، والذهاب بالعلم »

وفي هذا الحديث نجد الامام أمير المؤمنين يبين عدداً من الأخطاء التي يقع تحت تأثيرها البعض عندما لا ينتبهون ، ويعبر عنها (بالسكر) فيقول :

ـ **« ينبغي للعاقل ان يحترس من سكر المال ، وسكر القدرة ، وسكر العلم وسكر المرح ، وسكر الشباب ، فان لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار »**[2]

ويوضح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله العلاقة الوثيقة بين الصفات النفسية الصحيحة ، واستقامة النفس ، وبين التفكير العقلائي ، والمنهج السليم في التفكير ، وعلى العكس الصفات السيئة . . كل ذلك القاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى راهب نصراني سأله عن العقل ما هو وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب منه ؟ فأجابه رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **ان العقل عقال من الجهل ، والنفس مثل اخبث الدواب ان لم تعقل حارت ، فالعقل عقال من الجهل ، وان الله خلق العقل فقال له :**

« أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك بك ابدأ وبك أعيد لك الثواب وعليك العقاب ، فتشعب من العقل الحلم ، ومن الحلم العلم ،

(١ ـ ٢) الحياة ١/١٥٣ .

ومن العلم الرشد ومن الرشد العفاف ، ومن العفاف الصيانة ، ومن الصيانة الحياء ، ومن الحياء الرزانة ، ومن الرزانة المداومة على الخير ، ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح ، فهذه عشرة اصناف من انواع الخير ولكل واحد من هذه العشرة اصناف عشرة انواع . . »[1]

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله ، يحدثه عن الأصناف الاخرى .

وخشية الاطالة فاننا نكتفي بهذا المقدار من الحديث عن مواصفات المنهج الذي انتهجه المعصومون لأصحابهم ، واضافة الى تبيان المنهج السليم ، واعطاء القواعد العامة لصحة التفكير ـ كما تقدم ـ كانوا يبينون لأصحابهم وكوادرهم المسائل العقائدية ، والسياسية المختلفة التي كانت مدار البحث آنئذ ، فلو نظرنا الى الخطب الوصايا والرسائل وجدناها تتناول هذه المواضيع ففي نهج البلاغة يتناول امير المؤمنين (عليه السلام) مختلف المواضيع العقائدية من صفات الله ، وصفة المخلوقات ، وعن احوال الانبياء والمرسلين ودورهم ، وعن يوم القيامة وعقابه ، وعن القرآن الكريم واحوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واصناف المجتمع من متقين ومنافقين ، وهكذا سائر الائمة (عليهم السلام) تحدثوا عن التوحيد ، ومحبة أهل البيت ، وعن معائش العباد ، وعن مواضع انفاق المال والخمس والغنائم ، وعن الجبر والتفويض والقضاء والقدر . ولم يترك الائمة (عليهم السلام) مسألة فكرية يبتلى بها المؤمنون الا وبيّنوا رأي الاسلام فيها . . هذا كما قلنا اضافة الى توجيه الاصحاب للمنهج السليم .

والذي يمكن ان نستفيده اليوم من هذا الجانب في تربية الرساليين ما يلي :

---

(١) تحف العقول ١٩ .

١ ـ الاستفادة من المنهج الرسالي الذي وضعه المعصومون (عليهم السلام) في التعامل مع قضايا الثقافة والفكر . ذلك المنهج الذي يعيد الرساليين الى جذورهم وعمق اصالتهم .

٢ ـ هذا المنهج يتمثل اليوم في التركيز على دراسة النصوص الاسلامية ، والتأمل فيها ، وجعلها المرجع الأول في مشاكل العمل ، ان التدبر في القرآن الكريم ودراسة احاديث المعصومين (عليهم السلام) ، ما جمع منها في الموسوعات الحديثية المتوفرة ، ليس تكتيكاً ، وانما هو أساس من أسس التحرك ، وضمانة لاستقامة المسيرة ووقاية عن بلاء الالتقاط . . ولهذا لا بد من تعميم هذا التوجه لدى كل فرد عامل ، وفي كل مؤسسة .

ان الفجوة الحاصلة بين بعض العاملين وبين بصائر الاسلام أن تردم عبر تعميق التوجه الى دراسة النصوص الاسلامية ، وفي هذا الطريق لا بد من تجاوز الاشكالات التفصيلية .

٣ ـ تربية الهمج والمقلدين ، الذين يستطيعون التصفيق أكثر ويتقنون فن التأييد والطاعة فقط ، ليس في مصلحة العمل . ولا يصب في خدمة الهدف فالعدو العاقل أفضل من الصديق الجاهل ، لان الأخير يرديك بجهله ، وهو يظن أنه يتقرب الى الله .

لا بد من تنمية الوعي والعقل ، والشخصية الناقدة وكما قال الامام الصادق (عليه السلام) « كونوا نقاد الكلام » ، لأجل تقدم العاملين . ورغم أن طاعة الواعين ، والفاهمين قد تكون أصعب من طاعة البسطاء الا انها أنفع .

٤ ـ في نفس الوقت الذي ينبغي توضيح مواصفات المنهج ، وطريقة (الصيد) لا بد من بيان المعارف الاسلامية للعاملين ، بمقدار يمكنهم من فهم دينهم فهماً مستوعبا ، كل حسب وعائه . ولا يجوز الاكتفاء بتوجيه الأفراد الى المنهج دون توضيح الأفكار . فان ذلك يشبه هيكلاً عظيماً دونما أعصاب ولحم .

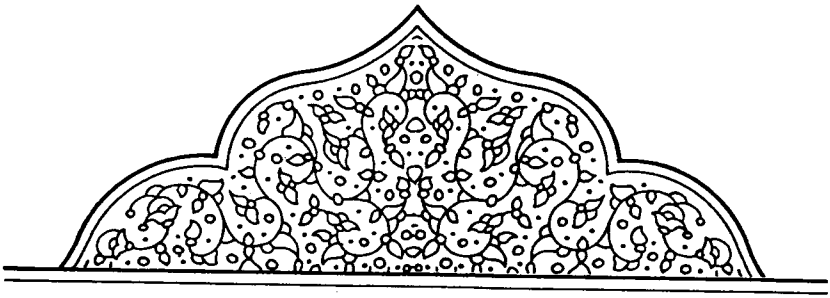

البناء الاخلاقي للقادة

هل نحن بحاجة الى بيان ضرورة التربية الاخلاقية ؟ ! وهل هي خافية حتى تحتاج الى بيان ؟ ! وهل بناء الكادر شيء آخر غيرها ؟ !

لا أظن ذلك . . غير أن الذي يحدوني - عزيزي القاريء - الى ذكر هذا الأمر ، ما نراه في ساحتنا الاسلامية من نتائج ضمور هذا الجانب عمليا ، وان كان معروفا من الناحية النظرية ، لنستعرض معاً - وربما تملك اكثر - بعض الامثلة من الواقع المعاش .

* شخص يبدأ في العمل مع هذه الجهة او تلك ، وبعد ان يقسم اليمين الذي توجب مخالفتها الكفارة الشرعية ، ويعمل في البدء بكل اخلاص فيعطي العمل جهده ، ويتفاعل معه حتى درجات الشهادة ، واحيانا يعادي هؤلاء واولئك بسبب شدة انتمائه . . ثم يحصل تطور ما . . فاذا به ينكفيء تماما ويبدأ في خط معاكس تماماً (رسالة) تخريب وتحطيم هذه المجموعة ، وخلافاً للقانون الفيزيائي فان رد فعله يكون اعنف من ذات الفعل فيتجاوزه ولا يساويه !!

* جماعة تختلف فكريا مع جماعة أخرى ، وهذا حق طبيعي وواقع وموجود ، يتحول اختلاف الرأي هذا الى صراع عنيف ، والى تناقض في الوجود ، ويتلاشى صوت الضمير الهاديء أمام زفير التطرف ، فاذا بالساحة

ليس فيها معركة سوى معركة العاملين ، والطواغيت يصفقون ويشجعون !!

* (لا أرحمك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك) حالة خاطئة ولكنها تتحول الى قانون مقدس في عرف البعض حين يتعلق الأمر بالطرف الآخر . . فاذا كان هناك عناصر لا تستطيع الجماعة الأولى استيعابهم فانها ليس فقط لا تدعو الجماعة المنافسة لاستيعابهم ، فالأمر يهون هنا ، وانما تسعى لتخريب جهودها ، ويحدث ان يظل هؤلاء بعيدين عن الهداية والتحرك ، لهذا السبب .

يحدث كثيرا ان يستخدم البعض ـ جهلا او تعمداً ـ وسائل في العمل تخرجهم ليس فقط عن الاطار المناقبي المطلوب في العمل ، بل تخرجهم أحياناً عن روح الاسلام ، وجوهر العقيدة ، وذلك عندما تتحول هذه الوسائل الى عمل مشروع بل واجب ، وضروري للتحرك ، وتدعم بالادلة (الشرعية) !!

الغيبة التي هي ادام اهل النار ، تصبح وسيلة مقدسة لضرب هذا وتحطيم ذاك ويستطيع هؤلاء ان يجدوا دواعي (شرعية) كثيرة لاستخدام هذه الوسيلة !!

والمؤمن الذي حقه اعظم من حق الكعبة كما يقول الامام الكاظم (عليه السلام) [1] ، والذي من حاربه فقد أرصد لله بالمحاربة كما في حديث قدسي . . هذا المؤمن ببركة هذه الوسائل يباع ويشتري باقل من الدانق !!

و . . . غيرها من الامثلة كثيرة .

كل ذلك ينبيء عن فقدان التربية الاخلاقية او نقصانها لدى عدد من العاملين الاسلاميين ، رغم انهم احيانا يدركون ضرورتها ـ نظريا ـ ولكن في موقع التطبيق تغيب هذه الضرورة وفي تعيين المصداق يحدث الخطأ .

---

(١) نظر الامام الكاظم (عليه السلام) الى الكعبة المشرفة وقال : (ما اعظم حقك يا كعبة والله إن حق المؤمن لأعظم من حقك) البحار ٢٢٧/٧١ .

ولعل سبب ذلك يعود الى عاملين :

الأول : خطأ البعض في الاستهانة بالحدود الاخلاقية تعويلا على الجهاد والعمل في سبيل الله ، فهو يعتقد أن الاخلاق ليس الا (سلَطة) المائدة ، ولا يهم كثيراً اذا فقدت ما دام العمل ذاته موجوداً .

لا يدرك هؤلاء ان الاخلاق والمناقب هي هدف بعثة الانبياء والمرسلين (عليهم السلام) ذلك ان عبادة الله يجب ان تؤدي بشكل طبيعي الى الاخلاق الحسنة في المجتمع ، وهناك الكثير من الأحاديث تربط بين الايمان بالله وبين حسن الاخلاق ، وأن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وليحسن علاقته بجيرانه ، وأن العبد ليبلغ بحسن الاخلاق درجة الصائم القائم ، وأن حسن الاخلاق من أفضل ما يوضع في الميزان يوم القيامة ، بل ان من ساء خلقه ليدخل النار بهذا السبب .

(فقد قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن فلانة تصوم النهار ولكنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال (صلى الله عليه وآله) : لا خير فيها هي من أهل النار)

ولقد علم الأئمة (عليهم السلام) وجود هذه الحالة لدى بعض اتباعهم ، حيث أن هؤلاء يرون انفسهم متحملين لعمل كبير ومهم ، وهو باب من ابواب الجنة ، ويحسبون انهم قد حجزوا مقاعدهم هناك !! فينسون او يتغافلون عن هذه القواعد الاخلاقية ، لهذا شدد الائمة (عليهم السلام) النكير على هؤلاء النفر ، واكدوا في كثير من الروايات على ان هؤلاء ليسوا من اتباعهم ولا من شيعتهم .

فعن الباقر (عليه السلام) قال :

« ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع واداء الامانة وكثرة ذكر الله »[1]

---

(١) ميزان الحكمة ج ٥ .

وعن الصادق (عليه السلام) :

« يا شيعة آل محمد . . إنه ليس منا من لم يملك نفسه عن الغضب ولم يحسن صحبة من صحبه ومرافقه من رافقه ، ومصالحة من صالحه ومخالفة من خالفه »[1]

والملاحظ في هذا الحديث ، أنه ينفي عن أهل البيت من لم يملك الصفات الاخلاقية الحسنة ، ولم يحسن حتى مخالفة من خالفه ، أي ان الخلاف يحتاج الى حسن في ادارته . . والى طريقة خاصة .

وعنه ايضاً (عليه السلام) قال :

« ان اصحابي اولو النهى والتقى ، فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من اصحابي »[2]

وعندما يتحدث المعصومون (عليهم السلام) عن الاخلاقيات التي تعتبر في اذهان البعض كماليات العمل ، ولوقت الفراغ ، وصفاء الذهن ، يتحدثون عنها وكانها مقايس للانتماء الى خط الرسالة .

(فقد جاء رجل الى الامام الباقر (عليه السلام) وقال له : جعلت فداك ان الشيعة عندنا كثيرون :

فقال له : هل يعطف الغني على الفقير ؟ ويتجاوز المحسن عن المسيء ؟! ويتواسون ؟

فقال الرجل : لا .

فقال (عليه السلام) : ليس هؤلاء الشيعة ، الشيعة من يفعل هكذا)[3] .

العامل الثاني : الفهم الخاطىء للثورية

عظمة الاسلام انه يربي المؤمن في ابعاد مختلفة ، واحيانا متباينة

(١ ـ ٣) ميزان الحكمة ج ٥ .

ظاهريا ، ولكن ملاكها الاساسي ان يملك المؤمن نفسه ويسيطر عليها فيقودها ، لا ان يصبح عبدا لها .

فهو من جهة (ارهابي) ضد الباطل ، عنيف في معركة الطغيان ، حاد كالشفرة ، قاطع كالسيف ، ينزل كالصاعقة على رؤوس الظالمين . . وهو نفسه ذليل على المؤمنين ، متواضع لهم ، لين الجانب كملمس الوردة ، وكصفاء الندى ، دائم البسمة ، واسع الصدر ، شديد المعونة ، رقيق الحنان ، مشبع العاطفة ، هذا كله بالنسبة لاخوانه .

انه يقتدي بتلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اخلاقه ، بعلي امير المؤمنين (عليه السلام) ، الذي يذبح ألفا في ليلة الهرير في صفين من البغاة والمنحرفين ، ولكنه رؤوف بالمؤمنين ، يبكي لبكاء الاطفال ، يكون بين المؤمنين ولهذا حين يفقده اصحابه ، يصبح مأتمه في قلوبهم قبل ان يكون في البيوت .

يصفه احد أصحابه وهو ضرار فيقول مؤنبا اياه :

(كان والله بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، يعظم اهل الدين ويعطف على المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله)

وعندما يسأله معاوية عن مقدار حزنه على أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول :

(والله حزن من ذبح طفلها في حجرها)

ان الفهم الخاطيء للثورية ، يجعل المرء ينظر بعين واحدة ، فتراه دائم العنف سريع الغضب ، شديد التقطيب ، إن العمل في تصوره يحتاج الى ذلك . والانسان الثوري ينبغي ان يكون جاداً هكذا !! بل لقد اقترنت الثورية في اذهان هؤلاء بالخشونة والعنف والبعد عن الاخلاق فالقائد لا يمكن ان يكون كذلك الا اذا كان شرس الاخلاق !! وهكذا الحزم لا يأتي الا عبر العنف مع الاصحاب . .

كل شيء في موقعه صحيح ، في ساحات الخشونة ينبغي ان يكون المؤمن قطعة فولاذ ، ولكنه في موقع العلاقة مع المؤمنين ألطف من زهرة .

المعصومون والتربية الاخلاقية :

لا نستطيع استقصاء الاحاديث والوصايا الاخلاقية لكثرتها وضيق المجال ، الا اننا بنظرة سريعة سوف نجد ان المعصومين (عليهم السلام) قد ركزوا في بناء اصحابهم على الجانب الاخلاقي واولوه عناية هامة .

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يبدأ بنفسه الشريفة اذ كان دائم الدعاء والالحاح على الله سبحانه أن يزينه بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ، مع ما كان عليه (صلى الله عليه وآله) من اخلاق عالية حتى قال الله سبحانه فيه : « وانك لعلى خلق عظيم » وكان من دعائه في افتتاح الصلاة : (اللهم اهدني لأحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت ، واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا انت) [1]

ثم حين يوصي حواريه بوصاياه ، يؤكد على ضرورة التمسك بالفضائل والمناقب الاخلاقية . فهو في وصية لامير المؤمنين(عليه السلام) يقول :

« يا علي : اوصيك بوصية فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي ، يا علي : من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه اعقبه الله يوم القيامة أمنا وايمانا

---

(١) المحجة البيضاء ٥/٩٢ .

يجد طعمه ، يا علي : من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار ، يا علي : شر الناس من اكرمه الناس اتقاء شره ، يا علي : شر الناس من باع آخرته بدنياه وشر من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره ، يا علي : ينبغي ان يكون في المؤمن ثمان خصال : وقار عند الهزائز ، وصبر عند البلاء ، وشكر عند الرخاء ، وقنوع بما رزقه الله عز وجل ، ولا يظلم الاعداء ولا يتحامل على الاصدقاء ، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة .

يا علي : لا تمزح فيذهب بهاؤك ولا تكذب فيذهب نورك واياك وخصلتين الضجرة والكسل فانك ان ضجرت لم تصبر على حق وان كسلت لم تؤد حقا . يا علي : ثلاثة من مكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة : ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم عمن جهل عليك ، يا علي : بادر بأربع قبل اربع : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك ، يا علي : سر سنتين بر والديك ، سر سنة صل رحمك ، سر ميلا عد مريضاً ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة اميال اجب دعوة ، سر اربعة اميال زرأخا في الله ، سر خمسة أميال أغث الملهوف ، سر ستة أميال انصر المظلوم ، وعليك بالاستغفار .

يا علي : من تعلم علما ليباري به السفهاء او يجادل به العلماء او ليدعو الناس الى نفسه فهو من أهل النار . »[1]

وهناك وصايا أخرى له صلوات الله عليه ، اوصى بها علياً (عليه السلام) يمكن مراجعتها في كتاب الروضة من البحارج ٧٤ .

وفي وصيته (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر الغفاري يقول :

« يا ابا ذر : الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء واملاء الخير خير من السكوت ، والسكوت خير من الشر ، يا ابا ذر : اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك ، يا ابا

---

(١) بحار الانوار ٤٦/٧٤ .

ذر : كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع .

يا أبا ذر : ما من شيء احق بطول السجن من اللسان ، يا أبا ذر : لا تكن عياباً ولا مداحاً ولا طعاناً ولا مارياً ، يا ابا ذر : الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة .

يا ابا ذر : اياك والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا . . قال (ابو ذر) : يا رسول الله ولم ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : لأن الرجل يزني ويتوب الى الله فيتوب الله عليه ، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها .

يا ابا ذر : لا يدخل الجنة قتّات ، قلت : وما القتات ؟ قال : النمام .

يا ابا ذر : اياك وهجران اخيك فان العمل لا يتقبل مع الهجران . يا ابا ذر : من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار ، يا أبا ذر : انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه اجدر ان لا تزدري نعمة الله عليك)

وهكذا حين يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحسن (عليه السلام) .

« يا بني : اوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وبالعدل على الصديق والعدو وبالعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء .

أي بني : ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .

واعلم أي بني : انه من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن تعرى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئراً لأخيه وقع

فيها ، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الأمور عطب ومن اقتحم الغمرات غرق ، ومن اعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن سفه على الناس شتم ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن مزح استخف به ، ومن اكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطأه ، ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار . .

يا بني : من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الاحمق بعينه ومن تفكر اعتبر ومن اعتبر اعتزل ومن اعتزل سلم . ومن ترك الشهوات كان حراً ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس .

أي بني : عز المؤمن غناه عن الناس والقناعة مال لا ينفذ ومن اكثر ذكر الموت رضي باليسير ، ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما ينفعه .

أي بني : الفكرة تورث نوراً والغفلة ظلمة والجدال ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره ، والادب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى .

أي بني : رأس العلم الرفق وآفته الخرق ، ومن كنوز الايمان الصبر على المصائب والعفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، كثرة الزيارة توجب الملالة ، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم واعجاب المرأ بنفسه يدل على ضعف عقله »[1]

ولو تتبعنا حياة الائمة (عليهم السلام) لوجدنا امام وصية لمن يخلفه تحتوي على مضامين اخلاقية رفيعة .

---

(١) تحف العقول .

وفي وصية الامام الصادق (عليه السلام) لعمرو بن سعيد بن جلال ، فقد قال :

(قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : اني لا اكاد القاك الا في السنين فأوصني بشيء آخذ به ، فقال : اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والورع والاجتهاد ، واعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع معه واياك ان تطمح الى من فوقك ، وكفى بما قال الله عز وجل لرسوله : ﴿فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم﴾ وقال الله عز وجل لرسوله (صلى الله عليه وآله) : ﴿لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ فان خفت شيئا من ذلك فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده وان اصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله) فان الخلق لم يصابوا بمثله) [1]

اثر التربية الاخلاقية :

للتربية الاخلاقية أثر حاسم في العمل الرسالي نجاحا وفشلا ، ومن الضروري بالنسبة للحركات الاسلامية ان تعتمد هذا الجانب كأصل من اصول التربية لا ينقضي بمدة معينة ، بل يبقى العاملون ضمن اطاره ليصلوا الى درجات عالية في سلم التكامل البشري .

ولقد بين أهل البيت (عليهم السلام) لنا أهمية هذا الجانب اذ انه :

هدف الرسالة السماوية :

تسعى حركة الانبياء (عليهم السلام) ودعوتهم الى تكميل البشر عبر تعليمهم مكارم الأخلاق ، وتربيتهم على اصولها . وبالتالي فهي تحاول صياغة شخصية الانسان من جديد ، بانتزاعه من تأثيرات المجتمع الفاسد ، وعاداته

---

(١) فروع الكافي ٨/١٦٨ .

الخلقية السيئة ، وانه لهدف عظيم وصعب . . ذلك انه من السهل ان يؤمن المرء بأفكار معينة تخالف افكاره السابقة ، ولكن من الصعب ان يشكل حياته من جديد ، سلوكا وممارسة ونمطا متميزاً في الاخلاق .

ولأهمية هذا الهدف وصعوبته بعث الانبياء (عليهم السلام) لأجل ان يكملوا مكارم الأخلاق وكما يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » . ووجدنا هذه المناقب والفضائل تتجسد اولا في اصحاب الرسالات (عليهم السلام) .

وحين ننظر الى الاحاديث والوصايا الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) نجد الترابط الوثيق بين الايمان بالله وبين الالتزام بالاخلاق العالية :

- **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »** [1]
- **« ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »** [2]
- **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت »** [3]
- **« اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم اخلاقاً »** [4]

ضرورة للنجاح :

هناك عدد كبير من الاحاديث تبين أن الالتزام بمكارم الاخلاق يساوي النجاح في العمل ، فسعة الصدر ضرورة ملحة للادارة والقيادة اذ ان (آلة الرياسة سعة الصدر) ، والتجاوز عن خطأ الآخرين يجعل المرء محبوباً بين الناس . . وهكذا .

أمير المؤمنين (عليه السلام) يوضح هذه الفكرة بحديث رائع يقول فيه :

« لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ، ولا ثواباً ولا عقاباً ، لكان

(١ - ٤) المحجة البيضاء ٥/١٢١ .

ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاح)[1]

فكيف اذا كان وراءها الجنة والثواب العظيم ؟!

ولنترك الاحاديث تتحدث مبينة الآثار الواقعية والخارجية التي تنتج عن حسن الخلق ، والتربية الاخلاقية ، متجنبين شرح هذه الاحاديث :

ـ كسب المجتمع :

« من حسن خلقه كثر محبوه وانست النفوس به »

« حسن الخلق يثبت المودة »

ـ زيادة الرزق :

« حسن الخلق يدر الارزاق ويؤنس الرفاق »

« في سعة الاخلاق كنوز الارزاق »

« حسن الخلق يزيد في الرزق »

ـ طريق لثواب الله :

ـ « جعل الله سبحانه مكارم الاخلاق صلة بينه وبين عباده فحسب احدكم ان يتمسك بخلق متصل بالله »

ـ « ان حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وان سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل »

ـ « حسّن خلقك يخفف الله عذابك »

ـ « ما حسن الله خلق امرء وخلقه فيطعمه النار »

---

(١) ميزان الحكمة ٣ .

ـ « ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح »

نماذج من المفردات الاخلاقية :

الورع :

عنوان المؤمن المجاهد ، وهوية القائد الرسالي . ولا فرق اطلاقاً بين غير المؤمن ، والمؤمن غير المتورع ـ إن صدقت تسميته ـ إذ ان الأثر السلوكي الذي ينعكس فيه الايمان بالله يتلخص في الورع ، ومع عدم الورع . الذي هو ترك الشبهات والتوقي من الوقوع فيها ، تفقد أعمال المؤمن قيمتها وهدفيتها ، فترى الجهاد يفقد قيمته حين يكون مرافقاً للسرقة والتجني والتعدي ، والأعمال الخيرية الاجتماعية تتعرى عن هدفها حين يكون القائم بها غير ورع .

ومع كثرة الأعمال وتزاحمها ، واضطرار القائد للحكم في كل صغيرة وكبيرة ، تبدو أهمية التورع وتتضح بشكل أكبر ذلك أنه مع هجمة الأعمال وكثرة التفاصيل ، يتصور البعض أنه مضطر للاستجابة لضغط الانجاز الذي يرافقه أحياناً ضغط أصحاب هذه الأعمال ، يتصور البعض انه مضطر لانجاز العمل وقد يتخطى بعض العقبات والحواجز الشرعية . . والشيطان هنا يزين له سوء عمله فيراه حسناً ، يقول له : المهم نتيجة العمل . والهدف منه ، خصوصاً أن الله غفور رحيم ، وبالتالي فهو يتجاوز عن هذه الأخطاء البسيطة ، وإذا قارن هذه التجاوزات للحدود والمقتضيات الشرعية بالخير المترتب على انجاز العمل فإن هذه الحدود الشرعية تسقط لصالح الاهداف الكبيرة ؟! وهذا الأمر نظير ما صنعه احد المجانين للورع في عهد الامام الصادق (ع) اذ أنه (ع) رأى رجلاً ذهب الى دكان يبيع الخبز ، فسرق منه رغيفين وسار في طريقه فلقى فقيرين وتصدق عليهما بالرغيفين ، فتعجب منه الامام (ع) وذهب لسؤاله عن هذا العمل غير الجائز ، فقال ذلك الرجل

مستنكراً : أنت الذي تزعم الرافضة عملك وفقهك ؟! وانت لا تحسن أبسط المسائل كالتي دخلت فيها ؟! قال الامام (ع) وكيف ؟! قال : أنا اخذت قرصي خبز من الخباز فهذه سيئتان ثم ذهبت وتصدقت بهما على فقيرين وتلك عشرون حسنة اذ أن السيئة بواحدة ، والحسنة بعشر ، وإذا جعلنا سيئتي في مقابل حسنتين فيبقى لدينا ثمانية عشر حسنة . . فضحك الامام من قوله وعقله وأفهمه أن الله انما يتقبل من المتقين ، وأنه لا يطاع الله من حيث يعصى .

ومن أجل هذا ، حيث أن قلة الورع احد مداخل الشيطان لنفس المجاهد أو القائد نجد أهل البيت عليهم السلام اكدوا على أساسية الورع ، وأولويته على أصل العمل ، فلا يكفي الاجتهاد في العمل والمسارعة إلى المشاريع دون أن يحكم ذلك ورع يحجز صاحبه عن التردي في مهاوي الشبهات ، ثم المحرمات .

فعن زيد الشهيد عن ابيه السجاد (ع) قال : (الورع نظام العبادة فإذا انقطع الورع ذهبت الديانة)[1] وتشبيه الورع بالنظام . والنظام هو خيط المسبحة الذي يجمع شمل حباتها وينظمها ، مانعاً اياها من التفرق والاندثار ، فالورع حسب كلام الامام السجاد عليه السلام هو النظام الذي يجمع شمل الديانة والعبادة .

ويأتي هذا الحديث تأكيداً لما قاله امير المؤمنين (ع) حين سئل . ما ثبات الايمان قال : الورع[2] وحين يطلب عمرو بن سعيد الثقفي وصية من قائده الامام الصادق (ع) وهو عازم على الرحيل نجده يوصيه بالورع ويوضح له قيمومة وهيمنة الورع على أصل العمل والاجتهاد في العمل دون ورع لا ينفع التحرك بشيء . . عمرو بن سعيد الثقفي قال . . قلت لابي عبد الله عليه السلام : اني لا القاك إلا في السنين فاخبرني بشيء آخذ به فقال

(١ ـ ٢) سفينة البحار ٢ / ٦٤٣ .

لـه : (أوصيك بتقـوى الله والورع والاجتهـاد ، وأعلم انه لا ينفـع اجتهـاد لا ورع فيه)[1] .

ويـرى الامـام الصـادق (ع) أن المنتمين الى خط أهـل البيت وقـادة المجتمع الرسـالي هم المطالبـون قبل غيـرهم بمستويـات متقدمـة من الورع لكي تقـوم الجمـاهـير بـإقتفـاء سبيلهم فيقـول (ان احق النـاس بـالـورع آل محمـد وشيعتهم كي تقتدي الرعية بهم)[2] .

والـورع من الدرجـات العاليـة في التقوى ، ولـذلك لا ينبغي التسـاهـل من قبـل العاملين فيـه ، مهما صغـر مصداقـه ، فقد يكـون الموضـوع دريهمـات قليلة ـ لا قيمـة ماديـة كبيرة لهـا ـ إلا أن الأمانـة فيها والمحـافظة عليهـا تنبع من حالة الورع التي ينبغي أن تكون حاكمة لحياة العامل المؤمن .

وكلما علت مـرتبة هـذا العامـل طولب بـالورع ، والتـوقي عن الشبهـة ـ فضـلا عن الحرام ـ اكـثر من غيره ، وذلـك لمـا يمثـل من مـوقـع اعتبـاري قـد يضفي شـرعية عـلى بعض الاعمال ، فـإذا كانت هـذه الأعمـال خـاطئـة وغـير شرعية فسائر الناس أسرع اليهـا ، ولقد أثـر عن كثير من الائمـة عليهم السلام قـولهم لاصحابـه : (الحسن من كل أحـد حسن ومنـك أحسن ، والقبيـح من كل أحد قبيح ومنك أقبح لمكانك منا أهل البيت) .

ولا يتصـور أحد أن الالتـزام بالحـدود الشرعيـة بشكـل حـرفي يمنعـه عن انجـاز أعمالـه الاسلاميـة ، وذلـك أنـه أولا : كلما عـظمت تقـوى المـرء وزاد تـورعه كلما زاد تيسـير الله له ، وكلما زاد تـذليل المشـاكل عن طـريقه ذلـك أنـه (ومن يتق الآ يجعل له مخـرجاً ويـرزقه من حيث لا يحتسب) . والى هـذا يشير أمير المؤمنين عليـه السلام عن ورع أبـا ذر الغفاري قبيـل نفيه الى الـربذة حـين قـال له : (يـا أبا ذر ول أن السمـاوات والأرض كانتـا رتقاً عـلى عبـد ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً) .

(١ ـ ٢) سفينة البحار ٢ / ٦٤٣ .

وثانياً : لأن هدف العاملين ، وكل تضحياتهم انما هي من أجل تحكيم القيم الالهية ، وأخلاق الاسلام في المجتمع ، وإذا كان الطريق الى ذلك ، والعاملين فيه على غير هذه القيم والأخلاق فهل يتوقع منهم تربية المجتمع عليها ، وهل (فاقد الشيء يعطيه) قبل أن يلتفت إلى شعاراتهم وكلماتهم .

وثالثا : وعلى كل حال فإن (الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة) ، وإذا كان العمل يحتمل فيه التعرض للشبهات ، وبالتالي اقتحام الهلكات فمن الأفضل - عند عدم التمكن من ترك الشبهات واجتنابها - من الافضل والحال هذه التوقف عن هذا العمل المرافق للشبهات والمشاكل الدينية .

بالطبع لا يعني هذا ان يتحول المرء الى شكاك ، يوسوس الشيطان في صدره دائماً ، ويحدث في نفسه حواجز عالية من الريب والتردد قبل أن يقدم على أي عمل خيّر ، ومشروع إسلامي . ذلك أن الشيطان يستفيد أحياناً من هذه الثغرة اكثر مما يستفيد من أي ثغرة أخرى ، فيوقف الانسان المؤمن ويجعله سجين الكسل والجبن وانعدام المسؤولية بدعوى (الاحتياط الشرعي) وضرورة التثبت وما شابه ذلك . ذلك الأمر الذي حصل مع الحسن البصري الذي رفض الخروج مع امير المؤمنين عليه السلام لقتال الباغين عليه ، فقد كان وسواسياً حول (شرعية) القتال مع امير المؤمنين . . فقد روي أن الامام بعد عودته من حرب الجمل مر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال له : يا حسن أسبغ الوضوء .

فقال له الحسن البصري : يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناساً يشهدون الشهادتين ويصلون الخمس ويسبغون الوضوء !!

فقال له أمير المؤمنين : قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا ؟!

قال : لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصببت علي سلاحي

وانا لا أشك ان التخلف عن أم المؤمنين هو الكفر ، فلما انتهيت الى موضع من الخريبة (موضع قرب البصرة) نادى منادٍ يا حسن : ارجع فإن القاتل والمقتول في النار فرجعت ذعراً وكذلك في اليوم الثاني .

فقال امير المؤمنين : صدقت أفتدري من ذاك المنادي ؟! قال : لا فقال له الامام : ذاك أخوك ابليس وصدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار[1] .

سعة الصدر :

خُلقٌ ما أحوج العاملين اليه ، خصوصاً الطلائع منهم . وما أصعبه وما أصعب شروطه !

ذلك أن الاجتهادات في المسائل السياسية تتعدد ، وبقدر تعددها تتعدد الجماعات والتيارات التي تنتمي اليها ، والبعض من الناس يريح نفسه عندما يبدأ تصنيف هذه الفئات على اساس جيد وسيء ، مؤمن وكافر ، إلا أن القضية ليست بهذه السهولة خصوصاً عندما ترتبط بفئات اسلامية اخرى عاملة في الساحة ، ولا سبيل الى انكار وجودها مع اختلافها في التنظير للعمل السياسي أو في الممارسة .

وقد يغفر للشاب المبتدى المتحمس ضيق صدره ومحدودية أفقه ، وعدم قدرته على جمع ما يتصور أنه نقائض بادىء الرأي - إلا أن هذا ما لا يغفر إطلاقاً للطليعي أو القائد ، لأن موقع هذا الشخص الاعتباري يجعله قدوة للآخرين ولأنه أيضاً يستطيع اتخاذ قرار يؤثر على مجاميع من أتباعه .

ومع الأسف فإن ساحتنا الاسلامية لا تخلو من هذه النماذج وهذه الأخلاق ، فبسبب من عدم حراجة صدره ، وضيق تفكيره يقوم مسؤول أو قائد ما بشطب جهة كاملة ، أو تيار أصيل يؤثر في قطامات واسعة من ابناء

---

(١) سفينة البحار ١/٢٦٢

الأمة ، يقوم بذلك لا لشيء ، إلا لأن هذه الجهة أو التيار لا يتبنى طريقة ذلك المسؤول في العمل ، ويتبع قيادة غير قيادته هو !!

وهلمّ احسب الخسائر التي لا يدركها ذلك القائد حين اصداره قرار الشطب والحذف لهذه الجهة ، خصوصاً وهو في عنفوان الحالة الحزبية او الحركية وربما الشخصية التي تتملكه آنئذ وتسيطر عليه .

ولو كان في ساحتنا الاسلامية مقدار اكبر مما هو موجود من سعة الصدر ، القدرة على الاجتماع مع الآخرين لكان وضع الأمة اليوم أفضل بكثير مما هو عليه ، ومما يجعل الوضع مؤسياً ومؤسفاً اكثر هو أن العدو المستعمر رغم ما بينه من فوارق واختلافات إلا ان فئاته لا تتوانى عن ايجاد محاور يجتمعون عليها ، وينسقون فيما بينهم متناسين في غمرة التنسيق كل الخلافات الأخرى التي ربما تكون أساسية ، بينما ـ وهذا مما يؤسف له ـ تجد أن الواحد منا لا يستطيع ان يجد نفسه في ساحة ، يكون معه فيها شريك أو عامل غيره إذ هو (ربكم الاعلى) وهو الأفضل والأحسن ، وهو وحده الذي يسير على خط الاسلام والثورة . ومن عداه ليسوا الا مجموعة من الرجعيين أو في أحسن الفروض عملاء لأمريكا وللصهيونية والعمل لاجتثاث هؤلاء وقلعهم من الوجود الاجتماعي هو اكثر لزوماً والحاحاً من البدء بمواجهة اسرائيل و . . و . . الى آخر قائمة التهم التي ما انزل الله بها من سلطان .

ويفضل هذا الشخص او التيار ضيق الأفق تبقى قطاعات من المجتمع جاهلة باحكام الاسلام الاساسية على أن تعي القضايا التفصيلية الدينية على يد هذا الفريق الذي يخالفه في الخط السياسي أو الرمز القيادي ولذا يحدث أحياناً أن يبدأ من تهديم ما بناه غيره من التيارات الاسلامية قبل أن يبدأ في عمران مناطق جديدة !! ويتزاحم هذا التيار وذاك ، واتباع هذا القائد وذاك على مترين من الأرض ، ويتصارعان فيها صراعاً يفتقد الهدف والورع ، قبل أن يفكرا في الذهاب الى مناطق جديدة ، والسبب أن أحدهما لا يهنأ له نوم ولا يروق له يقظة والطرف الآخر يعمل في هذه المنطقة . . وهذا مع كل

الأسف وضع ساحتنا الاسلامية في كثير من المناطق ، ونسأل الله أن يمن على قادتنا والعاملين بمزيد من سعة الصدر ليتغير الحال إلى أحسن .

اننا لو نظرنا الى اخلاق أهل البيت عليهم السلام في المجتمع لرأينا انهم كانوا في القمة ، وانهم استطاعوا استقطاب جميع فئات المجتمع وما ذاك إلا لسعة افقهم ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله رغم ما عمله أبو سفيان في حق المسلمين ورسالة الاسلام من جرائم . إلا انه عندما أظهر اسلامه قبله الرسول و (جامله) أيضاً بأن جعل داره دار أمن لمن لجأ اليها عندما فتح مكة حاضرة المشركين . ومع انه صلوات الله عليه كان يعلم حال اصحابه وفيهم الكثير من المنحرفين عن النهج السليم ، وفيهم المنافقون كما أشار القرآن من كان يشكك في عدالة رسول الله (ص) وفي نزاهته ، إلا انه بكثير صبره وواسع صدره استطاع أن يدفع عجلة الاسلام الى الامام باستمرار . وسار أبناؤه وخلفاؤه على هدية ونهجه ، فالتاريخ يحدثنا عن مواقف اخلاقية من قبل أهل البيت عليهم السلام ، وتحملهم من مخالفهم ما كان يعجز عن غيرهم حتى لقد باتت كلمة (الله أعلم حيث يجعل رسالته) هي الكلمة المعتادة التي كان ينتهي بها كل فصل من فصول ايذاء الجاهلين للائمة معترفين بفضلهم .

وسعة الصدر تحتاج الى الكثير من الواضع والتخلي عن (ضمير المتكلم) ، وإلى الكثير من تجاوز الحالات النرجسية في الاعجاب الشديد بالذات او الجماعة أو العمل . . أو على الاقل اجتناب الاستخفاف بالآخرين والاستهانة بعملهم ، واجتناب مصادرة اعمالهم بكلمة واحدة . كما يحدث أحياناً إذ يسهل على البعض أن يلغي - او يتصور ذلك - جماعة بكلمة واحدة . . (غير شرعيين) ! إن المتكبر الذي (لا يرى شيئاً من الحق فيما انكره) ولا يرى العلم إلا لديه ، والشرعية الا من عنده ، والخطة الصائبة الا بين يديه ، ويرى كل الموجودات الأخرى غير سلمية وفاقدة المبرر . . هذا الشخص لا يمكن أن يمكن إلا ضيق الصدر محدود الأفق . لننظر الى رسول الله (ص) وهو سيد الاولين والآخرين . والى تواضعه حتى مع مخالفيه حين

يدعوهم الى الله يقول :﴿**قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ [1] وفي الوقت الذي نجد البعض من الناس حين يحفظ بضع كلمات من العلم يشمخ بانفه عالياً يناطح به السحاب ، فيريد الغاء ما سبق ومن سبق نجد الامام الباقر (ع) يتواضع فلا ينسب نفسه الى العلم والعلماء عندما سأله أحد علماء النصارى

ـ منا أم من الأمة المرحومة ؟ فقال الامام : بل من الأمة المرحومة . فقال له النصراني :

ـ من علمائهم أم من جهالهم ؟! فقال الامام : لست من جهالهم . ولم يقل اني من علمائهم .

وسعة الصدر تحتاج أيضاً الى عقل واعٍ يستطيع أن يرى الأمور الجامعة والمشتركة بين الفئات فيقدم بالتركيز عليها ، ويتعاون مع هذه الفئات على أساس تلك المشتركات قبل ان يبحث في مسائل الخلاف ونقاط الافتراق ، فانت تجد منهج أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم على هذا النحو ، فبالرغم من ملاحظات الائمة عليهم السلام على شرعية الحكومات السائدة آنئذ ، إلا أنهم حين يجدون خطراً يهدد الوجود الاسلامي فانهم كانوا ينبعثون لدرء هذا الخطر ، مثال ذلك كلام امير المؤمنين عليه السلام للخليفة الثاني ونصيحته إياه بالامتناع عن الخروج الى قتال الفرس بنفسه والاكتفاء ببعث الجيش ، ومثاله تخطيط الامام الباقر عليه السلام لطريقه سك النقود في عهد عبد الملك بن مروان عندما هدده الروم بأنهم سوف ينقشون عليها شتم رسول الله (ص) ولم يكن لدى الخليفة طريقة للنجاة فانقذهم الامام رغم ما لا يخفى من نظر الائمة بالنسبة لهذه الحكومات .

تحتاج سعة الصدر أيضاً الى الايمان بأن للآخرين فرصة من الحرية السياسية والدينية ، وتبني ما يرونه من الافكار بنفس النسبة التي يملكها

---

(١) سبأ / ٢٤ .

الشخص نفسه ـ خصوصاً المتنفذ والقائد ـ ما لم يمارس الآخرون مخالفات واضحة تخرجهم عن مساحة الحرية المذكورة . وأنه لا يمكن أن يجتمع الناس كلهم على رأي واحد في قضية ، وأن الله سبحانه وتعالى الذي جعل حتى امر الايمان به يخضع لقانون الحرية ، فما أحد يجبر على الايمان إذ ﴿**انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر**﴾ لم يجعل الله لأحد من خلقه اجبار أحد آخر على اتباع منهج ما . . تحتاج سعة الصدر الى هذا المقدار من الايمان ولذلك وجدنا امير المؤمنين عليه السلام لا يهتم كثيراً لأن فرداً من الناس لم تعجبه قيادة أمير المؤمنين فهرب منه أو شتمه ، اذ يحدثنا التاريخ ان رجلاً ممن يرى رأي الخوارج سب أمير المؤمنين ، فقان عدد من الاصحاب اليه يتناولوه ـ كعادة الكثير من الاتباع ـ فأمرهم الامام بالجلوس قائلاً : انما هو سبّ بسب أو عفو عن ذنب . وحين يرفع اليه بعضهم خبراً عن شخص هرب ولم يبايع ، ويستأمرونه في القبض عليه وجلبه مخفوراً ، يقول لهم : لا ما لم يحدث حدثاً . (أي ما لم يدخل في مؤامرة) .

ـ قلة النوم :

يتصور البعض ان هذا الأمر يدخل ضمن الشؤون الشخصية للانسان ، اذ أن كل انسان ينبغي ان ينام حسب حاجته الى النوم ، وهي تختلف من شخص لآخر ، فبينما يكتفي احدهم بخمس ساعات في اليوم ، لا يرتاح آخر الا مع ثمان ساعات او اكثر .

الا ان الصحيح غير ذلك فالجسم يعتاد ما عودته عليه ، فان اعتاد كثرة النوم تعود عليه ، والعكس ، وبالنسبة للرساليين والعاملين في سبيل الله ينبغي ان يتعودوا على قلة النوم لكي يوفروا الباقي لعبادة ربهم وللاجتهاد في اعمالهم ، زيادة ساعة واحدة في النوم تعني ذهاب عمر طويل . . فلو حسب الانسان ساعات نومه في كل حياته (٧٠) سنة مثلا ، البعض يبقى نائما من هذه السبعين لمدة (١٧) سنة تقريبا ان كان ينام (٦) ساعات ، والبعض

ينام من هذه السبعين عاماً اربعين عاماً !! وتصور ضخامة الرقم . . اربعون سنة نوم !!

ولهذا شدد اهل البيت (عليهم السلام) على كوادرهم واتباعهم ، وبمختلف الوسائل والاساليب ، حول ضرورة تقليل فترة النوم ، لأنه يفقر المرء من العمل الصالح يوم يحتاج اليه :

ـ الرسول (صلى الله عليه وآله) :

« اياكم وكثرة النوم فان كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة »[١]

ـ الامام علي (عليه السلام) :

« بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفوت كثير الأجر »[١]

« من كثر في ليله نومه فاته من العمر ما لا يستدركه في يومه »[٢]

« ما انقض النوم العزائم اليوم »[٣]

ـ الصادق (عليه السلام) لعبدالله بن جندب :

« يا بن جندب اقل النوم بالليل والكلام بالنهار فما في الجسد شيء اقل شكرا من العين واللسان فان أم سليمان قالت لسليمان (عليه السلام) : يا بني اياك والنوم فانه يفقرك يوم يحتاج الناس الى اعمالهم »[٤] .

« كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا »[٥]

ـ الكاظم (عليه السلام) :

« ان الله يبغض العبد النوام الفارغ »[٦]

المحاسبة الدقيقة :

مشكلة الانسان في الحياة الاسترسال . ولذلك يبقى كثير من الناس في

(١ ـ ٦) ميزان الحكمة ١٠/ ٢٦٠ .

مواقعهم في الحياة دونما تقدم ، او تغير .

وطبيعة النفس البشرية انها عندما تحس بالمراقبة والمتابعة تعمل أفضل مما لو تركت كما تشاء ، ولذلك عرّف الله الانسان وبين له انه مراقب ، بواسطة الملائكة الكرام الكاتبين وانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ، وأن الله سبحانه وتعالى من وراء هؤلاء (**وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم**) كما في دعاء كميل .

اضافة الى ذلك ، وجه الله سبحانه الانسان ، نفسه ، لكي يكون رقيبا على اعماله ، وشاهدا على افعاله ليختار لها الصالح ، ودعاه ليراقب عمله ، ويفكر في مسيرة حياته باستمرار فرب فكرة غيرت مسيرة ، ورب وقفة محاسبة مع الذات غيرت منهجا في الحياة . . ذاك ما حصل « للحر بن يزيد الرياحي » ، القائد العسكري لطليعة جيش الامويين عندما وقف تلك الوقفة الرائعة ، وبدأ يحاسب نفسه ، مفكرا في عمله ، ومستعرضا عموم مسيرته اهتز كيانه حتى رآه احد المقاتلين فقال له : ما بك يا حر فوالله لو سئلت من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك ، قال : اني اخير نفسي بين الجنة والنار ووالله لا اختار على الجنة شيئا ابدا ، ثم وكز فرسه وجاء الى معسكر الامام الحسين (عليه السلام) وقاتل حتى استشهد .

موقف واحد مع الذات ، ومحاسبة صريحة ، مسحت عار السنين السابقة وغبارها وأدخلت الحر في عالم الخالدين .

وكثير غير الحر فعلوا ذلك . . انهم يقطعون شريط الاسترسال بسكين المحاسبة ، ويعودون لاستعراض مجمل حياتهم ، مما يؤدي بهم الى طرق الفلاح والصلاح .

هذا على صعيد الانسان نفسه ، وعلى صعيد التجمع والحركة العاملة فان المحاسبة الدائمة والمراقبة للعمل تجعل من السهل رصد الاخطاء ، قبل ان يستفحل الداء ، وتجعل الجميع في حالة بحث طبيعي عن الاسلوب

الافضل والطريق الاجود لاداء العمل الرسالي .

ووقاية من الاسترسال ، واتباع الهوى وجّه أهل البيت (عليهم السلام) الى ضرورة المحاسبة للنفس ، بل عدوها من الصفات الاساسية للمؤمن وأنه ليس منهم ولا من اتباعهم ولا يتبع منهجهم من لم يحاسب نفسه كل يوم .

ـ الرسول(صلى الله عليه وآله) :

أكيس الكيّسين مع حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وأحمق الحمقاء من اتبع هواه وتمنى على الله الاماني)[1] .

ـ الرسول(صلى الله عليه وآله) :

« حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر »[2]

ـ الامام علي (عليه السلام) :

« ما احق الانسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل ، يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها »[3]

ـ الامام الكاظم(عليه السلام) :

« ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل خيراً استزاد منه وحمد الله عليه وان عمل شرا استغفر الله منه وتاب اليه » [4]

وللمحاسبة ثمار كثيرة منها أنه ينجو من الفشل في الدنيا ، والعذاب في الآخرة وأنه يستطيع عبرها اصلاح نفسه .

ـ عن الامام علي (عليه السلام) :

« من حاسب نفسه على العيوب وقف على عيوبه واحاط بذنوبه ومن

(١ ـ ٤) ميزان الحكمة ج ٢ .

استقال الذنوب اصلح العيوب »[٥]

ـ عن الامام علي (عليه السلام) :

« ثمرة المحاسبة صلاح النفس »[٦] .

« من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر »[٧]

تنظيم الحياة :

يترادف معنى الثورية لدى البعض مع مفاهيم اللانظام .

وكلما كان المرء اكثر (فوضى) و (مسكنة) فهو اكثر ثورية !! ، حتى لقد اصبح هذا الجانب بدوره ميدانا للتنافس لدى البعض لاظهار مدى ثوريتهم !! واصبح الثوري بهذا المفهوم جسما غريباً غاية الغرابة في المجتمع .

واذا كان التصوف وسيلة البعض لخداع الناس وايهامهم بايمان هؤلاء المتصوفة ، فهم يرتزقون بمظاهر الدين ، فان الثورية بهذا المعنى وسيلة البعض الآخر .

يجهل هؤلاء ان كون الانسان ثوريا يعني بالضرورة أنه يمتلك الصفات الايجابية الموجودة لدى سائر الناس في المجتمع ويتفوق عليهم بصفات اضافية . وهذا اكثر وضوحا في الثوري المؤمن الرسالي ، واذا فقد هذه الصفات فانه لا يعود متسما بهذه السمة . . ان الثوري الرسالي ينبغي ان يكون الافضل في المجتمع ، فكر ثاقب وبصيرة نافذة . ومناقب رائعة ، هذا هو عنوانه .

واذا فقدت هذه الصفات من حياته ، فقد ثوريته ورساليته . . ان أهل البيت (عليهم السلام) يصفون شيعتهم وحواريهم بأنهم المقدمون ، الأفاضل ، والا فليسوا شيعة !! فعن الصادق (عليه السلام) : قال :

(٥ ـ ٧) ميزان الحكمة ج ٦ .

« **ليس من شيعتنا من يكون في مصر يكون فيه آلاف ويكون في المصر اورع منه** »[1]

وعنه (عليه السلام) قال بعد ان اوصى اصحابه بعدد من الوصايا الاخلاقية :

(. . **فان ابي حدثني ان شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم ، ان كان فقيه كان منهم ، وان كان مؤذن كان منهم ، وان كان امام كان منهم ، وان كان صاحب امانة كان منهم ، وان كان صاحب وديعة كان منهم**)[2]

ان أهل البيت (عليهم السلام) وهم ـ دون ادنى شك ـ اكثر من عرفنا في تاريخ الاسلام ثورية ، ورسالية ما كانوا بهذه الصورة ، كانوا قد نظموا حياتهم تنظيما رائعا ، وحاربوا الفوضى في العمل الثوري ، كما حاربوا اللاعتدال في التدين والحياة ، ممثلا في بعض الثوريين الذين كانوا يحملهم السيف ولا يحملونه ويحركهم ولا يحركونه ، وفي الصوفية .

هكذا نظموا حياتهم في مختلف زواياها . . ولذا وجدنا سطحيي النظرة يأتون مستغربين ، مدهوشين : كيف يلبس الامام (عليه السلام) لباساً جديداً وهو في هذه المنزلة ؟! وكيف يعيش حياة « عادية » وهو يقود ثورة ؟!

ووجهوا اصحابهم لأن يسيروا على هذا الطريق ، هذا كما وضعوا اسساً تنظيم الحياة اليومية ، رافضين الفوضى فهناك احاديث كثيرة تبين تقسيم ساعات اليوم حسب المواضيع التي لها اولوية في حياة المؤمن ، خصوصا أن وقت الانسان لا يتسع لجميع حاجاته فعليه ان يهتم بالقضايا الاساسية وأن يوفق بين العمل والراحة كما عن الامام علي (عليه السلام) :

---

(١) ميزان الحكمة ٥/٢٣٦ .

(٢) بحار الانوار ٧١/١٦٢ .

« إن ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك فاقسمها بين عملك وراحتك »[1]

ـ عن الرسول (صلى الله عليه وآله) :

« في صحف ابراهيم : على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له اربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه عز وجل ، وساعة يحاسب فيها نفسه ،وساعة يتفكر فيما صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها بحظه نفسه من الحلال ، فان هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب وترويح لها »[2]

ـ وعن الامام الكاظم (عليه السلام) :

« اجهدوا في ان يكون زمانكم اربع ساعات :

ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم »[3]

وهكذا . .

المعصومون (عليهم السلام) يقومون بتربية عناصرهم وكوادرهم على محاسن الافعال ومكارم الاخلاق ، واننا اذ يضيق بنا المجال هنا نرجع القاريء الكريم الى التدبر في احاديث الائمة (عليهم السلام) في الاجزاء (٦٦) الى (٧٣) من كتاب بحار الانوار للعلامة المجلسي اعلى الله مقامه .

ومسك ختامنا خطبة الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين ، والحواريين الذين يتشرفون باتباعه (عليه السلام) . . فعن نوف البكالي قال : عرضت لي حاجة الى امير المؤمنين(عليه السلام) فاستتبعت اليه

(١ ـ ٣) ميزان الحكمة ٤ / ١٧٠ .

جندب بن زهير والربيع بن خيثم ، وابن أخيه همام بن عبادة بن خثيم فاقبلنا اليه فالفيناه حين خرج يؤم المسجد فافضى ونحن معه الى نفر متدينين قد افاضوا في الاحدوثات تفكهاً وهم يلهي بعضهم بعضاً فاسرعوا اليه فياماً وسلموا عليه فرد التحية ثم قال : من القوم ؟! فقالوا : اناس من شيعتك يا امير المؤمنين ، فقال لهم : خيراً مالي لا ارى فيكم سمة شيعتنا وحلية اوليائنا ؟! فأمسك القوم حياءً فأقبل عليه جندب والربيع فقالا : ما سمة شيعتك يا امير المؤمنين ؟! فسكت .

فقال همام ـ وكان عابداً مجتهداً ـ اسألك بالذي اكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتك ؟ فقال : لا تقسم فسأنبئكم جميعا ووضع يده على منكب همام وقال :

« شيعتنا هم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصوّاب مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التّواضع ، بخعوا الله تعالى بطاعته ، وخضعوا له بعبادته ، فمضوا غاضّين أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم ، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرّخاء ، رضوا عن الله تعالى بالقضاء ، فلولا الاجال الّتي كتب الله تعالى لهم لم تستقر ارواحهم في أبدانهم طرفة عين ، شوقا الى لقاءالله والثواب ، وخوفا من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون ، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذّبون ، صبروا أياماً قليلة ، فأعقبتهم راحة طويلة ، ارادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، اما الليل فصافّون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة ، وتارة يفترشون جباههم وانفسهم وركبهم واطراف اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم ، يمجدون جبّاراً عظيماً ويجأرون اليه في فكاك اعناقهم ، هذا ليلهم ، وأما نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء ، براهم خوف باريهم فهم كالقداح تحسبهم

مرضى وقد خولطوا وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربّهم ، وشدّة سلطانه ما طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ، فاذا اشتاقوا من ذلك بادروا الى الله تعالى بالأعمال الزكّية ، لا يرضون له بالقليل ، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متّهمون ، ومن أعمالهم مشفقون .

يرى لأحدهم قوّة في دين ، وحزماً في لين وايمانا في يقين ، وحرصا على علم ، وفهما في فقه ، وعلماً في حلم ، وكسباً في قصد ، وقصداً في غنى ، وتجمّلا في فاقة ، وصبراً في شدّة ، وخشوعا في عبادة ، ورحمة في مجهود ، وإعطاء في حقّ ورفقا في كسب ، وطلبا في حلال وتعفّفاً في طمع ، وطمعاً في غير طبع ، ونشاطاً في هدى ، واعتصاماً في شهوة ، وبرّاً في استقامة ، لا يغرُّه ما جهله ، ولا يدع احصاء ما عمله ، يستبطيء نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الذّكر ويمسي وهمّه الشّكر ، يبيت حذراً من سنة الغفلة ، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة .

وان استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها ممّا اليه تسرُّ ، رغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى ، قد قرن العلم بالعمل والعمل بالحلم ، ويظلُّ دائما نشاطه ، بعيدا كسله ، قريباً أمله ، قليلا زلله ، محرزاً دينه ، ميّتاً داؤه ، كاظماً غيظه ، آمنا منه جاره ، سهلا أمره ، معدوما كبره ، متينا صبره ، كثيرا ذكره .

لا يعمل شيئا من الخير رياء ، ولا يتركه حياء ، اولئك شيعتنا وأحبتنا ومنّا ومعنا ، آها وشوقاً اليهم »[1].

---

(١) بحار الانوار ٧٥/٧٥ .

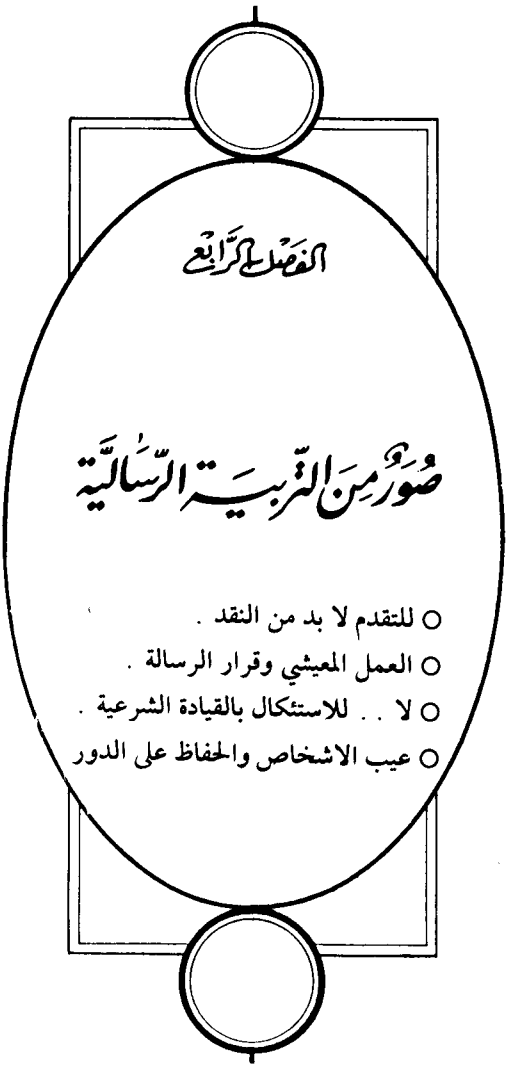

الفصل الرابع

صور من التربية الرسالية

- للتقدم لا بد من النقد .
- العمل المعيشي وقرار الرسالة .
- لا . . للاستئكال بالقيادة الشرعية .
- عيب الاشخاص والحفاظ على الدور

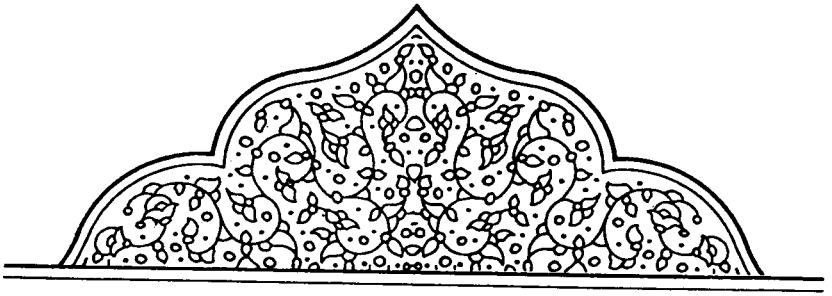

للتقدم لا بد من النقد :

من أوليات التربية الرسالية ملاحظة الاخطاء وملاحقتها ، للقضاء عليها في نفس الفرد .

وكما أن من الخطأ وضع الفرد في دائرة الاتهام ، وقفص المحاكمة دائماً ، وغض النظر عن ايجابياته ، فان نفس الخطأ يتكرر حين يتعامل مع الفرد بثقة زائدة عن الحد ، وحين تحمل أعماله دائماً على الصحة ، فتجعل الموجه بالتالي مغمض العينين تجاه هذا الفرد .

ان هذا رغم أنه يتوافق الى حد مع أحد الأصول الاخلاقية « أحمل عمل اخيك على سبعين محمل » إلا أنه يتخالف مع بعض الأصول الأخرى ، كالنصيحة له ، واهداء عيوبه إليه ، والأمر بالمعروف . . وهكذا . . ولا ينبغي أن يتصور أن ذات الأصول مختلفة ومتناقضة ، اذ كل في مجاله ، وموقعه مطلوب ، والتداخل هو المشكلة .

لا بد من النقد سواء نقد الفرد أو نقد الحركة ككل ، نقد التكتيكات أو نقد الخطة ، لكي يتحقق التقدم .

لا بد من تقييم الافراد ، سواء من قبل الاشخاص أنفسهم ، الذي يتخذ عنوان محاسبة الذات « حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا » ، أو من قبل الاشخاص الآخرين ، والذي يتخذ طابع النصيحة وتحديد الأخطاء والعيوب

الموجودة لدى الفرد « أحب اخواني إلي من أهدى إلي عيوبي » . . والخيار الآخر عن عدم النقد هو المزيد من الاخطاء وتكرار الاخطاء وبالتالي الهزائم .

ورغم ان الموقف الطبيعي الذي يتخذه كثير من الناس ، وحتى العاملين تجاه النقد والعتاب ، عدم القبول به ، وعدم الارتياح للشخص الناقد ، لتصورهم أن النقد اسقاط للشخصية ، واهانة ، بينما هو على العكس تماماً ، واحياناً بسبب الاسلوب غير المناسب أو خلاف التوقع . رغم ذلك إلا أنه لا بد من (تعاطي) النقد في صفوف العاملين ، رغم كل الاشكالات ، لكي يبقى دم العمل صافياً ، والعاملون في حالة تجدد ، وتقدم .

ان العاملين هم ابناء المجتمع ، وقد تربوا فيه لمدة طويلة على اخلاقيات بعضها غير مناسب للعمل ، وهذه الاخلاقيات والصفات ما لم تراقب بدقة وتصحح ، فهي اضافة الى كونها تتكرس في ذات الفرد ، فتؤثر سلبياً على مستوى انتاجه ، تتحول أيضاً الى منهج في التحرك ، إذ أن المرض يعدي ، وبتجمع السلبيات واحدة من هذا ، وأخرى من ذاك ، تتحول الحركة الى وكر للصفات السيئة ، وتجمع كهذا لا يمكن أن ينتصر اطلاقاً .

اننا عند مطالعتنا لنهج البلاغة نجد عدداً غير قليل من الخطب ، خص به الامام أمير المؤمنين جيشه كان في العقاب والتوبيخ .

« واني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبأدائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم » (١) .

« . . . أيها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب ـ الحجارة الصلبة ـ وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في المجالس : كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم : حيدي حياد . . . » (٢) .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٥ .

(٢) نهج البلاغة خطبة ٢٩ .

« أف لكم . . لقد سئمت عتابكم ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؟ وبالذل من العز خلفا ؟ اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة . . » [1] .

وهكذا على صعيد التجمع ، ينتقد الامام (عليه السلام) ظواهر الترهل والكسل ، والاكتفاء بالشعار والإفتخار دون العمل والفاعلية .

وعلى صعيد الأفراد ، كان المعصومون (عليهم السلام) حساسين تجاه الاخطاء ، والسلبيات التي توجد في اصحابهم واتباعهم ، فلم يكونوا يجاملونهم في الحق ، وفي تصحيح اخطائهم ، بل كانوا في غاية الحزم .

هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجه أبا ذر في بداية إسلامه ، وينتقد منه تصرفاً غير لائق ، وقد أخذها أبو ذر درساً إلى الأخير ، إذ أنه جرى بينه وبين بلال كلام ، فغضب أبو ذر وصاح ببلال : يابن السوداء !!

فلما نقل ذلك الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أخبره بخطئه ، قائلاً له إن هذا من صفات الجاهلية ولا يتناسب مع الخلق الاسلامي ، فذهب الى بلال ووضع خده في التراب وأمره أن يدوس عليه برجله اعتذاراً وتواضعاً .

وحين يلاحظ امير المؤمنين (عليه السلام) توجهاً في أحد أصحابه لا يتناسب مع رساليته يكتب إليه رسالة مفصلة عن الموضوع محذراً اياه من الوضوع في شراك الشيطان ، آمراً له بالحذر من اتباع الهوى ، وكان ذلك الرجل عثمان بن حنيف الانصاري واليه على البصرة حين دعي الى وليمة « مترفة » : « . . وما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم عائلهم « فقيرهم » مجفوّ ، وغنيهم مدعو . . » [2] .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٣٤ .

(٢) نهج البلاغة / الرسائل .

كما يرسل عليه السلام رسالة شديدة اللهجة الى عامله على هيت ، وهو كميل بن زياد النخعي احد كوادره المخلصين لأنه عوضاً عن جهاد جيش معاوية الذي كان يشن الغارات ضد الدولة الاسلامية ، فانه كان يغير على اطراف ثغور معاوية كقرقيسيا فيقول الامام (عليه السلام) في تلك الرسالة : « أما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر ، وان تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي ولياناك ، ليس بها من يمنعها ، ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع ـ متفرق ضعيف ـ فقد صرت جسداً لمن اراد الغارة من اعدائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن أهل مصره ولا مجز عن أميره » [1] .

والامام الباقر (عليه السلام) رغم اختصاص زرارة به ، وكونه أحد الكوادر الذين يعتمد عليهم الامام إلا أنه حين أراد أن يتدخل فيما لا يعنيه من قضايا العمل ، بالضغط لتشكيل رأي للامام حول احدى المسائل نهاه الامام عن ذلك بقوة ، ولنترك زرارة يتحدث : وقع بين ابي جعفر وبين ولد الحسن (عليه السلام) كلام فبلغني ذلك فدخلت على ابي جعفر (عليه السلام) فذهبت اتكلم . . فقال لي : مه !! (أي كفّ) لا تدخل فيما بيننا فانما مثلنا ومثل بين عمنا كمثل رجل كان في بني اسرائيل كانت له إبنتان فزوج احداهما من رجل زراع ، والاخرى من رجل فخار ، ثم زارهما فبدأ بامرأة الزراع فقال لها : كيف حالكم ؟! فقالت : قد زرع زوجي زرعاً كثيراً فان ارسل الله السماء فنحن احسن بني اسرائيل حالاً ثم مضى الى امرأة الفخار فقال لها : كيف حالكم ؟ فقالت : قد عمل زوجي فخاراً كثيراً فان أمسك الله السماء فنحن احسن بني اسرائيل حالاً . . فانصرف وهو يقول اللهم انت لهما . . وكذلك نحن .

والامام الصادق (عليه السلام) يوجه النقد الذي يصل أحياناً الى

---

(١) نهج البلاغة رسالة رقم (٦١) .

توبيخ اصحابه في مختلف المواقع مع المعلى بن خنيس : يوجهه الى ضرورة الكتمان ، والالتزام بقواعد السرية ، لأن عدم الالتزام بذلك ينتهي الى نهاية الشخص واحياناً نهاية العمل :

« يا معلىٰ : لا تكونوا اسراء في ايدي الناس بحديثنا (اي باشاعة اسرارنا) ان شاؤوا منّوا عليكم ، وان شاؤوا قتلوكم ، يا معلىٰ انه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين يديه وزوده القوة في الناس ، ومن اذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح أو يموت بخبل يا معلىٰ أنت مقتول فاستعد » .

وحين يخالف المعلى ـ ربما لحماسه أو عدم حيطته ـ أمر الامام ، يقتل بيد العباسيين فعن حفص التمار قال : دخلت على ابي عبد الله أيام طلب المعلى بن خنيس فقال لي : يا حفص اني أمرت المعلى فخالفني فابتلي بالحديد [1] .

مع مؤمن الطاق : محمد بن النعمان ، عندما ناقش أحد الخوارج ، وكان مؤمن الطاق جدلاً ، قوي الحجة فانتصر على الخارجي ، وعندها اعجب بنفسه ، فوجهه الامام الصادق (عليه السلام) الى خطئه ، فعن ابي مالك الاحمسي قال : كان رجل من الشراة يقدم المدينة ، فأتى ذات يوم وقال للامام : وردت أني رأيت رجلاً من اصحابك اكلمه ، فقال الامام لمؤمن الطاق : كلمة يا محمد . فكلمه فقطعه سائلاً ومجيباً ، فقال الخارجي لابي عبد الله : ما ظننت أن في أصحابك أحداً يحسن هكذا ، فقال ابو عبد الله أن في أصحابي من هو اكثر من هذا ، قال الرواي : فاعجبت مؤمن الطاق نفسه فقال : يا سيدي سررتك ؟! قال : والله لقد سررتني ، والله لقد قطعته والله لقد حصرته ، والله ما قلت من الحق حرفاً واحداً . قال : وكيف ؟ فقال عليه السلام : لانك تتكلم على القياس والقياس ليس من ديني [2] .

---

(١) رجال الكشي ٢/٦٧٦ .

(٢) رجال الكشي ٢/٤٢٩ .

مع بريد العجلي : قال كنت انا وابو الصباح الكناني عند ابي عبد الله (عليه السلام) فقال : كان اصحاب ابي والله خيراً منكم ، كان اصحاب ابي ورقاً لا شوك فيه وانتم اليوم شوك لا ورق فيه . فقال ابو الصباح الكناني : جعلت فداك فنحن اصحاب ابيك .

فقال (عليه السلام) : كنتم يومئذ خيراً منكم اليوم [1] .

والامام الرضا (عليه السلام) يكلف أحد اصحابه بمعاتبة فرد آخر ومحاسبته على بعض اعماله كما يوجهه الى ضرورة قبول العتاب والنقد ، وعدم رفضه أو تبريره .

فقد قال (عليه السلام) لبعض مواليه : عاتب فلاناً وقل له : ان الله اذا اراد بعبد خيراً اذا عوتب قبل [2] .

هذا كله مع خلص أصحابهم ، وخيرة كوادرهم .

والامام الحسن العسكري (عليه السلام) عندما يرسل لأصحابه رسالة توجيهية ، ينتقد فيها بعض تصرفاتهم ، ويبين أنهم كانوا غير محمودين بهذه التصرفات ، فيقول في رسالة الى اسحاق بن اسماعيل النيسابوري : « . . ولقد كانت منكم امور في أيام الماضي عليه السلام (أي الهادي) الى أن مضى لسبيله ، صلى الله على روحه ، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق . . » [3] .

العمل المعيشي وقرار الرسالة :

بمقدار انتماء الفرد الى الرسالة تكون تضحيته بقضاياه الشخصية، فتتداخل المعادلة الشخصية مع المعادلة الرسالية التي تكون حاكمة عليها ومهيمنة ، وكلما

(١) رجال الكشي ٢/٦٣٩ .
(٢) تحف العقول ٣٥٦ .
(٣) رجال الكشي٢/٨٤٤ .

ارتقى في انتمائه تهيمن المعادلة الرسالية حتى تصل الى وقت تلغى فيه المعادلة الشخصية ، وتصبح كل حركاته وأعماله في قناة الرسالة ولخدمة الاسلام .

إن هذا في الأساس يعتمد على نمط تقبل الفرد للعمل في سبيل الله ، فالبعض الذي يرى أن المسألة أن يمارس حياته الاعتيادية كيفما شاء واذا حصل على وقت إضافي فانه يقوم بعمل إسلامي ، لا يهمه اطلاقاً أن يكيف حياته ، وأن يختار عمله بشكل يستطيع من خلاله خدمة العمل الرسالي .

غير أن الصورة ليست كلها هنا ، قسم آخر من الصورة يحتله فئة من الرجال المؤمنين الذين وضعوا عملهم الجهادي في رأس قائمة الأولويات ، ولا يهم بعد ذلك كيف تكون حياتهم ، إن الذي يشكلها هو القرار . . وهو مصلحة العمل . .

هؤلاء الذين ألغوا المعادلة الشخصية ، واستبدلوها بالمعادلة الرسالية .

هؤلاء الذين مشوا على درب الصالحين فما أخذوا من الدنيا الا لدينهم ، وحديثنا هذا معهم .

لماذا يرتبط العمل بالقرار ؟

هناك عدد من الأسباب تجعل من الضروري ارتباط عمل الأفراد المنتمين للرسالة بقرار القيادة :

١ ـ تداخل العمل المعيشي مع الواجب الرسالي الذي كلف به هذا المؤمن ، إذ أن واجبه يقتضي منه الذهاب الى منطقة اخرى ليبلغ فيها رسالة الله ، وقد يكون أداء هذا الواجب متعذراً بغيره ، لأنه يمتلك كفاءات ليست لدى غيره ، وهنا لا يمكن الغاء المسؤولية والواجب الرسالي لأنه يتعارض مع عمل هذا المؤمن كصاحب عمل دنيوي (بقالة مثلاً ، أو كمدرس) ان العمل المرتبط بالرسالة يقدم ، وعلى المؤمن اذا كان انتماؤه حقيقياً أن يرتب حياته وفقاً لما يقتضيه دوره في خدمة المجتمع واعلاء كلمة الله سبحانه .

٢ ـ ضرورة تكامل هذا العمل مع سائر الاعمال الأخرى التي تتم حسب خطة التحرك ، وهذا يجعل عمل الفرد ـ حتى الدنيوي ـ أحد الأرقام الفاعلة في معادلة القيادة .

فالقيادة الرسالية حينما تضع خطتها وتتخذ قرارها ، تستطيع أن تعتمد على العاملين ، الذين يشغلون مواقع جيدة في المجتمع ، مثلاً : تستطيع ان توجه عدداً من الأفراد للدخول في الجيش ، وبالتالي معرفة مداخله ومخارجه ، واستقطاب العناصر المعادية للنظام اضافة الى الحصول على خبرة في هذا المجال ، وتوجه عدداً آخر للدخول في الساحة الاجتماعية ، والبروز في أدوار اجتماعية بحيث يصبحون (مفاتيح المجتمع) ، ويستطيعون من خلال ذلك تحريك الطاقات ، والتأثير في التجمعات المختلفة للاستفادة منها في الوقت المناسب ، وتوجه مجموعة ثالثة للدخول في الوظائف الرسمية العالية ، ورابعة تتفرغ للعمل الرسالي دون أن تتخذ عملاً غيره . . وهكذا . .

ان هذه المجموعات ان تمت عبر تخطيط ، فانها تؤتي ثمارها حين يحين الحصاد ، بينما هذه الأعمال ذاتها حين تتم عفوياً ، لا يمكن الإستفادة منها بالشكل المطلوب .

٣ ـ جهل الأفراد بالاولويات : احياناً يجتهد العاملون في تحديد العمل الأفضل المطلوب رسالياً ، ويجيبون على ذلك دون أن يكلفوا أنفسهم الرجوع الى أولي الأمر فالبعض ينتهي إلى أن الدراسات العليا في العلوم التطبيقية هي الأفضل لأن الدولة الاسلامية القادمة تحتاج الى كفاءات (مهندسين ، اطباء ، الخ) ، وبالتالي فان عليهم أن يدرسوا الآن هذه الدروس ويتعمقوا فيها تحقيقاً لهذا الهدف !

والبعض يرى أن من الأفضل اليوم الانشغال بالدراسات النظرية لأن الثورة تحتاج الى تنظير وإلى ثقافة عميقة ، وهذا يتطلب صب الجهد على المجال النظري لكي تكون افكار الثورة بدرجة جيدة من العمق !

وآخرون يرون غير هذين الرأيين ، وهكذا . . بل قد تدخل في المسألة الرغبات الشخصية التي تؤطر بإطار رسالي وثوري ، فلأن هذا الشخص يحب أن يتخصص في الفيزياء ، لذلك يورد الدليل تلو الحجة مبرهناً على العلاقة الجدلية بين التخصص في الفيزياء وبين انتصار الثورة . . وهكذا يفصّل كل واحد الثوب الذي يريد لبسه .

ان القضية الأساسية هي : من يحدد الأفضل والانسب للعمل ؟! الأفراد لا يستطيعون إلا أن ينظروا من زاوية اطلاعهم وهي زاوية محدودة ، ان الذي يستطيع ذلك هو القيادة التي تستطيع النظر الشمولي الى كافة الأبعاد ، وتتخذ القرارات المناسبة في هذا المجال ، والقرآن الكريم يأمر المؤمنين برد المسائل التي لا يستطيعون ادراك ابعادها ، الى الله سبحانه والى رسوله ، والى أولي الأمر ، القادة الشرعيين :

﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الله والى الرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ .

وقد وجدنا المعصومين (عليهم السلام) يوجهون اتباعهم واصحابهم ، وبالذات الكوادر ، كل الى ما يصلح له ، وما يستطيع بواسطته خدمة الرسالة ، وعندها عليه ان يرتب حياته وامواره بالشكل الانسب وفقاً لهذه المسؤولية المنوطة به .

فالصادق (عليه السلام) وجّه بعض أصحابه الى التجارة ، والسوق . بل كان يعاتبهم عن التأخر عن الكسب ، ومن الواضح ان هذا كان يضمن الرسالي من الناحية المالية واحياناً العمل ، مما يعبر عنه الامام عليه السلام بعز المؤمن :

فعن المعلى بن خنيس قال : رآني ابو عبد الله (عليه السلام) وقد تأخرت عن السوق فقال : اغد الى عزك . [1]

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٣ .

ويقول عليه السلام أيضا لأحد صحابته : « يا عبد الله احفظ عزك . فقال : وما عزي جعلت فداك ، قال : غدوك الى سوقك واكرامك نفسك » . (١)

وهكذا الامام الكاظم (عليه السلام) يقول لمصادف : « اغد الى عزك أعني السوق » . (٢)

بينما يوجهون أفرادا آخرين للدخول في الحكومة القائمة ، وخدمة الرسالة من خلال عملهم هذا كما تبين في موضوع (شروط الدخول في الحكومات القائمة) . بينما يمنعون افرادا غيرهم من الدخول في هذا العمل ، رغم انه يدر عليهم المال وهم في حاجة اليه كما منع الامام الكاظم(عليه السلام) صفوان الجمال من تأخير جماله لهارون الرشيد واصحابه . واحيانا يفرغون بعض اصحابهم للتوجيه الفكري والعقائدي ، والفتيا في مسائل الدين كما أمر الصادق(عليه السلام) أبان بن تغلب حيث قال له : جالس أهل المدينة فاني احب ان يروا في شيعتي مثلك . .

بعد هذا الاستعراض السريع ، نجد أن من الضروري أن ينسجم العمل المعيشي مع العمل الرسالي ، ويتكيف معه لأن الأخير حاكم عليه ، ومهيمن ، واذا تعارضا قدم الأخير ، ويصدق هذا مع الافراد كل حسب انتمائه للرسالة ، واستعداده للتضحية من أجلها . ورغم أن هذا الأمر مطلوب من جميع العاملين في سبيل الله الا ان الفرد كلما كان اكثر وعياً ، واكثر انتماءا فهو مطالب اكثر من غيره .

لا . . للاستئكال بالقيادة الشرعية :

يتوفر لبعض الافراد ، بحكم طبيعة العمل أو الظروف ، فرصة الاتصال بالقيادة والصالحون منهم يستفيدون في تكميل أنفسهم باستمرار ،

(١ ـ ٢) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٥ .

ومعالجة النواقص عبر تعرضهم لمزيد من التوجيهات والنصائح التربوية ، كما فعل أصحاب المعصومين (عليهم السلام) فعوضاً عن الافتخار والتباهي بصحبة الرسول (صلى الله عليه وآله) نجد أبا ذر رضوان الله عليه يلتمس من الرسول وصية نافعة ، تفيده في دنياه وأخراه ، وهكذا كميل وجابر ، و . . و . .

الا أن البعض لا يتركهم الشيطان ، وهم لا يتركون الاستسلام له ، عوض ذلك يتخذون هذه العلاقة ، وهذا القرب وسيلة لتحقيق بعض النجاحات الدنيوية ، للحصول على احترام السذج والبسطاء الذين يخدعون بهكذا مظاهر ، للحصول على وجاهة اجتماعية بين الناس ، والى آخر القائمة من الاهداف الدنيوية التافهة .

هذا النوع يشوه العمل ، ويضر بالقائد ، واحيانا يفقد الجمهور الثقة في الافكار التي يدعي حملها . ولهؤلاء طرق كثيرة في تحقيق اهدافهم :

محاولة الظهور مع القيادة ، سواء الظهور الشخصي ، او عبر الصور أو ما شابه ، ذلك أن هذا الظهور يجعل عوام الناس يربطون الفرد بالقائد ، ويتصورون كل عمل يقدم عليه هذا الفرد انما هو بأمر القيادة ، واذا كان هذا الفرد فاقدا لكل معاني التقوى فانه يقدم على الكذب ، والافتراء بأنه مرسل من قبل القائد بهذه الأعمال التي قد يراها الناس مخالفة للتوجه السليم الذي يعهدونه عن القائد ، فاما أن يشككوا في الفرد واما ان يشككوا في القيادة ، وفي كلا التقديرين فالنتائج غير مفيدة ، ففي حالة تشكيكهم في الفرد واكتشافهم كذبه وزيفه ، تزول الثقة المفترضة بين الأمة وبين نواب القيادة باعتبار ان ذلك الفرد بكذبه قد كسر سياج الثقة . . وربما لهذا السبب وجدنا اللعن الشديد الذي اولاه الائمة (عليهم السلام) لبعض الكذابين من اصحابهم الذي حاولوا استغلال علاقتهم السابقة مع الائمة (عليهم السلام) لا دعاء النيابة عنهم والوكالة كما سيتبين في صفحات قادمة .

وما ان يشككوا في القيادة التي - بنظرهم - ترسل اليهم هكذا أفراد غير صادقين و مصلحيين. وهذا أسوأ .

من وسائلهم أيضا التطرف في الدفاع عن القيادة ، ومدحها بالباطل أحيانا لكسب الأنصار ليس الى القيادة ، وانما للذات في الواقع ، ذلك انه يجعل القيادة وسطا للوصول الى نتيجة ذاته والتفاف الناس حوله .

يصبح هؤلاء (ملكيين اكثر من الملك) فتراهم يطعنون في كل خلق الله ، ويلعنون عباد الله ، ويتظاهرون عليهم بالأثم والعدوان ، ويجانبون في حديثهم كل القواعد الشرعية والاخلاقية ، مع أن هذا لا يرضي الله ، ولا يرضي القيادة الشرعية .

يشتم الواحد منهم الأخيار ، ويشوه سمعة الأبرار ، ويساعد السلطة الظالمة بعمله هذا بشكل مباشر او غير مباشر ، (واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالأثم) ، اذا قيل له اترك الغيبة فانها ادام أهل النار ، ودع اعراض الناس ، ودع هتك المؤمنين اجابك على الفور : أنه واجبي الشرعي !!

انه المصلحة الشخصية ، والاهواء الذاتية لا الواجب الشرعي ، ترك واجبات الأمر بالمعروف ، ونهي الطاغوت عن المنكر ، وترك البراءة من أعداء الله ، واصطنع له واجبات شرعية في هتك هذا ، وشتم ذاك .

انها التقوى حين ترحل عن القلب تجعله مظلما تائها يخبط خبط عشواء ، ويتردى في بئر الضلالات . أنه التورع حين يفقده المرء يفقد كل الضوابط الأخلاقية فيغدو كالوحش الكاسر بل اسوأ ، اذ الوحش لا يعتدي على بني نوعه ، ولا يفترس الا اذا كان جائعا ، بينما يعتدي هذا وليس محتاجا .

من وسائلهم تغيير المواقف لتثبيت المصالح . . بعضهم يغير موقفه بزاوية منعكسة فبينما كان الى الأمس القريب يلعن ويشتم هذا القائد ، ولا يبقي شيئا من غسيله الوسخ الا ونشره على الملأ ، متعللا بالواجب الشرعي

والوظيفة الدينية ، اذا به بعد أن يجد ميزان القوة قد تغير ، فيغير موقفه ، ويا ليته يهتدي هذه المرة ويقلع عن وظائفه الشرعية (!) في غيبة المؤمنين !! كلا . . انه يغير الموجة بسرعة وبقوة وبحدة ويقوم بشتم القائد السابق ، ويستحل غيبته وهتكه ، بل يجعل ذلك جزءاً من أعماله اليومية ، داعياً الى القائد الجديد باعتبار ذلك وظيفة شرعية !!

ومن يدري ؟! عندما يتغير ميزان القوة ، ويميل الى غير هذا القائد ماذا يصنع ؟!

وبقدر ما نجد هذا الاستئكال بالدين ، وبالعلاقة مع القيادات المخلصة اليوم موجوداً ، فان كان في عهد المعصومين كذلك ، ولكم عانى أهل البيت (عليهم السلام) من هؤلاء ، ربما أكثر مما عانوه من اعدائهم ، اذ أن هؤلاء المستاكين كالضرس المريض ان لم تقلعه نغّص عليك العيش .

ولذا رأينا المعصومين (عليهم السلام) يواجهون هذه النماذج ، هؤلاء المرضى بحسم ، بعضهم قبل أن يبلغ المرض مبلغه فيه ، يحذرونه من الوقوع في هذه الشراك التي ينصبها الشيطان ويزين المؤمن الوقوع فيها .

انظر الى امير المؤمنين (عليه السلام) كيف يعلم صعصعة ، وينبه الى خطأ الاستئكال والافتخار بقربه من الامام على سائر اخوانه ، فقد عاد امير المؤمنين (عليه السلام) صعصعة بن صوحان العبدي رضوان الله عليه في مرضه ، وعندما اراد الخروج من عنده قال له ـ بالرغم من صلاح صعصعة ـ :

« يا صعصعة لا تجعل عيادتي اياك فخرا على قومك ، وتواضع لله يرفعك الله » فهو يحذره من مجرد الافتخار على الآخرين بزيارة أمير المؤمنين .

وزين العابدين عليه السلام مع القاسم بن عوف ، وقد لقي الامام ، وكان يريد الذهاب الى العراق حيث جمهور الامام (عليه السلام) . . انظر عزيزي القارىء الى هذه الوصية وتأمل فيها :

« . . **يا هذا اياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم أنا استودعناك علما فانا**

والله ما فعلنا ذلك واياك أن تتريس بنا فيضعك الله .

واياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً ، واعلم أنك ان تكن ذنبا في الخير لك من أن تكون رأسا في الشر . . »[1]

انظر الى دقة الامام عليه السلام في معالجة المشكلة وآثارها ، فهو يطرح أن الهدف الأساسي من حديث البعض عن علاقتهم مع القيادة الشرعية طلب الرئاسة والوجاهة في المجتمع ، وهذا هو الاستئكال ، والارتزاق بالدين وبالقيادة ، ثم يبين مسألة أخرى طموح الفرد في قيادة المجتمع والترؤس ، فيقول ان من الخير للمرء أن يكون فرداً مغموراً في الخير ، خير من أن يكون رأس حربة في صراع الشر ، وحرب الاهواء .

من أهداف هؤلاء الاستفادة من علاقتهم مع القيادة لاضفاء الشرعية على اعمالهم الخاطئة ، والحصول على اذن القيادة الشرعية لتمشية أمورهم الفاسدة . . غير أن المعصومين (عليهم السلام) وهم القيادة الرشيدة الواعية يفوتون على هؤلاء الفرصة ، انظر الى موقف الامام الجواد من صالح بن محمد الهمداني : (يقول الراوي : كنت عند ابي جعفر الثاني (الجواد) (عليه السلام) اذ دخل اليه صالح بن محمد بن سهل الهمداني وكان يتولى له فقال له : جعلت فداك اجعلني من عشرة آلاف درهم في حل فاني انفقتها فقال له : ابو جعفر : أنت في حل .

فلما خرج صالح من عنده قال ابو جعفر (عليه السلام) : احدهم يثب على مال آل محمد صلى الله عليه وآله وفقرائهم ومساكينهم وابناء سبيلهم فيأخذه ثم يقول اجعلني في حل . أتراه ظن بي أني أقول له لا افعل ؟ والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالا حثيثا)[2] .

ان هذا يعلم انه قد استولى على مال الله والخمس الشرعي ولكنه يحاول

---

(١) رجال الكشي ١ / ٣٣٩ .

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي / ٢٢٧ .

أن يجعلها شرعية !! ويحاول الاستفادة من بعض الظروف ، فيحرج الامام ، غير ان الامام يبين المنهج الصحيح ، وأن الاستئكال بالعلاقة مع القيادة لا يجدي نفعا حين يسأل الله الناس عن الحبة والدانق .

ولتحقيق أهدافهم الخاصة يقومون بتفسير الدين واقوال القيادة الشرعية حسبما يلائم أمزجتهم ، فيصنعون ـ كما قلنا ـ لهم واجبات شرعية ، ويعطون لأقوال القيادة خطاً يخدم اعمالهم السيئة ، وعن هذا أيضاً حذر الائمة (عليهم السلام) فيقول الامام الصادق (عليه السلام) :

« قوم يزعمون أني امامهم ، والله ما انا لهم بامام ، لعنهم الله كلما سترت ستراً هتكوه اقول : كذا وكذا ، فيقولون انما يعني كذا وكذا ، انما انا امام من اطاعني »[1]

وأيضا لتحقيق اهدافهم فهم متطرفون في التأييد ، متوسلون بالباطل في ذلك ، يصعدون بالقيادة الى فوق مستوى البشر ، ويعطونها اكثر مما تستحق ، وقد ابتلى الأئمة (عليهم السلام) بعدد كبير من الكذابين ، والغلاة الذين استغلوا فترة صحبتهم القصيرة للائمة فبدؤوا يخدعون الناس باقاويل ما انزل الله بها من سلطان . [2]

أمام هذا المرض الخطير الاستئكال بالتشيع ، والاستئكال بالقيادة الشرعية لتحقيق المصالح الشخصية وقف الائمة (عليهم السلام) بعنف لمحاربته .

عيب الأشخاص والحفاظ على الدور :

تمر الحركة العاملة في ظروف قاسية ، تقتضي منها أن تضحي لكي تستمر ، وقد يكون من التضحية البراءة من بعض الاشخاص أو المؤسسات حفاظا على هذه المؤسسات أو على الاشخاص .

---

(١) ميزان الحكمة ٥/٢٣٦ .

(٢) راجع (الكاذبون على الأئمة) في رجال الكشي ج ٢ .

وهنا يتعرض المؤمن الذي يُعاب الى امتحان عسير اذ أنه يبدأ أولا بالتشكيك في نفسه وفي ايمانه : لماذا عابتني القيادة ؟! ولماذا تبرأ مني اخوة العمل ؟!

ثم يشكك في كل التحرك ، اذ أنه لا يرى لهذا الاجراء دليلا ، او مبرراً !!

ثم يواجه المجتمع ، وهو ينظر اليه نظرة تختلف عن السابق ، وربما يبتعد عنه بعض الناس من جراء ذلك .

وهذه الامور كما هي صادقة في الاشخاص ، تصدق كذلك في المؤسسات والجماعات .

وهنا يحتاج الرساليون في تربيتهم الى عدد من الصفات التي تجعلهم يواجهون هذه المشاكل بروح قوية ، ونفس صامدة ، ويحولون هذه الظروف الاستثنائية الى دافع لهم لزيادة العمل والنشاط .

من أوجه هذه المشكلة أن ينتشر بين العاملين ـ لسبب او لآخر ـ نظرة سيئة عن احد الافراد ، فيشيع بين اعضاء التجمع سلبياته ومشاكله ، وعندها ينكفىء البعض على انفسهم طاوين الليل بالحسرات والهموم والنهار بالتفكير المتشائم ، بينما يقدم لنا أهل البيت (عليهم السلام) الموقف المطلوب في هذه المواقع الذي يتلخص في فهم الانسان المؤمن لنفسه ، وتقديره لصلاحه عبر عرض اعماله على القيم الاسلامية والقرآن الكريم وتقدير مدى عمله وحركته ومدى التزامه بخطه الرسالي .

الامام الباقر(عليه السلام) يوصي جابر الجعفي بوصية ستنفعه في المستقبل ، لأنه تظاهر بالجنون ودارت أحاديث بين الشيعة في عهد الصادق(عليه السلام) توهن قدره ، محدداً له الموقف الذي ينبغي أن يتخذه :

« . . واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا : انك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكا سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر فانه لا يضرك ما قيل فيك . . »

والكاظم (عليه السلام) يقول لهشام بن الحكم وقد تعرض أيضاً الى حملة تشكيك فيه حيث قيل انه من المجسمة ، وغير ذلك مما لقي :

« يا هشام : لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وانت تعلم أنها جوزة ، ولو كانت في يدك لؤلؤة وقال الناس : انها جوزة ما ضرك وانت تعلم انها لؤلؤة . . »[1]

وكذلك الحال بالنسبة للرضا (عليه السلام) مع يونس بن عبد الرحمن الذي حصل له ما يحصل عادة للعاملين والمجاهدين من حملات دعائية مضادة واحيانا افتراءات .

يقول جعفر بن عيسى :

« كنا عند الحسن الرضا (عليه السلام) وعنده يونس بن عبد الرحمن اذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومى ابو الحسن (عليه السلام) الى يونس : ادخل البيت ، فاذا ببيت اسبل عليه ستر واياك أن تتحرك حتى يؤذن لك . فدخل البصريون واكثروا من الوقيعة والقول في يونس وابو الحسن مطرق ، حتى لما اكثروا وقاموا فودعوا وخرجوا ، فأذن ليونس ، فخرج باكياً فقال : جعلني الله فداك اني أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند اصحابي ؟!

فقال له ابو الحسن (عليه السلام) يا يونس وما عليك مما يقولون اذا

---

(١) تحف العقول/٢٠٦ .

كان امامك عنك راضيا ، يا يونس حدث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون ، كانك تريد أن تكذب على الله في عرشه .

يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة فقال الناس درة ، هل كان ينفعك ذلك شيئا ؟ فقلت : لا .

فقال : هكذا انت يا يونس اذ كنت على الصواب وكان امامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس »[1]

وهذه المشكلة وهي تشكيك العاملين في بعضهم تهون لأن المرجع وهو القيادة الشرعية موجودة ، لذلك يمكن استعلام الرأي ، غير أن قاصمة الظهر اذا تطلبت الاوضاع أن يعيب القائد أحد أصحابه ، ويطلق التصريحات التي توهن قدره في نظر الناس ، هنا المشكلة الحقيقية ، اذ من الصعب تصحيح النظرة التي تتكون لدى الجمهور خصوصا السلبية منها .

ولهذا فحين نواجه مسألة من هذا النوع ينبغي التريث قبل اصدار الحكم النهائي ، والنظر في ابعادها المختلفة ، والا وقعنا في نظرة احادية البعد ناقصة ، واعتقد أن هذا هو الذي وقع فيه البعض حين نظروا الى الاحاديث القادحة في اصحاب الائمة فاعتمدوها ، دون التفكير في ظروفها التي قيلت فيها ، والاهداف التي توخاها الامام حين تحدث بهذا الحديث .

ان بعضهم يتخذ موقفاً سلبياً تجاه زرارة بن أعين ، بسبب ورود أحاديث عن الامام الصادق تتضمن ذمة بل لعنه . [2] ولو نظروا الى بقية الاحاديث والى الهدف الذي من أجله صدر الذم بحق هذا الصحابي الجليل ، ذلك الهدف الذي صرح به الامام (عليه السلام) لتغير الموقف ، ولنقرأ معاً هذا الحديث الذي يبين لنا لماذا ذم الامام زرارة :

---

(١) رجال الكشي ٢/٧٨١ .

(٢) نفس المصدر ١/٣٦١ .

عن عبد الله بن زرارة قال :

« قال لي ابو عبد الله (عليه السلام) اقرأ مني على والدك السلام . وقل له : اني انما اعيبك دفاعاً مني عنك فان الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى فيمن نحبه ونقربه ، ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون منا ويرون ادخال الاذى عليه وقتله ، ويحمدون كل من عبناه وان نحمد أمره .

فانما اعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ولميلك الينا وانت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الاثر لمودتك لنا ولميلك الينا فأحببت أن اعيبك ليحمدوا امرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك يقول الله عز وجل ﴿اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ .

هذا التنزيل من عند الله صالحة ، لا والله ما عابها الا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس منها للعيب مساغ والحمد لله .

فافهم المثل يرحمك الله فانك والله احب الناس الي واحب اصحاب ابي عليه السلام حياً وميتاً فانك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وان من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يراقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها واهلها » [1]

ثم يبين له ان ذلك انما هو خطة وان كانت تختلف عن واجبات بعض الاصحاب الآخرين :

« فلا يضيقن صدرك من الذي امرك ابي عليه السلام وامرتك به واتاك ابو بصير بخلاف الذي امرناك به ، فلا والله ما امرناك ولا أمرناه الا بأمر

(١) رجال الكشي ١/ ٣٤٩ .

وسعنا ووسعكم الأخذ به .

ولكل ذلك تصاريف ومعان توافق الحق ولو أذن لكم لعلمتم ان الحق في الذي امرناكم به فردوا الينا الأمر وسلموا لنا واصبروا لاحكامنا وارضوا بها والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه ، وهو اعرف بمصلحة غنمه في فساد امرها فان شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها لتأمن من فسادها وخوف عدوها في آثار ما يأذن الله ويأتيها بالأمن من مأمنه من عنده »[1]

(١) نفس المصدر ١/ ٣٥٠ .

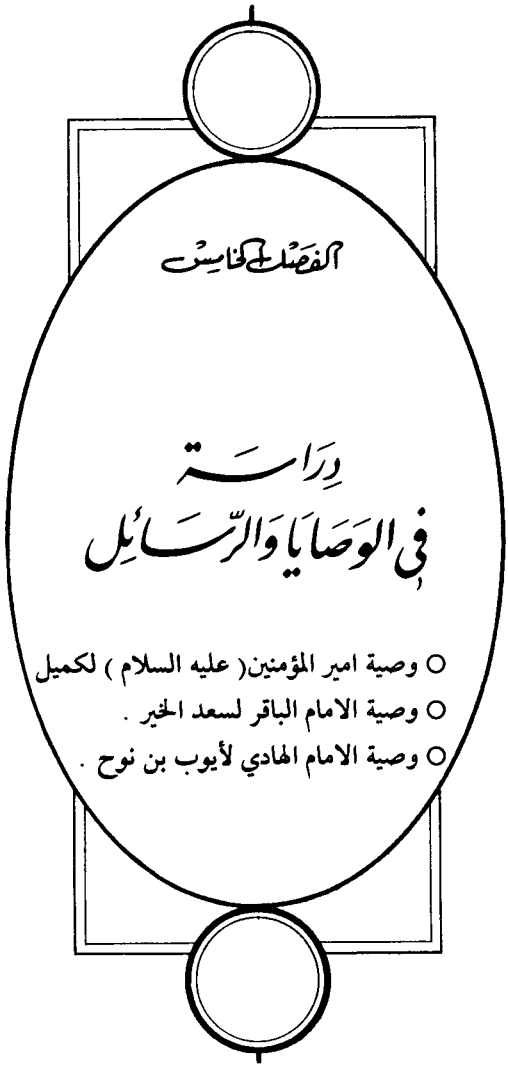

الفصل الخامس

دراسة
في الوصايا والرسائل

- وصية امير المؤمنين(عليه السلام) لكميل
- وصية الامام الباقر لسعد الخير .
- وصية الامام الهادي لأيوب بن نوح .

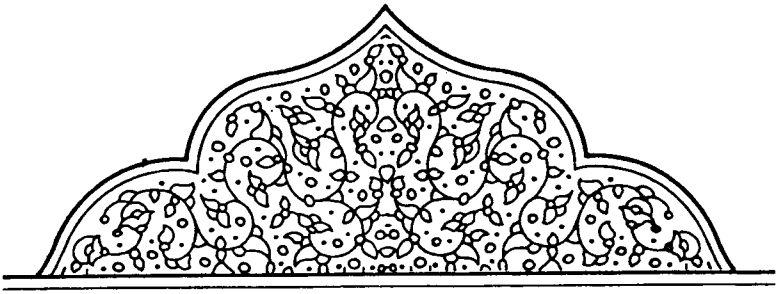

للتعرف على منهج المعصومين عليهم السلام في تربية حواريهم لا بد من دراسة وصاياهم . اذ أن هذه الوصايا خلاصة الأفكار الاساسية التي يحتاجها الكادر سواء بشكل عام أو لمرحلته الخاصة ، اضافة الى كونها المصداق الواضح لاسلوب التربية الرسالية .

وقد نواجه هذا الاشكال اثناء دراسة هذه الوصايا : اننا حين ننظر الى هذه الاحاديث للوهلة الاولى نجدها ليست سوى احاديث اخلاقية ووصايا اعتيادية . . فما هي اذن ميزتها الخاصة ، ولماذا ندرسها دون احاديث الائمة (عليهم السلام) الأخرى ؟! ثم من يقول ان المعصوم (عليه السلام) كان يقصد من ورائها شيئا خاصا هو ما نحاول استنتاجه ؟!

وفي الواقع ان خصوصية هذه الوصايا الآن يبدو غير موجود ، فاذا كانت قد قيلت لشخص واحد في ذلك الوقت فانها اليوم في متناول الجميع ، ثم اننا لا نحس احساسا كبيرا بنفس هذه الوصايا والخطب ، لانها ترتبط بمناسبة لا نعيشها اليوم ، مثلا : في خطبة الشقشقية عندا يتعرض الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لتحليل ما جرى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، تشعر وكأن الامام كان يلقي جمراً من صدره الا انه وهو في الاثناء يقاطعه رجل من أهل السواد باعطائه كتابا فيه مسائل يريد الاجابة عليها ، فلما فرغ طلب منه ابن عباس الاستمرار في الخطبة ، فقال (عليه السلام) هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت !!

هنا نجد الامام عليه السلام لا يجد مناسبة لاستمرار الحديث ، بعد ان بلغ هذا المبلغ فكيف يعيش القارىء هذه المناسبة بعد مئات السنين ؟ !

الا اننا نستطيع تجاوز هذا الاشكال بأن ندرس الظروف الموضوعية التي تم فيها الحديث والطرف المخاطب ، ونحاول ان نتدبر في كلام الامام عليه السلام محاولين الاهتداء بعون الله الى بعض مقاصده .

وسوف نتناول ذلك القسم من الوصايا الذي اختص المعصومون (عليهم السلام) به أصحابهم وحواريهم ، دون القسم العام الذي كان يلقى على اسماع سائر الناس ، وذلك لاننا نعتقد ان الوصايا من النوع الاول تركز على مسائل ترتبط بحياة هؤلاء الكوادر وتحل مشاكلهم الموجودة او تجيب على المشاكل المحتملة ، لاننا نعتقد أن الائمة وهم المعوصومون لا يلقون الكلام على عواهنه بل يضعون مواضعه الصحيحة والمناسبة كما جاء في الزيارة الجامعة « كلامكم نور وامركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الاحسان وسجيتكم الكرم وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم » .

وسوف نراعي في هذا الباب الاختصار ، والاشارة الى مواضيع الخطبة مستغنين بذلك عن التفصيل والاسهاب ، وقبل الشروع في بحث كل وصية سوف نحاول استعراض مجمل حياة الصحابي الكادر المخاطب من قبل الامام (عليه السلام) .

وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل :

من هو كميل بن زياد النخعي ؟!

من العشرة الثقات الذين طلبهم أمير المؤمنين (عليه السلام) من أصحابه ، كان الامام (عليه السلام) يشرف على تربيته ، وتهذيبه ، ولعل ما وصل الينا عبر كميل يكشف مقدار الاهتمام به ، فقد روى كميل عن امير

المؤمنين(عليه السلام) ثلاث وصايا تربوية رائعة ، اوصاه بها ، وسنستعرض احداها كما ان نقل الينا الدعاء المشهور (بدعاء كميل) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الذي يستحب قراءته في ليالي الجمعة ، وفيه من المعارف الالهية وطرق التضرع الى الله سبحانه ، والاعتراف بالذنب ما يكفل استقامة حياة المرء عند العمل بمعانيه .

وكان يربيه من خلال احداث الواقع فلا تكاد تمر مناسبة الا ويوجه الامام كميلا ، فذات يوم وقد مرا على رجل وقد مضى من الليل ربعه فوصلا الى رجل يقرأ القرآن بصوت شجي حزين « أمن هو قانت آناء الليل . . » فأستحسن كميل ذلك في باطنه واعجبه ظاهر الرجل دون ان يقول شيئا فالتفت (عليه السلام) الى كميل وقال له : لا يعجبك طنطنة الرجل انه من أهل النار سانبئك فيما بعد . . وتحير كميل . . ومرت السنين وجاءت احداث الخوارج ، وقاتلهم الامام قتالا شديدا ووقف في المعركة على جثة رجل من الخوارج ، ومعه كميل ، والامام يقول : « . . أمّن هو قانت آناء الليل . . » يريد أن يقول صاحبك الذي اعجبك حاله . . هذا مصير تدينه القشري .

وبعد خلافة امير المؤمنين (عليه السلام) تولى ولاية (هيت) على الحدود بين العراق والشام ، ويظهر انه لم يكن حازما بالمقدار الذي يريده الامام (عليه السلام) ، أو أنه كان يرى الهجوم على اطراف ثغور ، فكان يهاجم قرقيسيا بينما لم يعد العدة لمواجهة السرايا الأموية التي كانت تهاجم حدوده مما دعا الامام امير المؤمنين (عليه السلام) لأن يرسل له رسالة عتاب شديد يأمره بالتخلي عن فكرته ، وتغيير طريقته بأن يدافع عن حدوده هو ، ويذب المهاجمين عن ولايته .

استشهد بعد هذه الحياة الحافلة على يد الحجاج الثقفي ، حيث طلبه ضمن من طلب من خلّص أصحاب أمير المؤمنين ، واتهمه بقتل عثمان فقتله رضوان الله عليه .

عن كميل بن زياد قال : أخذ بيدي امير المؤمنين (عليه السلام) فأخرجني الى ناحية الجبّان ـ الصحراء ـ فلما اصحرنا جلس فتنفس الصعداء ثم قال :

« يا كميل بن زياد : ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها ، احفظ ما اقول لك : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق .

يا كميل : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، العلم يزكو على النفقة والمال يزول ، ومحبة العالم دين يدان به ، وبه يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد مماته ، المال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل : مات خزان الأموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة .

ثم قال : آه ، آه ان ههنا لعلما جما لو اصبت له حملة (واشار بيده الى صدره) ثم قال : اللهم بلى قد اصبت له لقناً غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على كتابه ، او معاندا لأهل الحق ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، لا ذا ولا ذاك ، او منهوما باللذات ، سلس القياد للشهوات مغرما بجمع الاموال والادخار ليس من الدين في شيء ، أقرب الناس شبهاً بالبهيمة السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله على عباده اولئك هم الاقلون عدداً الاعظمون عند الله قدراً ، بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه الى نظرائهم ويزرعونه في قلوب اشباههم هجم العلم بهم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل

الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه ودعاته الى دينه ، آه ثم آه واشوقاه الى رؤيتهم واستغفر الله ولك اذا شئت فقم »[1]

محور الوصية : العلم ودوره في تشكيل الموقف المطلوب ، ويبين الامام (عليه السلام) أن درجة الوعي ، والاستيعاب لدى الناس هي التي تقسمهم الى فئات ثلاث :

الاولى : العلماء الربانيون ، قادة الأمة الذين عرفوا حق معرفتهم ، واتقوه حق تقاته ، وهذه الفئة هي التي يتحرق شوقاً اليها الامام (عليه السلام) في نهاية وصيته .

الثانية : الواعون السالكون بوعيهم سبل النجاة ، وطرق الانتصار على الشيطان هؤلاء رغم انهم لم يصلوا الى مستوى الفئة الاولى ، الا انهم لوضوح الرؤية امام اعينهم ، واشراقه بصيرتهم فهم على طريق نجاة .

الثالثة : مجاميع المصفقين السلبيين ، الاكثرية الصامتة ، التي تتبع الراية محقا كان أم مبطلا « اولئك لم يستضيئوا بنور الفهم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق » .

وعبر هذه التقسيم يبين ضرورة ارتباط العلم بالموقف العام للانسان في الحياة .

ثم يصنع مقارنة بين العلم وبين المال مفضلا الأول باعتبار حراسة العلم لصاحبه وانعكاس المعادلة في قضية المال ، ولنمو العلم وتجدده بانفاقه واعطائه وامتداد آثار العلم الى ما بعد نهاية صاحبه .

وهنا يبرز السؤال : لماذا يتحدث الامام (عليه السلام) مع كميل حول هذا الموضوع ؟! قضية موقف الهمج الرعاع ، وقضية المال؟! هل كان كميل رضوان الله عليه بحاجة الى هذا الموضوع ؟

---

(١) بحار الانوار ٧٥/٧٥ .

ليس الأمر كذلك : الا اننا حين نستعرض وضع المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، نجد أن امير المؤمنين (عليه السلام) كان يدق على الوتر الحساس . . كيف ؟!

بعد أن يصنع الانتصار ، ويوصل الثورة الى غايتها يوصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى أمير المؤمنين ليواصل المسيرة الرسالية محافظاً على التركة التي خلفها الرسول ، وذلك في غدير خم أمام اكثر من مئة الف من المسلمين . . وبعدها يذهب الى لقاء ربه .

وبينما كان امير المؤمنين (عليه السلام) مشغولا بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ودفنه كانت الاطراف الأخرى قد اكملت مهمتها . . وهكذا (بويع) أبو بكر خليفة .

ويصاب المسلمون وعلى رأسهم الكوادر الواعية بالذهول ! كيف تم ذلك ؟! وكيف خالفوا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو لم يدفن بعد ؟!

غير أن هذا الذهول ما لبث أن تقشعت سحبه ، وعاد الناس ـ باستثناء الكوادر ـ الى ممارسة حياتهم العادية ، والتكيف مع الوضع الجديد ، الذي تحول الى واقع مفروغ منه . تلك الالوف التي سمعت حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأت التمسك بالمبدئيات نوعا من المثالية غير المقبولة ، وانشغلت هي بأخذ حصتها من الغنائم واحيانا من صحبة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

وحدهم الرساليون والحواريون كانوا ينتظرون الاشارة من الامام علي (عليه السلام) ، بعضهم ذهب واحتج في المسجد ، وبعضهم امتنع عن البيعة . . وهكذا .

وحين يتحول تيار الدنيا الذي هو مقبول طبيعيا لدى الانسان ، الى واقع ثقيل الضغط ، عنيف التركيز ، بل الى فلسفة في الحياة العامة ، تتمسك

بها الاكثرية المطلقة في المجتمع ، معتبرة اولئك الخارجين على هذه الفلسفة مخبولين ، او متهورين !!

هنا يمتحن المؤمن عادة ، ويختار احد طريقين كلاهما صعب ، يقف بين خيارين احدهما : الانعزال عن المجتمع ، والانصراف عنه ، وتكفيره والانكفاء على الذات ، والتقوقع في شرنقة (الافضلية) على الآخرين . . ومن نتائج هذا الخيار عدم قدرة المؤمن على التكيف مع المجتمع ، وعدم قدرته على تغييره ، وبالتالي فهو في المجتمع يساوي صفر . . وهذا ما يريده اعداء الاسلام والاستعمار ، انه يخاف من المؤمن بذاته ، ولكنه يرتعد منه اكثر حين يجده مؤثرا في المجتمع ، محركاً لطاقاته ، عاملا فيه .

وثانيهما : البقاء في المجتمع ومقاومة التيار الدنيوي الجارف الذي يحول بكثرته الباطل الى حق في نظر ضعفاء الايمان . ان الكثرة والحشد تعتبر لدى البعض مقياسا واحكامها هي الصائبة ، وكم وجدنا عاملين في سبيل الله كانوا في اشد الحماس والاندفاع والاقتناع بالعمل الرسالي فاذا بهم حينما يواجهون الهمج الرعاع ، وهم عادة الاغلبية في المجتمع ، تهاووا لضعف ايمانهم وتركوا العمل .

ان امير المؤمنين (عليه السلام) يشير ـ كما اعتقد ـ الى هذا الواقع الخاطىء ، حيث تتحول أخطاء الاكثرية الجاهلة ـ بفعل كونها الغالبة ـ الى منهج اجتماعي صحيح . . بينما يصبح الهدى والصلاح والعاملون غرباء في هذا الوسط ، فيدين عليه السلام هذا الموقف الجاهل محذراً كميل واصحابه ـ من بعده ـ منه وهذا ما وجدنا اثره في اصحابه عليه السلام حين بدأ الأمويون بتتبعهم وقتلهم ، فبينما كان الخطأ الشائع في المجتمع آنئذ يقضي بالبراءة من القيادة الشرعية وترك الانتماء اليها والتفرغ الى الدنيا ، كان هؤلاء الصفوة يختارون القتل صبراً على الانجراف مع المجتمع .

كما يبين اخطاء بعض حملة العلم الذي لا يتحول الى موقف رصين

فيقسم حملة العلم هؤلاء الى ثلاثة : من يستخدم العلم والدين مطية لأهوائه وشهواته ، ومن يطيع اهل الحق الا انه متزلزل الايمان اذ لا يكاد تعرض له شبهة حتى ينقدح زناد الشك والتردد في قلبه . وثالث مشغول عن العلم والوعي باللذة والشهوة .

ان المطلوب ليس هؤلاء بل « اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا ، بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه الى نظرائهم ويزرعونه في قلوب اشباههم » وهؤلاء موجودون ، اذ لا تخلو الارض من قائم لله بالحجة ، عليم بالرسالة ، يقود الناس الى سبل الخير ، فيحفظ لهم دينهم ، ويواصل المسيرة ، فيستقطب الآخرين ويزرع في قلوبهم أهداف الرسالة وقيمها ، ويؤدي الامانة الى نظرائه .

وصية الباقر (عليه السلام) لسعد الخير [1] :

تأثير الاجواء ليس حتميا ، بل ارادة الانسان . . فضغط المجتمع ، والظروف العائلية رغم وجودها ، الا ان المؤمن يستطيع تجاوزها متى شاء ، والمعتذرون الذين يبررون ضعفهم ، او تقاعسهم بهذه الاعذار ، يخدعون انفسهم ، اذ يمكن للانسان رغم كل هذه الظروف أن يسلك الطريق الصحيح .

ماذا تظن برجل عاش في اسوأ أسرة في تاريخ المسلمين ؟! ولعنت على لسان القرآن ورسول الله ؟! ألم يكن يحق له الاعتذار عند انحرافه بأن ظروفه العائلية تضطره لذلك ؟!

سعد الخير هو رجل ممن قاوم الظروف العائلية ولم يخضع لها ، وكان خير مصداق لـ (يخرج الطيب من الخبيث) ، فهو سعد بن عبد العزيز بن

---

(١) ذكر العلامة المجلسي (قدس سره) هذه الوصية في وصايا الامام الجواد (عليه السلام) والصحيح أنها من وصايا الباقر (عليه السلام) اذ أن سعد الخير كان من أصحابه ولم يكن في زمن الجواد عليه السلام .

مـروان بن الحكم من بني أميـة ولكنـه ربى نفسـه ، واقتـرب من اهـل البيت (عليهم السلام) حتى أصبح الجميع يشهدون بجلالة قـدره وعظم منـزلته عنـد ابي جعفر الباقر (عليه السلام) حتى سماه بسعد الخير .

« دخـل على ابي جعفـر (عليه السـلام) فجعل ينشـج ويبكي كما تنشـج النساء فقال له الامام (عليه السلام) :

ـ ما يبكيك يا سعد ؟!

فقـال : وكيف لا أبكي وانا من الشجـرة الملعونـة في القرآن ؟ (يقصـد بني امية) .

فقـال (عليه السـلام) : لست منهم ، انت من اهـل البيت امـا سمعت قول الله تعالى ﴿فمن تبعني فانه مني ﴾ !!

وكـان الامام (عليـه السلام) دائم التـوجيه لـه ، فقد كتب لـه رسالتين مطولتين يبين فيها كتب الامام الباقر (عليه السلام) الى سعد الخير :

« بسم الله الرحمن الرحيم أما فاني اوصيـك بتقوى الله فـان فيها السـلامة من التلف والغنيمـة في المنقلب ، ان الله عز وجـل يقي بالتقـوى عن العبـد مـا عـزب عنه عقله ويجـلي بالتقـوى عنه عمـاه وجهله وبـالتقوى نجى نـوح ومن معه في السفينة وصالح ومن معه من الصاعقة وبالتقوى فاز الصابرون ونجت تلك العصب من المهالك ولهم اخوان على هذه الطريقة ، يلتمسون تلك الفضيلة نبذو طغيانهم من الايراد بالشهـوات لما بلغهم في الكتـاب من المثلاث ، حمـدوا ربهم على ما رزقهم وهـو أهل الحمـد وذموا انفسهم عـلى ما فـرطوا وهم أهـل الـذم ، واعلموا ان الله تبـارك وتعالى الحليم العليم انمـا غضبه عـلى من لم يقبل منه هداه ثم امكن أهـل السيئات من التـوبة بتبـديل الحسنـات ، دعا عبـاده في الكتـاب الى ذلـك بصـوت رفيـع لم ينقـطع ، ولم يمنـع دعـاء عبـاده ، فعلن الله الذين يكتِمون مـا انزل الله ، وكتب عـلى نفسه الـرحمة فسبقت قبـل الغضب ، فتمت صدقا وعدلا ، فليس يبتدأ العبـاد بالغضب قبـل ان يغضبوه وذلـك من

علم اليقين وعلم التقوى ، وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه وولاهم عدوهم حين تولوه .

وكان من نبذهم الكتاب أن اقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية وكان من نبذهم الكتاب أن ولوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى واصدروهم الى الردى وغيروا عرى الدين ثم ورثوه في السفر والصبا فالأمة يصدرون عن أمر الناس بعد أمر الله تبارك وتعالى وعليه يردون ، بئس للظالمين بدلا ولاية الناس بعد ولاية الله وثواب الناس بعد ثواب الله ، و ورضا الناس بعد رضا الله ، فأصبحت الأمة كذلك وفيهم المجتهدون في العبادة على تلك الضلالة ، معجبون مفتونون فعبادتهم فتنة لهم ولمن اقتدى بهم ، وقد كان في الرسل ذكرى للعابدين ، ان نبيا من الانبياء كان يستكمل الطاعة ثم يعصي الله تبارك وتعالى في الباب الواحد فيخرج به من الجنة وينبذ به في بطن الحوت ، ثم لا ينجيه الا الاعتراف والتوبة .

فاعرف أشباه الأحبار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه فما ربحت تجارهم وما كانوا مهتدين ، ثم اعرف اشباههم من هذه الأمة الذين اقاموا حروف الكتاب وحرفوا حدوده فهم مع السادة والكبرة فاذا تفرقت قادة الاهواء كانت مع اكثرهم دنيا وذلك مبلغهم من العلم ، لا يزالون كذلك في طمع وطبع ، ولا يزال يسمع صوت ابليس على ألسنتهم بباطل كثير ، يصبر منهم العلماء على الأذى والعنيف ، ويعيبون على العلماء بالتكليف والعلماء في انفسهم خانة ان كتموا النصيحة ، ان رأوا تائها ضالا لا يهدونه ، أو ميتا لا يحيونه ، فبئس ما يصنعون لأن الله تبارك وتعالى أخذ عليهم الميثاق في الكتاب ان يأمروا بالمعروف وبما امروا به وأن ينهوا عما نهوا عنه ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان ، فالعلماء من الجهال في جهد وجهاد ان وعظت قالوا : طغيت وان علّموا الحق الذي تركوا قالوا : خالفت ، وان اعتزلوهم قالوا : فارقت وان قالوا : هاتوا

برهانكم على ما تحدثون ، قالوا : نافقت وان اطاعوهم قالوا : عصيت الله عز وجل فهلك جهال فيما لا يعلمون ، اميون فيما يتلون ، يصدقون بالكتاب عند التعريف ويكذّبون به عند التّحريف ، فلا ينكرون .

اولئك اشباه الأحبار والرهبان ، قادة في الهوى ، سادة في الردى ، وآخرون منهم جلوس بين الضّلالة والهدى لا يعرفون احدى الطائفتين من الاخرى ، يقولون ما كان النّاس يعرفون هذا ، ولا يدرون ما هو وصدقوا ، تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله على البيضاء ليلها من نهارها لم يظهر فيهم بدعة ولم يبدّل فيهم سنّة لا خلاف عندهم ولا اختلاف ، فلمّا عشى النّاس ظلمة خطاياهم صاروا امامين داع الى الله تبارك وتعالى وداع الى النار ، فعند ذلك نطق الشيطان فعلى صوته على لسان أوليائه وكثر خيله ورجله وشارك في المال والولد من أشركه ، فعمل بالبدعة ، وترك الكتاب والسنّة ، ونطق أولياء الله بالحجة وأخذوا بالكتاب والحكمة فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل وتخاذل وتهادن أهل الهدى وتعاون أهل الضلالة حتى كانت الجماعة مع فلان وأشباهه ، فاعرف هذا الصنف وصنف آخر فأبصرهم رأى العين تحيا وألزمهم حتى ترد اهلك ، فانَّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » [1]

من أهم المشاكل التي تواجه العمل الثوري الرسالية وجود العلماء المزيفين ، شيوخ البلاط الحاكم اذ ان وجود هؤلاء الى جانب السلطان يخدع قسما من الجمهور ويلبس عليه الحقائق ، ولهذا لا بد من كشفهم وفضح اساليبهم ، ومعرفة صفاتهم .

والائمة (عليهم السلام) وهم قادة الثورة الرسالية ضد السلطات الفاسدة ، كانوا يعانون من وجود هذه الفئة المرتزقة بالدين ، خصوصا أن بعض الحكام كانوا يظهرون بمظهر المحب للعلم والعلماء مما كان يجعلهم

---

(١) بحار الانوار ٧٥/٣٥٩ .

قادرين على استقطاب هكذا جماعات . .

الامام الباقر (عليه السلام) في هذه الوصية لأحد صحابته المخلصين يبين فيها صفات هؤلاء وطريقة عملهم ، والوصية تدور بشكل اساسي حول هذا الموضوع وان كانت لا تخلو من مواضيع اخرى :

يبدأ الامام (عليه السلام) موصياً سعد الخير بالتقوى اذ هي جوهر التحرك ، وفيها السلامة من الاخطاء والغنيمة في الآخرة وبها يفوز الصابرون من الانبياء او من يسير على دربهم .

ثم يتحدث عن احد مصاديق عدم التقوى ، أعني به العلماء الذي يكتمون ما انزل الله فيصفهم بالصفات التالية :

١ ـ الالتزام بالهوى ، واتباع المصلحة ، فهو ليسوا فقط من أهل الدنيا ضد المؤمنين، وانما مع الاكثر مالا وسلطاناً من أهل الدنيا، اذا تفرقت الاهواء « فهم مع السادة والكبرة فاذا تفرقت قادة الاهواء كانوا مع اكثرهم دنياً » .

٢ ـ الاهتمام بالحروف واهمال الحدود واغفال القيم ، فترى بعضهم حافظا لآيات القرآن ولكنه اعمى البصيرة ، فيما يتعلق بأحكام الآيات ومعانيها . هؤلاء يتفنون في اعراب الفاظ القرآن ، وفي تجويد آياته والالتزام بادغامها واخفائها واظهارها وما شابه ، ويخرجون الحروف من مخارجها ، ويعرفون كيف يتقنون (الغُنّة) ، ولكنهم (يرونه ولا يرعونه) .

٣ ـ معارضون لمنهج العلماء الربانيين والمجاهدين ، فهم يعيبونهم باستمرار ويتهمونهم في كل اعمالهم ، فحين يعظ الربانيون الناس ويبينون لهم طرق الخير والهداية ، يتهمهم هؤلاء بالطغيان وتجاوز الحدود . . وحين يقولون الحق ، ويوجهون اليه يتهمونهم بأنهم ضد الدولة ، ومخالفون لسياسة الحكومة .

وان تركوا الوعظ والارشاد واعتزلوا ، فانهم لا يُتركون انما يتهمهم

هؤلاء بأن اعتزالهم تمهيد لقلب نظام الحكم ، وتهيئة لأرضية الثورة . « ان وعظت قالوا : طغيت وان علموا الحق الذي تركوا قالوا : خالفت ، وان اعتزلوهم قالوا فارقت » .

وهناك فئة اخرى أيضا تنتهي الى ما انتهت اليه الفئة الاولى وهم من يسمون انفسهم بالمحايدين ويجعلون انفسهم بين أهل الهدى وأهل الردى ، فانهم يتردون أخيراً في وهدة الانحراف « وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى لا يعرفون احدى الطائفتين من الأخرى » .

وعلى المرء ان يدقق النظر مفتشاً عن فئة الرساليين العاملين في سبيل الله فانه يحيا ، وينجو هو ومن معه « . . وصنف آخر فابصرهم رأي العين تحيا ، والزمهم حتى ترد أهلك » ، وبالتالي فهو غير معذور ان قصر في السعي لمعرفة الفئة الصالحة والقيادة الرشيدة في المجتمع ، والقضية ليست سهلة وبسيطة ، انها تعين مسيرة الانسان في الحياة .

الامام الهادي (عليه السلام) مع ايوب بن نوح :

أيوب بن نوح بن دراج النخعي كان وكيلا لأبي الحسن وابي محمد عليهما السلام عظيم المنزلة عندهما ، مأمونا ، وكان شديد الورع ، والتقى ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته وابوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة وكان صحيح الاعتقاد ، كما يقول النجاشي رحمه الله .

وقد توفي ولم يخلف الا مئة وخمسين دينارا ، وكان كثير من الناس يظنون أن لديه أموالا كثيرة .

ويظهر انه كان يتولى مسؤولية ادارة الاعمال الرسالية في منطقته بالاشتراك مع ابي علي بن راشد الذي كان بدوره من الثقات والشخصيات الهامة في عمل الائمة (عليهم السلام) .

وفي كتاب له عليه السلام لأيوب بن نوح :

« وانا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الاكثار بينك وبين ابي علي وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته فانكم ان انتهيتم الى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي وآمرك يا ابا علي بمثل ما آمرك به يا ايوب ان لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ولا تلى لهم استيذاناً عليّ ومر من أتاك من غير أهل ناحيتك أن يصيره الى الموكل بناحيته وآمرك يا ابا علي بمثل ما امرت به ايوب وليقبل كل واحد منكما ما امرته به »[1]

يتطور العمل الرسالي ، بسبب اخلاص القائمين عليه ، وفاعليتهم ، وقبل ذلك ببركة الله سبحانه ، فينتشر في اكثر مكان ، وتعدد مجالاته ، مما يجعل ادارته مركزيا عملا صعباً وغير منتج ، وهنا لا بد من اتباع نظام اللامركزية ـ حسب الحدود المناسبة ـ .

الا أن هذا النظام بدوره ليس خيراً مطلقا ، فان لم توفر بعض الضمانات فانه ينقلب ضاراً ، فعدم وضوح الخطة والجهل بالاستراتيجيات المطلوبة ، أو عدم قدرة الشخص على اتخاذ القرارات المناسبة . . أو ضعف انتماء الشخص ، يجعل نظام الوكالة دماراً على مجمل العمل . ولهذا فان الحاجة تبرز الى رجال من نوعية خاصة في الصفات والكفاءات ، ولقد راينا في التاريخ أن بعض اصحاب الائمة (عليهم السلام) بعد ان غرتهم الدنيا ، وضعف انتماؤهم للرسالة ، ذهبوا بما لديهم من أموال وأخماس مستفيدين من الموقع الذي حصلوا عليه كفارس بن حاتم وغيره .

ويحدث احياناً أن يكون في منطقة واحدة اثنان من الرساليين ويكلف كل واحد منهما بمجال عمل يختلف عن مجال عمل الشخص الآخر ، الا أن التساهل أحياناً من قبل احدهما أو كليهما، يفرز سلبيات تعم على التجمع ككل.

---

(١) رجال الكشي ٢/٨٠١ .

وفي هذه الرسالة [1] يبين الامام الهادي (عليه السلام) لاثنين من وكلائه : ايوب بن نوح وابي علي بن راشد اخطار هذا الانفتاح ويوجههما الى المطلوب :

* **الأقلال من الجلسات المشتركة** : وهذا الفخ يقع فيه الكثير من العاملين ، خصوصاً اولئك البعيدين عن القيادة ، والتوجيه المباشر ، حيث أنهم يجدون انفسهم في اماكن نائية ، فيأنس بعضهم بالبعض الآخر ، وهذا قد يكون مفيداً في حدود معينة ولكنه ينقلب الى وباء حين يورث الانكشاف الأمني للعدو ، أو التسيب في الحفاظ على الاسرار فيما بينهما . . وحين تتحول هذه الجلسات الى حالة بطالة ، وتشغل عن العمل الجاد ، فعوض الذهاب إلى المجتمع والخوض في صراعاته ينشغل العاملون بكثرة الزيارات غير الضرورية ، والجلسات والموائد . . الخ ، مما يضيع عليهم فرصة التحرك الجاد « وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الاكثار بينك وبين ابي علي » .

* **تجنب التداخل في العمل** : يحدث احياناً أن يقوم بعض الرساليين بمبادرة ما خارج اطار عملهم ، وضمن دائرة عمل اخوانهم الآخرين مما يسبب ارباكاً شديداً في الاعمال ، ورغم أن المبادرة شيء مطلوب دائما ، الا انها ضمن حدود مسؤوليات الشخص .

والامام الهادي (عليه السلام) يوضح هنا في هذه الوصية أن يلزم كل واحد حدود مسؤولياته ، والاعمال الموكلة اليه ، ويبين أن الالتزام بالخطة الموضوعة وتطبيقها يغني كثيراً عن الرجوع الى القيادة ، الأمر الذي يكون عادة ليس سهلا وسريعاً ، اضافة الى كونه يعطل القيادة عن أعمالها الأخرى ، ويحرجها في قرارات تفصيلية ليست في صورتها الكاملة .

« وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وامر بالقيام فيه بأمر ناحيته فانكم ان انتهيتم الى كل ما امرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي » .

---

(١) مع الاسف نقل علماء الحديث هذه الرسالة ناقصة وحسب التتبع فان كل الكتب نقلت هذا المقطع من الرسالة

ثم يأمره وصاحبه ، بأن يعود الجمهور على الالتزام بالقناة السليمة ، وان يساعد على تحويل ذلك الى واقع عملي ، فاذا كان بامكانه القيام بعمل من الأعمال ، ولكنه ليس في دائرة مسؤولياته ، ويمكن أن يسبب تداخلا ، فان عليه ان يحول هذا العمل الى صاحبه الموكل به ، حفاظاً على النظام ، وتربية الجمهور . سواء كان ذلك في مجال الحقوق المالية ، أو العلاقة القيادية .

« وآمرك يا ابا علي بمثل ما آمرك به يا أيوب أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئا يحملونه ، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يعيده الى الموكل بناحيته » .

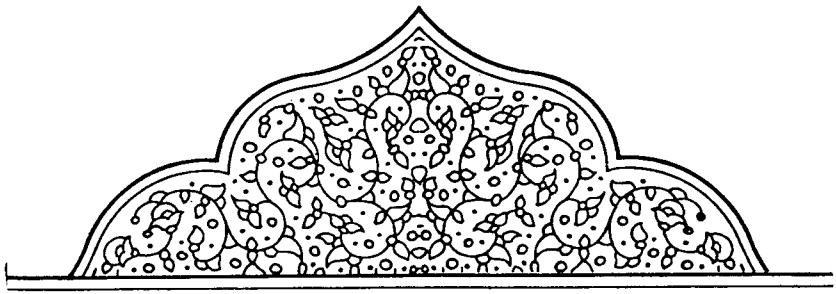

الخاتمة

وفي الختام . . عزيزي القارىء

بعد مرور خاطف وسريع على طريق منهج أهل البيت عليهم السلام في التربية الرسالية ، واعداد الحواريين ، حرصت فيه على توضيح هذه المفاهيم لثلاثة أصناف : ـ

ـ لك أخي المؤمن ، أنت الذي تقارع الشيطان في داخلك وتصارع الطاغوت في الخارج ، وتصر أبداً على الاستمرار حتى الدولة الكريمة أو رفقة الشهداء في جنة الله . . لكي تكون هذه معالم تهدينا الى الصراط المستقيم .

ـ للصنف الآخر من المتدينين الذين لم تتح لهم فرصة التعرف الصحيح على أئمتهم وقادتهم ، فلخصوهم ، وقزّموهم وحشروهم مع مئات الدراويش الذين لا دور لهم ، ولا فعل ولا حياة فبخسوهم حقهم بشكل لا يقل عن ظلم غيرهم لهم (عليهم السلام) .

لهؤلاء الذين قد يكون لبعضهم العذر ـ لسبب أو لآخر ـ حاولت أن اقدم لهم ما عرفته من صورة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، أئمة يقودون ، وعلماء يرشدون ، وحكماء يزكون ، وفوق كل هذا واسطة بين السماء والارض توصل أهل الارض الى عبادة رب السماء ، بعيداً عن الاضداد والانداد .

ـ ولصنف ثالث ، قد يوفق لقراءة هذه الأسطر ، ضل طريق التغيير ، فتراه يطفىء نار الطغيان الموجود ، بنار الفساد المرتقب ، ويريد علاج المريض بقطع رأسه !!

هؤلاء الذين تحسسوا بواقع مجتمعهم وبمأساة شعبهم مع انظمة الجور القائمة ، فاندفعوا الى طريق التغيير بعيداً عن الاسلام ولكنهم وجدوا السراب وكلما تبعوه ابتعد عنهم ، والبعض منهم قضى ولم تكتحل آماقه برؤية النصر ، فأضاع دنياه وخسر آخرته ، والبعض منهم يحتفل بمرور خمسين عاماً واحياناً اكثر على بدايته العمل السياسي في هذا الحزب او ذاك ، ولا يزال في الخطوة الاولى ، وقد يكمل غيره الاحتفالات من بعده ، ولا من شيء . الا انه (خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين) .

الى هؤلاء الذين قد يلتمس بعضهم الطريق ، نقول : انظر ها هو الدرب ، والصراط الذي لن تسلك الأمة غيره .

بعدها . . اتركك عزيزي القارىء في حفظ الله الذي لا تضيع عنده الودائع .

محمد فوزي

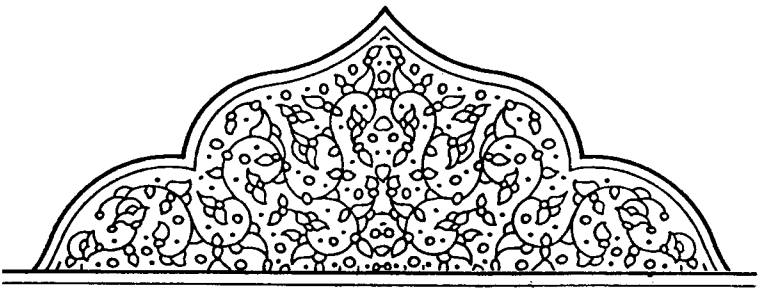

المَصَادِرُ

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ نهج البلاغة
٣ ـ الصحيفة السجادية
٤ ـ الكافي ثقة الاسلام الكليني
٥ ـ بحار الانوار المولىٰ محمد باقر المجلسي
٦ ـ وسائل الشيعة الحر العاملي
٧ ـ سفينة البحار المحدث القمّي
٨ ـ تحف العقول ابن شعبة الحراني
٩ ـ ميزان الحكمة محمدي ري شهري
١٠ ـ الحياة محمد رضا الحكيمي
١١ ـ مكارم الاخلاق الشيخ الطبرسي
١٢ ـ المحجة البيضاء الملا محسن الكاشاني
١٣ ـ رجال الكشي شيخ الطائفة الطوسي
١٤ ـ تنقيح المقال في علم الرجال العلامة المامقاني
١٥ ـ جامع الرواة العلامة الاردبيلي
١٦ ـ معجم رجال الحديث آية الله الخوئي
١٧ ـ رجال السيد بحر العلوم السيد مهدي بحر العلوم

١٨ ـ اعيان الشيعة	السيد محسن الامين
١٩ ـ صفات الشيعة	الشيخ الصدوق
٢٠ ـ نفس الرحمان في فضائل سلمان	المحدث النوري
٢١ ـ العرفان الاسلامي	السيد محمد تقي المدرسي
٢٢ ـ المنطق الاسلامي	السيد محمد تقي المدرسي

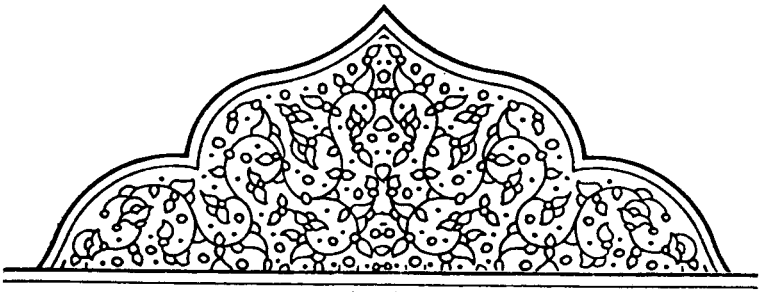

محتويات الكتاب

مقدمة الناشر ٧

المقدمة ٩

الفصل الاول : * الحاجة الى القادة ١١

الفصل الثاني : * اهل البيت وبناء القادة ٢٣

الفصل الثالث : * المواصفات العامة للتربية الرسالية ٨٧

□ البناء الروحي للقادة ١٠١

□ البناء السياسي للقادة ١٢١

□ البناء الفكري للقادة ١٤٩

□ البناء الاخلاقي للقادة ١٦٥

الفصل الرابع : * صور من التربية الرسالية ١٩٥

□ للتقدم لا بد من النقد ١٩٧

□ العمل المعيشي وقرار الرسالة ٢٠٢

□ لا . . للاستئكال بالقيادة الشرعية ٢٠٦

□ عيب الاشخاص والحفاظ على الدور ٢١١

الفصل الخامس : * دراسة في الوصايا والرسائل ٢١٧

□ وصية امير المؤمنين (ع) للكميل ٢٢٠

□ وصية الامام الباقر لسعد الخير ٢٢٦

□ وصية الامام الهادي لأيوب بن نوح ٢٣١

الخاتمة ٢٣٥

المصادر ٢٣٧

صدر للمؤلف

- مفهوم التقية في الاسلام
- في مدرسة السجن
- حجر بن عدي : الثائر الشهيد
- المطلوب عالم رباني
- طلب العلم فريضة
- الهجرة مستقبل أفضل
- عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت